# العطف والانانية

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي في علم النفس

اذا نظرنا الى العلاقات الانسانية وجدناها تنقسم الى ثلاثة اقسام: اولا التعلق العاطفي ، ثانيا اللامبالاة ، ثالثا النفور ـ وكل حالة من هذه الحالات النفسية توحي بسلوك معين وتخلق اتجاها في الحياة . يبدأ الطفل حياته ضعيفا لا يدرك الحقائق التي تربطه بالاشياء ، ولا يمكنه ان يقوى على مواجهة المشكلات المتعددة التي تهدد كيانه في كل لحظة من اعوامه الاولى . ويثير ضعفه هذا ميلا عند الكبير المدرك لحمايته ومساعدته . ويختلف الناس في هذا الشعور الذي نسميه الحنو او الحنان اذ تتغلب الانانية على البعض وتعوقهم عن التمتع بنعمة حماية الصغار رغم ما تكلفه من صعوبات مرهقة ومسؤوليات متجددة . ويبدأ من هذا الصراع بين العطف والانانية صراع يمكننا ان نجد اثاره في كل مظهر من مظاهر الحياة .

اذا تأملت سلوك شخص في حياته تجده دائما مدفوعا نحو اعمال تحميه وتحمي من يحب . واذا تحققت له هذه الرغبة فانه يحاول ان يوفر لنفسه ولاولاده الرفاهية التي تغدق عليه لذات الحياة . ولاحظنا بتأمل اعمال الكثيرين ان اخطاء شائعة عرضت الكثير من بني البشر الى الام وخسارة لا تعوض . فالعطف والانانية قطبان طبيعيان يساعدان الفرد على التبادل مع الاخرين لكي يساعدويتعاون والفرد جزء من الحياة وعليه ان يحمى الحياة ومن حقه ان يطلب المساعدة من الاحياء .

ولكن الصدفة وحدها لا يمكنها ان تحقق المطلوب بصفة مضمونة مؤكدة . فلا بد من ان نلقي نظرة شاملة على التيارات النفسية المتصلة بقطبي العطف والانانية ، لكي نفهم الاتجاهات الطبيعية التي تتم بالصدفة وتؤدي الى كثير من الاخطاء الشائعة ويمكننا على ضوء الربط بين الفوضى في السلوك العاطفي وبين الاخطاء الجسام ، رسم خطة جديدة للحياة العاطفية تحقق الهدف وتضمن السعادة وتؤدي الى النعمة المنشودة ـ ان النظام في كل ميدان يقضي على المفاجاة المؤلمة . كما ان الشخص الذي يسير في الحياة على بصيرة يتفادى الوقوع في الصدمات المهلكة والتعقدات المربكة .

انظر الى الشباب الذين خرجوا من المدرسة ليتزوجوا فتاة عشقوها لجمالها ، او خضعوا لامرأة سيطرت عليهم بعطفها او بأي اسلوب من اساليبها ، فان هؤلاء يندفعون في الحياة يعملون ويشقون لكي يكسبوا ما لا يحققون به رغبات من يحبون . ويخلق هذا الاندفاع لذة عند المحبوب الذي يتمادى في الطلب ويتخذ التضحية دليل حب وعطف ان معظم الناس يكافحون كفاحا مرا وهدفهم الحصول على عطف او المحافظة عليه . وتكون اكبر صدمة يواجهونها في الحياة عندما يدركون ان ليس هناك عطف او ان العطف ليس كل شيء في الحياة .

والاندفاع نحو العطف بشدة ، حالة مرضية خفية لا تنجلي علاماتها الا بعد ما يقطع الشخص شوطا كبيرا في الحياة ، ويلاحظ انه حصر نشاطه في اتجاه واحد وان هذا الحصر ادى به الى اهمال الوان اخرى من المتعة ونعيم الحياة . واغلب الاشخاص الذين يندفعون نحو العطف ويجعلونه هدفا رئيسيا في حياتهم هم الذين حرموا في طفولتهم من عطف الابوين او عطف احدهما . ويكفي ان ننبه الشخص العاقل لهذا الاتجاه ولاساسه لنجعله يحذر التورط في علاقات تربطه مدى الحياة وتجعله يخطىء الهدف ويحرم نفسه من الوصول الى النضج والاستقلال والحرية ليمنح عطفه على اساس التبادل لا على اساس الخضوع والذل والاستعباد .

والشخص الذي يحب فتاة جميلة هو شخص يريد ان يأخذ منها لذة ويريد ان تعطيه عطفا تخصه به دون الاخرين . واحدث هذا الاتجاه مشكلات نفسية عدة وجعل الشعراء يتجهون باشعارهم للتعبير عن هذه الازمة النفسية المنتشرة بين الناس . ولو اننا وجهنا توجيها نفسيا صحيحا لتغيرت هذه المواقف ولوفرنا على نفسنا مجهودات جبارة بذلت في هذا الميدان . والمهم في كل هذا هو ان الشخص الراغب في عطف امرأة جميلة لا يشبع ، ولا يقنع ، ولا يكتفي ، بل يظل دائما متجها الى هذه الرغبة المطلقة . وتظل انظاره دائما تحوم حول الجمال الانساني وتحاول احيانا حل هذا الضعف بالزواج ، ولكن الواقع هو ان الشخص يتعرض لصراع نفسي مستمر يحدث امراضا جسيمة او اضطرابات اجتماعية . ومن هنا جاءت فكرة العقد في الزواج ، وجاءت ظاهرة الزواج التي تعني تقسيم الحريم كما هو الشأن في الاراضي حتى لا يعتدى شخص على حق شخص اخر في امرأة اختارها ليملكها الى الابد .

والغريب في ان العلاقة بين العطف والملكية لم تكن دائما منحصرة في ظاهرة الحب الجنسي، فاننا نجد في اغلب الاحوال نزعة الملكية موجودة في كل حب حتى في حب الام لاولادها او الاب لابنائه ، او الاخ لاخته ونسمي ذلك غيرة تارة وسيطرة تارة اخرى . لهذا وجدنا الاباء في اغلب العصور يسيطرون سيطرة تامة على ابنائهم ويخضعونهم الى افكارهم وعلى الولد ان يطيع والده في كل كبيرة وصغيرة .

كل هذا راجع الى الاندفاع والحصر وعدم الرجوع الى العقل الذي يزن الامور ويكيف الافعال ويوجه الشخص توجيها ثابتا يفيده في شتى مراحل الحياة . وكثيرا ما يكون العقل موجودا ولكن التيارات الطفلية ونقص التربية يجعلانه معطلا غير قادر على تسيير السلوك العام . ويقع الانسان احيانا في حيرة تجعله يثور على بعض افعاله التي اوحتها العاطفة الطفلية اذ يشعر بعقله بعد وقوعه في المازق العاطفي المعقد انه اخطأ الطريق . ولا يمكن للقارىء ان يفهم قيمة هذه الملاحظات العلمية الا اذا كان قد مر ببعض التجارب الواقعية التي جعلته يربط شخصه بشخص اخر قضى على ميوله واستعداداته وجعله يتحول عن سيره الطبيعي في الحياة . وقد يتعرض علينا قوم بحجة ان هذا التحذير مضر للحياة الاجتماعية بتعطيله الزواج ، ولكن الرد الصحيح لهذا الاعتراض يؤيد ان هذا التحذير يقضي على الزواج الفاسد الذي يخلق الاسرة المريضة التي تنجب اطفالا معقدين مصابين بعقد نفسية تظهر في شكل اسراف من العطف او اسراف في اللامبالاة ، او ميل الى النفور من الناس عامة والانطواء على النفس بشكل مرضي .

واما الزواج السليم القائم على العطف الناضج فانه يخلق الاسرة الثابتة المترابطة الاعضاء ترابطا مستقرا .
وهكذا ترى ان موضوع العطف والانانية وما يؤديان اليه من تعلق شاذ او لامبالاة ، او نفور غير طبيعي موضوع خطير في الحياة الاجتماعية ويحتاج الى دراسة علمية وتنظيم تدريجي والدراسة العلمية تستند الى ما هو واقع بالفعل وتعطي اهمية للاضطرابات النفسية والاجتماعية الناشئة عن العطف .

وهناك العطف القوي الذي هو ناشىء عن الخوف والذي يدفع الشخص نحو التعلق الشديد . ان للخوف اثرا كبيرا في ظاهرة الحب — وكثيرا ما تشاهد اطفالا يعذبهم اهلهم عذابا شديدا ومع ذلك نجدهم متعلقين بهم . فالتحليل النفسي يثبت ان هذا التعلق قائم على الخوف من الحياة وعلى عجز حقيقي . وقد يكون الخوف حالة نفسية مبهمة لا تقوم على سبب معين — وهكذا نجد الكثيرين من السيدات المصابات بالخوف المرضي يتعلقن برجال لا يبادلونهن اي عطف ويشرح لنا هذا التحليل استغلال بعض الازواج هذا الضعف عند ازواجهم والوصول الى الاسراف في التعذيب والاهانة . وقد تتبعت حالات نفسية لكثير من السيدات اللاتي كن خاضعات خضوعا مطلقا للزوج رغم ظلمه وقسوته . وان مجرد شفائهن من الخوف الوهمي جعلهن يثرن على الزوج ويطالبن بحقهن في الاحترام والعدل في المعاملة ورأيت البعض يواجهن الصعاب ليتخلصن من العذاب الذي كن خاضعات له تحت تأثير الخوف . والغريب انهن قبل التحليل كن يشعرن بتعلق يشبه العطف . ولو سألتهن عن شعورهن وجدتهن حائرات في الجملة ومتعلقات بالشخص . وهذه الحالة المؤلمة نجدها عند عدد كبير من الاطفال السيئي الحظ الذين اعطتهم الطبيعة ابوين جاهلين وقاسيين او مريضين معقدين ..

كل هذه الاضطرابات الاجتماعية التي تحرم الشخص من عطف الناس نحوه تؤدي الى ما يسمى بالخلط العاطفي اي فقدان الشعور بالعطف بحيث ان الشخص لا يقدر على الشعور بالعطف نحو الاخرين . ولهذا يصبح من الواضح فهم الاشخاص الذين يشكون من عدم شعورهم بالحب نحو الاخرين ، ولا يجدون في انفسهم ميلا نحو ما يثير الحب والعطف عند امثالهم في سنهم وفي ظروفهم . وكانت حالة الجفاف العاطفي هذه سببا في كثير من المواقف الاجرامية التي تاتي كانتقام ضد مجهول . وبناء على هذا السلوك العنيف القائم على دوافع اجتماعية دفينة يقوم المجتمع يعاقب ويسجن هؤلاء الاشخاص الذين يستمرون في نفورهم من الناس ، وفي العجز عن الوصول لايعطف ونعتبرهم خطرين على الامن العام .

وليس حال المندفعين نحو حب الناس كلهم بلا تمييز احسن من موقف العاجزين عن العطف . هناك اشخاص تراهم خاضعين خضوعا مطلقا للعطف والحب ، وتراهم مسالمين مسالمة تامة ، وتقول عن هؤلاء انهم بلينهم الزائد ضعاف الشخصية — ومحاولة ارضاء الاخرين قد تكون ناتجة عن الخوف من الناس او عن محاولة الوصول الى العطف . وتؤدي هذه الحالة النفسية ببعض السيدات الى سلوك شاذ ، اذ يصل بهن الامر الى صلات جنسية تقضي على سمعتهن ومكانتهن الاجتماعية . ومع هذه الطائفة من الانسانية استعمل المجتمع قسوة ادت الى تعقدات تطورت تطورا خطيرا وخلقت فئة من الناس منبوذة .

اننا في حاجة الى مراجعة موضوع العطف والانانية مراجعة علمية لنرشد المسؤولين على التربية ليوجهوا الناس توجيها صحيحا يقضي على المشكلات النفسية والازمات التعويضية . وقد ادرك بعض الموجهين السياسيين قيمة هذا الموضوع واستعملوه في الاساليب السياسية الاستعمارية بدلا من الضغط المباشر السافر الذي يكره وينفر ان بعض الدول تحاول ان تحافظ على الود بينها وبين بعض الشعوب وتخشى الكره والنفور ، ولذلك فانها تخلق مواقف سياسية محرجة توقع فيها شباب الشعوب ليصبح في حالة خوف تدفعه الى التعلق بالدولة الكبرى . وهذا هو التعلق القائم على الخوف الذي اشرنا اليه . فهذا الفهم وهذا الاسلوب يجعلان الانسانية مسؤولة على الثورات والخلافات التي تنشر الرعب والخوف وتؤدي الى الخلط العاطفي والاضطراب النفسي .

الى متى سيظل حب الانسان للانسان مثلا اعلى لا يمكن تحقيقه في حياتنا اليومية في البيت وفي المدينة وفي الوطن وفي العالم .

القاهرة — **ابو مدين الشافعي**

# وليام بتلر ياتس - حياته وشعره

بقلم مرسي سعد الدين

o O o

عندما وجد وليام بتلر ياتس ان الشبان من الشعراء قد بدأوا يقلدون اسلوبه الشعري كتب قطعة شعرية اسماها « المعطف » يقول فيها :

صفت من اغاني معطفا
وحليته بالزخارف
صفته من الاساطير القديمة
ليغطيني من الكعب الى الرقبة
ولكن جاء الاغبياء واخذوه
ولبسوه امام اعين العالم
كما لو كانوا صنعوه بايديهم
ايتها الاغنية ، دعيهم ياخذونه
فهناك شجاعة وقوة
من ان يسير الانسان عاريا

في هذه القطعة القصيرة استطاع ياتس ان يعبر عن تطور شعره ، فهو قد بدأ شاعرا زخرفيا ، اشعاره مرصعة مستمدة من الاساطير الايرلندية ، ومبنية على اعتقاد مشترك مع مجموعة من المفكرين والكتاب بان الايرلندي يجب ان يبدأ من جذور الفولكلور . ويقول ياتس في هذا : « لدينا في ايرلنده قصص خيالية ، تعرفها الطبقات غير المتعلمة ، بل وتغنيها . فلم لا نشر هذه القصص بين الطبقات المتعلمة ونعيد اكتشاف « فن الادب التطبيقي » واعني الاتصال بين الادب والموسيقى والحديث والرقص . واخيرا لعل في قبول افراد الشعب جميعا ، الفنان منهم والشاعر والعامل ، خدمة لهدف واحد وهو تقوية الشعور السياسي » .

ان ياتس يضع اساس النهضة الادبية في ايرلنده ، تلك النهضة التي بدونها لم تكن ثورة ١٩١٦ لتتحقق . لقد قاد الثورة شعراء وكتاب ، قادوا شباب ايرلندة الى الموت لكي تحيا بلادهم . ظهر ياتس في عصر كانت ايرلنده تمر فيه باخطر فترات تاريخها السياسي والقومي ، كانت مرحلة من مراحل الاستعمار التي استطاع فيها ان يجد في داخل صفوف الايرلنديين عناصر متعاونة . وكانت النتيجة ان اختلط الامر على الايرلنديين انفسهم ، لم يعرفوا من معهم ومن عليهم ، من الايرلندي الحق ومن المتعاون .

ظهر ياتس في هذه الفترة ومعه جماعة من الشعراء والكتاب وقرروا ان يقوموا بمجهود موحد لاحياء الثقافة الايرلندية ، ففي احيائها طريق الخلاص والحرية لتلك « الجزيرة الخضراء الصغيرة » . قامت هذه الجماعة فكتبت المسرحيات ونشرت الاشعار وبنت مسرحا قوميا ، فعلت كل هذا تحت قيادة وليم بتلر ياتس ، الشاعر الذي بدأ ارستقراطيا ثم نزل الى تيار المعركة ، يكتب للشعب بلغته ولكن بدون ان يرخص من اسلوبه او يحقر من افكاره . ان ما فعله هو وجماعته هو رفع المستوى الثقافي للشعب حتى جعلوه يستسيغ ما هو رفيع من الوان الثقافة .

وعلى الرغم من جماعية ياتس ، تلك الجماعية التي جعلته يؤلف بعض المسرحيات بالاشتراك مع كتاب اخرين ، على الرغم من هذا فانه يمتاز بفردية قاسية ، جاءت نتيجة لثقافته الخاصة وفلسفته . كان ياتس يكتب الشعر بدافع من نفسه دون النظر الى اية عوامل خارجية . وعلى الرغم من ان ياتس لم ينفصل عن التيار الوطني في ايرلنده – بل انه كان من العاملين على راس ذلك التيار – فانه لم يجعل تلك العوامل الخارجية تؤثر في شعره . وبينما نجد ان عددا كبيرا من الشعراء والكتاب في ذلك العصر تركوا انفسهم كلية في التيار القومي وانتجوا شعرا من الدرجة الثانية ارضاء للنزوات – نرى ان ياتس احتفظ بنوع شعره ولم ينزل به .

كان ياتس يدين بايمان قوي للشعر ، وكان هذا الايمان هو الذي اعطاه تلك المكانة الرفيعة في عالم الشعر ، وجعل منه مؤثرا قويا على الشبان من الشعراء الذين بدأوا الكتابة خلال الثلاثين سنة الماضية ، سواء في انجلترا او ايرلنده .

وقد تطور شعر ياتس في مراحل مختلفة بدأت بمجموعته « مفترق الطرق » ويعتقد النقاد ان بداية ياتس كانت رائعة لدرجة انه لو كان قد اكتفى باول مجموعتين شعريتين لصارت شهرته الى ما هي عليه الان .

بدأ ياتس شعره باستعمال عالم الخيال الايرلندي ، عالم الاساطير والجنيات . ولما بدأ الشعراء في تقليده احسوا بخيبة امل حين توقف ياتس عن الكتابة بهذه الطريقة ، ولم يعد يستعمل تلك الزخارف التي عثر عليها بين الاساطير الايرلندية القديمة ، واعاد تكوينها بطريقته الخاصة ، وفضل ان « يسير عاريا » . وهذا السير العاري يعتبر معجزة فعلا ، معجزة جاءت نتيجة للحرب الاولى ، ونتيجة لنزول ياتس لميدان النضال القومي . كانت الحرب الاولى صدمة لايرلندة وشبابها فقد اضطرتهم انجلترا لخوض غمارها ، بينما هم بعيدون عنها . انهم اعداء انجلترا تلك الدولة التي استعمرتهم الافا من السنين ، فكيف يحاربون في جانبها . وقد عبر ياتس عن هذا الشعور المختلط في قصيدة طيار ايرلندي سيتنبأ بمصيره :

اني اعرف اني ساواجه حتفي
في مكان ما فوق السحاب
ومن اقاتلهم لا احس لهم بالكراهية
ومن احرسهم لا اشعر نحوهم بالحب
ان بلادي هي كلتارتون كروس
واهلي هم فقراء كلتارتون
وليس هناك الان ما يفقدونه
او يجعلهم اكثر سعادة مما كانوا

بدأ ياتس في نشر افكار عديدة ، سواء في ناحية الشعر او المسرح كان يرى ان الادباء الايرلنديين يجب ان يكتبوا في لغة تختلف عن اللغة التي ينشرها المستعمر . كان يرى ان اللغة الانجليزية التي يتحدثها الايرلنديون والمستعمرون هي لغة اضرت بها الصحافة ، لغة غير نقية مليئة بالشوائب ، فذهب الى فلاحي غرب ايرلندة ، وانصت الى لغتهم وعاش بينهم ، ثم نقل تلك اللغة الى مسرحياته واشعاره وساعدته في هذه المهمة صديقته لادي جريجوري التي قامت معه

باحياء الادب الايرلندي .

لقد بدأ ياتس شعره من برج عاجي ، هاربا من العالم كان يشعر بالعداء الموجود بين عالمين مختلفين ، عالم الخيال من ناحية وعالم الصناعةوالسياسةوالعلوم من جهة اخرى. لقد بدأ في العالم الاول ثم نزل الى غمار العالم الثاني .كتب اول ما كتب عن عالم الجنيات ، بعيدا عن الاحزان والمشاكل:

**تعال معي أيها الطفل الادمي**
**تعال معي حيث المياه والبراري**
**خذ بيد الجنية ، فالعالم مليء بالبكاء**
**أكثر مما تستطيع ان تدركه .**

اتخذ ياتس البرج العاجي رمزا عاطفيا في شعره :

**اني اعلن ان هذا البرج هو الرمز**
**الرمز الذي اخترته ، واعلن ايضا**
**ان السلم الحلزوني هو سلم اجدادي**
**السلم الذي صعده جولد سمث وبركلي وبرك**

وعندما دق الناقوس وبدأت الحركة القومية ، وجد ياتس نفسه في غمارها . نزل ياتس الى الشعب وعاش بينه وكتب له المسرحيات والملاحم ، واصطبغ شعر ياتس بالطابع الملحمي مما أعطى انتاجه صبغة شعبية . كان ياتس يجوب البلاد لينصت الى الشعراء الشعبيين وهم يتغنون بالملاحم الطويلة ، كان يقيم في القرى ويتحدث الى الفلاحين ليملأ نفسه بلغتهم وعاداتهم . وهو يعتقد ان الشاعر الحق يجب ان يعرف وطنه ويعرف اهل وطنه ، وينصح من يريد كتابة الشعر فيقول :

« يجب ان تعرف انك الان تواجه ايرلندة وجها لوجه انك تواجه مأساتها وفقرها ، واذا اردت أن تكتب حقا عن ايرلندة ، فيجب ان تكون عارفا بكل احوالها . انك ان وصلت الى هذا ستصير شاعرا ومفكرا قويا . انك تواجه وجها لوجه وحدة قوية وامتحان قدرة الشاعر في مقدرته على امتصاص واستيعاب هذه الوحدة . استوعب ايرلندة ومأساتها ، وستصبح اذ ذاك شاعر البعث الجديد » .

قال ياتس هذا وكأنه يتحدث عن نفسه ، فهذا هو ما فعله . وعندما بدأت الحركة القومية في ايرلندة ، وقع التباس على الكثيرين من الايرلنديين لتعدد الجماعات السياسية والقومية . وكان عام ١٩١٦ هو عام فصل للتردد بين الايرلنديين . ففي هذا العام جمع الانجليز ١٦ قائدا ثوريا واعدموهم ، فكانت النتيجة ان اتحد الايرلنديون على اختلاف نزعاتهم . وكتب ياتس عن الثورة كغيره من الشعراء كتب الاشعار وكتب المسرحيات القوية التي كانت تعرض على مسرح الآبي الصغير . كان الجمهور يشاهد المسرحية ويخرج في صورة مظاهرة تهتف ضد الاستعمار . كتب ياتس يشرح ما حدث :

**لقد تغير كل شيء ، تغير كل شيء تماما**
**وولد جمال رائع**
**قلوب ذات غرض واحد ، صيفا وشتاء**
**تبدو وكأنها سحرت الى احجار**
**ان التضحية التي تطول تجعل من القلب صخرا**

وقد بلغ تأثر الشعب بكتابات ياتس حدا كبيرا حتى انه كتب في اخريات أيامه يتساءل عن مدى مسئوليته عن موت الشبان الايرلنديين :

**الان وقد هرمت ومرضت**
**فان كل ما قلت وكل ما فعلت**
**سيتركز في سؤال واحد فقط**
**يقلقني ليلة بعد الاخرى**
**دون ان اجد له جوابا**
**هل كانت مسرحيتي هي السبب**
**في ان هؤلاء الشبان**
**أصابهم رصاص الانجليز ؟**
**هل كانت كلماتي هي السبب**
**في الاعمال القاسية التي قام بها النساء ؟**
**هل استطاعت كلماتي ان تعلم الشعب**
**أن هناك بيتا فريدا في نوعه قد انهار ؟**

كان ياتس يحس بمسئوليته في خلق الحركة من بدايتها ، بدأ الشعور القومي ثم جاء يرى نتيجة عمله :

**لاني ساعدت على ملء هذه الساعة**
**فقد جئت لاسمع دقاتها .**

وسمع ياتس دقات الساعة ، سمعها في ثورة ١٩١٦ وفي سنوات الحرب التي استمرت سبع سنوات في ايرلندة . سمعها حين اختير عضوا في اول مجلس شيوخ ايرلندي ، سمعها حين نزل الى غمار الحياة العامة . لقد بدأت اشعار ياتس تصطبغ باحداث العصر وبشئون ايرلندة ولكنه استطاع ان يضفي على هذه الاحداث والشئون العادية ـ موضوعات كل يوم ـ صفة العظمة والاحترام . كان يعتقد ان الشاعر ينبغي الا يكتب الا ما هو جميل ، ويجب الا يتحيز لطبقة دون اخرى . ان الشعب ليس الفلاح فقط ، بل هو الموظف والعامل والجندي :

**يا شعراء ايرلنده ، تعلموا صنعتكم**
**ولا تتغنوا الا بكل ما هو جيد الصنعة**
**لا تأبهوا بتلك الاشكال الجديدة**
**التي تنمو بدون شكل من أسفل الى أعلى**
**انها صناعات واطئة من اسر واطئة**
**غنوا للفلاح ثم غنوا للسيد**
**غنوا عن تدين القديس وعن عربدة السكير**
**غنوا عن اللوردات وزوجاتهم**
**لتجعلوا منهم جميعا ايرلندة متحدة**

كان ياتس يغني لهؤلاء جميعا ، وكان يختار شخصياته وابطاله من بين المكافحين في كل الطبقات ، الفلاح المجاهد ، والجندي المقاتل ، والصياد المغامر :

**اني لا اختار الا الرجال الواقفين الصامدين**
**الذين يتسلقون الجبال التي توصل الى المنبع**
**حتى يصلوا الى الينبوع . وهناك فقط**
**يلقون متاعهم بجوار الصخرة المنبثقة**
**اني سارث كبرياء هذا الشعب المكافح**
**شعب لم يربطه نفع او دولة**
**شعب لم يرتبط بالعبد الذي يبصق عليه**
**ولا بالظالم الذي يبصق**
**انه شعب برك وجراتان**
**اللذين خلقا الكبرياء ، كبرياء شعب لا يلين !!**

القاهرة

**مرسي سعد الدين**

# الشعر الجديد في محنة

بقلم الدكتور محمد زغلول سلام

O

**الشعر** الجديد، او الاتجاهات الجديدة (١) في الشعر العربي ، تعاني هذه الايام محنة قاسية ، وهي محنة ظهرت اعراضها على الشعر نفسه منذ بدانا نطالعه في ذلك السيل من الدواوين والقصائد التي تطلع علينا من المطابع وعلى صفحات الصحف يومية واسبوعية وشهرية . وهي اعراض لازمت الشعر الحديث منذ مولده ، وتنبأ النقاد العارفون له منذ ظهورها فيه بانها تسيء اليه وتضعفه ، وحاولوا علاجه منها ، ولكن المؤمنين بهذا اللون الجديد من الشعر دافعوا عن اتجاهه غير مبالين .

والان يبدأ الشعر يجتاز محنة قاسية ظهرت علاماتها هذه الايام ولا تزال تقوى وتشتد ، ولعل اوضح تلك العلامات ما طالعتنا به لجنة الشعر في هيئة عليا موقرة بمصر في تقرير لها عما قدم اليها من شعر يجمع بين الاتجاهين المعتدل الذي ياخذ من التجديد بقدر ، والجديد الذي يجري على ما يجري عليه جمهرة شبابنا الشعراء هذه الايام . وقد ناصر التقرير الاتجاه الاول واهمل الاتجاه الثاني، وفي هذا تقدير للاتجاه الاول وتهوين من الاتجاه الثاني

وهذا الحكم والتقدير قد يبدو متعسفا عند شعرائنا المجددين ، ولكن الحقيقة انه لم يكن سوى كشف لظاهرة باتت تشغل الادباء في العالم العربي ، وهي ما يلقاه الشعر الجديد من نفور واعراض من القراء والمتذوقين للشعر . بل ان ذلك الاعراض والنفور قد تحول شيئا فشيئا الى موجات من السخط والتذمر والثورة احيانا .

واورد امثلة لموجة السخط تلك مما حفلت به صفحات الجرائد والمجلات في الاونة الاخيرة وترددت به كذلك موجات الاثير في اذاعة مصر وغيرها من الاذاعات العربية . ففي احدى المجلات الاسبوعية طالعنا كاتب اديب بمقال ياخذ فيه على ذلك الاستخفاف الذي طرأ على حياتنا الادبية وخاصة ما يتصل منها بالشعر ونقده ، وتقديمه للقارىء ، ويجعل عنوانه « الادب في المزاد » يقول فيه « والقارىء الذي يهتم بتتبع ما يكتب من تعليقات ونقد او تقريظ « مودرن » ويحاول مقارنته بما يكتب عنه لا يملك الا ان يعجب بقدرة المعلق او الناقد او المقرظ « المودرن » على جعل الحبة قبة وبراعته وسعة خياله اذ ينسب الى القصاص او الشاعر او المؤلف ما لم يخطر لاحد منهم على بال » يقولون مثلا : « ... هذا شعر جديد يعبر عن مفاهيم جديدة وقيم جديدة ، ويهدف في عمق الى فلسفة جديدة « الشاطر اللي يفهمها » ولن يفهمها اي شاطر ، ولا تعلم ايهما المفقود الشاطر ام الفلسفة الجديدة » .

ويتناول كاتب اخر بعض اولئك النقاد الذين شجعوا التيارات الجديدة في الشعر على ان تطغى ، وتحمل معها الغثاء ، فوجه اليهم اللوم لمغالاتهم في تقدير قيم من قدموا من الشعراء يقول عن احد اولئك النقاد « .. وكان يخشى لو قال للشاب الوطني المثقف انه ليس فنانا حقا ، او انه فاشل فنيا ، ان يهجر هذا الشاب مبادئه ومعتقداته ، ويفر من ميدان المعركة كجندي محارب . هذا خطأ لا شك فيه ... خطأ كان له ضرر كبير ، وقد تبين ضرر تشجيع هؤلاء الفنانين الفاشلين لمجرد انهم وطنيون مخلصون ، وضرر مدح كل من امسك بالقلم ليكتب قصة فيها دماء وشهداء وصراع وكفاح واستعمار وصعود وصمود وبعث وملايين وجموع وزحف ومؤامرة وخيانة وانتصار ... الخ » .

ويقول ثالث في مجلة اسبوعية اخرى « وبين ظهرانينا هذه الايام تقدم المطابع الوانا من الشعر والقصص التافه هي من ضحايا نقادنا السياسيين . في مجموعة اشعار عنوانها « اغاني الزاحفين » يقول الشاعر عبد المنعم عواد : في قصيدته ( رسالة الى ايزنهاور )

تقول يا رئيس
بأن في بلادنا فراغا
فأين ذلك الفراغ
وهل لانه لم يعد هناك غاصبون
يكون ذلك الفراغ
يا سيدي الرئيس
حكاية الفراغ هذه حكاية طريفة
معجزة جديدة
وانتمو هناك تصنعون معجزات
طرائفا تجدد الحياة
ليصبح الوجود يستساغ
يا مالىء الفراغ

هل هذا شعر ؟ انه جمل سياسية ، ولكنه ليس شعرا ، وليس ادبا ، وليس فنا . وفي الكتاب نفسه يقول الشاعر كمال عمار في قصيدة عنوانها « عد يا نيكسون » وهي قصيدة وزنها يشبه وزن « الله . . الله ... يا بدوي جاب اليسرى » ... وهو يقول فيها :

سبحانك
سبحان المعطي
يا خالق حلف الاطلنطي
ليجرب فينا اسلحته
اي مروءة
بل اية اخلاق حرة
معذرة
انا كرماء
لكنا لسنا بلهاء
والمؤمن لا يلدغ ابدا
من حجر اكثر من مرة
وانا مؤمن
عد يا نيكسون

ويورد امثلة اخرى لهذا الشعر يعلق عليها بقوله « ونصيحتي الى الادباء ان يعوا جيدا ان تصفيق النقاد لهم لن يجديهم شيئا ... ان الزمن هو الناقد الحقيقي الذي يجب ان يحسب حسابه الاديب ... هذه هي الحقيقة ».

---

(١) كما سبق ان اعلنت الاديب مرارا ما ينشر في الاديب يعبر عن وجهة نظر الكاتب وليس من المفروض ان يعبر عن رأي المجلة .

وقال رابع في مجلة ادبية شهرية « .. طفح واقعنا بنوع من الشعر اقل ما يقال فيه انه مرفوض ، فموقف القراء من شعرنا يتردد بين الرفض التام والقبول النظري » ثم تعرض هذا الكاتب لبيان مدى الهوة التي تردى فيها الشعر الجديد بسبب [ .. ] النقاد ، متخذا لذلك نموذجا للنقاد [ .... ] ، وللشعراء [ ..... ] . وبين في تحليله للمقدمة التي قدم بها الناقد للشاعر مدى التغطية التي افتعلها ، ومدى اخفاق المقاييس التي وضعها لذلك اللون من الشعر ، وانتهى الى ان الخط البياني الذي يمثل التطور الفني للشاعر ينحدر بسرعة الى اسفل بينما صوره الناقد متجها في صعود .

واتبع هؤلاء نقاد ومتحدثون تكلموا في الاذاعة المصرية ببرنامجها الثاني عن أزمة الشعر ، وقال احدهم ان الشعر المعاصر قد فشل او توقف ، ونحن في انتظار شعر جديد .

وعجيب في هذا كله انه ليس بين اولئك الثائرين طه حسين او العقاد او غيرهما ممن يرى اصحاب الاتجاه الجديد انهم متحاملون او رجعيون يريدون ان يقفوا بعجلة الادب ، وان لا يسمحوا لغيرهم من الشباب الصاعد ان يأخذ مكانه بينهم . بل يكاد الثائرون جميعا ان يكونوا بين طبقة المجددين بل ان منهم من دعا لهذا الشعر وشجعه

اذا فما هو السر في هذا السخط ، وفي هذا التبرم الشامل الذي يكاد يعصف بالشعر الجديد ويقتلعه اقتلاعا من تراثنا الادبي ؟

واقول ان السر في ذلك عناصر تجمعت وتكاثرت حتى دفعته الى هذه المحنة وساقته سوقا الى هذه الهوة . وهي عناصر شتى متداخلة ، بعضها راجع لحملة [ ..... ] التي قادها جماعة من النقاد ، وساقوا في طريقهم جماعة من الشعراء [ ..... ] تلقفوا [ .. .. ] الصماء التي تنادى بها اولئك النقاد ورددوها دون [ ... ] تدبر .

ولا اريد التعرض لموقف اولئك النقاد ، ولا الى آرائهم التي [ .. .. ] ، فقد سبقني الى ذلك اساتذة كبار وعلى راسهم طه حسين والعقاد ، ولا زالت اصداء المعركة بين طه حسين وبينهم تطن في الاذان ، وقد تناول الكلام القول في معاني الفن والجمال ، والاسلوب والموضوع وصلة الادب بالمجتمع والحياة ... وما الى ذلك . وجمعت تلك المقالات في كتب نشرت على الناس .

ولم يستجب الشباب الصاعد لاساتذة الادب ، بل استجابوا للخارجين المتحررين الذين طمسوا لهم معالم الادب القديم ، وزينوا طرائق ادبهم الجديد بالورود والرياحين . وسهلوا لهم الامر وهونوه ، فقام من يعرف الشعر ومن لا يعرفه ، والقادر عليه وغير القادر ينظم في سطور متفاوتة بين الطول والقصر ، لا وزن فيها ولا نغم ، ومعانيها مكررة باردة جامدة .

انا لست من اعداء التجديد في الشعر انما التجديد عندي احياء لا هدم ، وتلك النماذج التي قدمها الشعر الجديد نماذج هدامة ، والمحاولات التي اقدم عليها شعراء الشباب تجمعت فيها عناصر النقص لما نعرف من الشعر العربي بصوره واساليبه ، وتجمعت فيها عناصر الانفصال عن احاسيسنا ووجداناتنا . وقد سبق لي ان وجهت على صفحات هذه المجلة الغراء كلمة الى الشعراء ادعوهم فيها الى التمهل وعدم الاندفاع في التهجم على الشعر العربي باعتبار انه قديم لا يستحق منهم عناية او تقديرا ، وباعتبار ان اساليبه لا توافق العصر . وقد قلت اننا لا نستطيع ان نلغي وجداناتنا ببساطة المتحررين ولا ان ننقطع عن تراثنا الادبي الطويل لمجرد الادعاء بان لغته اصبحت غير ملائمة

وقد حمل الشعر الجديد في طياته ضروبا من القيم الهابطة — لا الصاعدة — لانه تناول الجوانب المظلمة من الحياة بحجة الواقعية ، وكأن الواقعية لا تعني الا البؤس والشقاء ، والشر والجنس ، والانفعالات الدنيئة ، والزوايا المظلمة التي تفرخ فيها الرذيلة ، وكأن الواقعية لا تعني الجمال والنجاح والحب والخير والجوانب المشرقة من الحياة . حقا ان الحياة خير وشر وجمال وقبح ، ولكنها تنتخب وتتخير وتسمو دائما للكمال ، وكذلك الفنان في فنه يختار ويتمثل الصدق ، صدق الاحساس الذي يدفعه لا شك الى السمو لا الهبوط ، والى الاعتدال لا الانحراف ما دام فنانا واعيا لا منحرفا .

هذا من ناحية موضوعاته ، اما اداؤه وطرق تعبيره ، فكان خليطا مضطربا من الضعف في الصور والاساليب واللغة وتعجب ان تسمع لقولهم ان الشعر الجديد قائم على الصورة الشعرية بخلاف الشعر القديم الذي كان الاسلوب فيه واللفظ عمودي التعبير ، وكأن الشعر القديم عجز عن التصوير وكأن صور البحتري وابن الرومي والمتنبي ليست صورا انما هي عبث لا طائل وراءه عندهم .

وليتهم اجادوا الصور وابدعوها ، حتى تثبت حجتهم وتقوى ، وحتى يشتد متن شعرهم ويعجب القارئين ، بل انهم على العكس من ذلك عمدوا الى الغموض والاضطراب والتهويم في غير طائل . ويمكن مراجعة قصائد الشعر الجديد ، والوقوف على ذلك الخليط المتراكم من الصور التي لا يربطها بعضها ببعض معنى قريب او بعيد .

وقد لاحظ هذه الملاحظة غير واحد من النقاد ، واذكر نقدا وجهه الاستاذ كاظم جواد للشاعرة سلمى الخضراء قال فيه يذكر قصيدة لها « .. ففي قصيدة السيدة سلمى كما في اغلب القصائد الحديثة تشيع روح النظم في بعض الابيات بحيث تبتعد عن سياق الجو الشعري السائد ، ومن ذلك قول الشاعرة :

ذئاب تعربد في أرضنا     وارسو على الشاطىء الاخرس

وانا لا ادري ما العلاقة بين الذئاب المعربدة والرسو على الشاطىء الاخرس . الحق ان المعنى الذي قصدت اليه الشاعرة لم يتحقق ابدا لان الكلمات لم تتخذ مكانها الطبيعي الموحى المتآزر » وقد بدت المفارقة واضحة بين الصورتين الاولى في صدر البيت والثانية في عجزه .

اما الاساليب واللغة فقد ساد فيها الضعف والركاكة والعامية ، وكان حجتهم ذلك انهم واقعيون ، وانهم يعبرون عن الشعب والجماهير ، وان لغة الجماهير هي تلك اللغة او قريبة منها ، وغاب عنهم ان الواقعية لا تعني محاكاة الاسلوب والكلمات بالقدر الذي تعني فيه محاكاة الانفعالات والسلوك . لان محاكاة اللغة امر هين قادر عليه كل انسان وليس كل انسان فنانا او شاعرا ، انما فضل الفنان والشاعر انهما يسموان في التعبير ، وعنصره الاساسي في الشعر الاسلوب واللغة . وليست حجة التقرب من الجماهير بحجة انما هي مغالطة بينة ، لان الشاعر لا ينزل للغة الناس انما

يرفع الناس اليه ، والاتجاه الاشتراكي الجديد في الحياة لا يعني سيادة مظاهر الانحطاط التي خيمت على الشعوب في عصور الاقطاع ، انما يعني على العكس انتفاع الشعوب بالقيم التي اكتسبتها الطبقات الارستقراطية في تلك العهود ، اي رفع الشعوب الى المستويات التي كان يحياها السادة . وقد مر الادب بعصور مختلفة واقطار متعددة ، وعاصرته فنون من الاداب الشعبية ، ولم يقل احد ان الادب الفصيح ينبغي ان ينزل الى مستوى الادب الشعبي او ان يستعمل لغته واساليبه او يقترب منها ، بل كان لكل منهما مجاله وقيمه .

والوزن من العناصر التي ادت بالشعر الجديد الى هذه المأساة ، فقد عمد الشعراء الى التحرر من الوزن ، وحسبوا انهم قادرون على الخروج عن نطاق البحورالعربية ببساطة وحاولوا ، وتحرروا من القافية ، ثم من نظام البيت المعروف ذي الشطرين المتساويين ، ثم من البحر الموحد من القصيدة الواحدة ، فاستخدموا تفعيلاتمختلفة من بحور مختلفة حسبما يعن لهم ويحلو في القصيدة . ولم يصلوا من هذا كله الى نتيجة مرضية حاسمة . بل كانت النتيجة اضطرابا وخللا يشيع في سائر اجزاء القصيدة الحديثة ، ولا تعبر التغيرات النغمية عن تغيرات انفعالية كما يدعون بل تستطيع ان تتبين في وضوح ان تلك التغيرات تتم حسبما يريد الشاعر لها طولا وقصرا وهكذا وجدنا الشعر الجديد مجموعة غريبة من الاسطر المتتابعة تتردد فيها الكلمات والنقط في صور اقرب الى التطريز الشكلي ـ على الورق ـ منها الى الترابط النغمي مع المعاني .

والواقع ان المجددين قد غالوا في اعتبار الاوزان التقليدية للشعر العربي قيودا تحدد تصرفهم في التعبير ، ذلك لان الاوزان العربية سمحت لضروب واسعة متباينة من التعبير ، ولم تعجز عن البلوغ بها درجة فنية رفيعة خلدتها في سجل الادب العالمي . وهذه الاوزان صور موسيقية التزمها الشعر العربي بعد تجارب طويلة حتى استقرت على ما هي عليه ، وهي نتيجة للملاءمة الصوتية بين مقاطع الالفاظ في اللغة العربية ، كما انها كذلك موافقة لطبيعة الشعر العربي .

والبحر العربي قالب موسيقي عام ، لا يحرم الشاعر من التنويع النغمي في ابيات القصيدة، فالبحر بمثابةالوحدة الموسيقية اذا ، وهي وحدة مطلوبة في القصيدة الواحدة التي تدور حول موضوع واحد ، وتستطيع الموسيقى الداخلية ان تقوم باداء الالوان الاخرى التي تقتضيها المعاني الجزئية . وفي الشعر العربي نماذج جيدة من محاولات الشعراء الافادة من الموسيقى الداخلية مع المحافظة على البحر . ولعل شعراء الدولة العباسية ، كابي تمام والبحتري ومسلم بن الوليد والمتنبي ، وشعراء الاندلس كابن هانيء وابن زيدون ممن وفقوا الى تقديم نماذج قيمة من هذا النوع .

ولم يقف الشعراء مع ذلك في قديم الزمن امام القوالب التقليدية في البحور مقيدين بل حاول كثير منهم التحرر والتجديد ، وكان ذلك التجديد شاملا القافية ، فنرى بعض الشعر يروى في قافية حرة منذ اقدم العصور وقد روى ابن سلام وابن رشيق امثلة لذلك . كما رأينا بعض الشعر ينظم في قافية متغيرة ، ومن امثلته القديمة الرجز ، والقصائد الطويلة التي تنظم في موضوعات تاريخية او اجتماعية ، ومنها ارجوزة ابن المعتز في المشرق ، وحازم القرطاجني في المغرب بعده بزمن طويل .

وتمثل الموشحات ، والدوبيت ، وغيرها من صنوف النظم محاولات مختلفة من الخروج على نظام القصيدة العربية . ولكن كل تلك المحاولات لم تستقر ـ ولا اقول لم تنجح ـ بل ظلت فترة ثم عاد الشعر الى نظام القصيدة العربية في شكلها التقليدي .

وعندما قامت حركة البعث الاخيرة في الشعر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يجد شعراء الحركة غير السير على نهج القصيدة العباسية ، لانها تمثل عندهم القمة التي بلغها الشعر من حيث الاسلوب والصنعة الشعرية عامة .

وهكذا نجد ان الشعر العربي القديم لم يكن في ذاته جامدا ، ولا غير قابل للتجديد في صوره واساليبه ، وانما كان يسمح بهذا التجديد في حدود معقولة ، وفي خطوات هادئة رزينة ، لا في قفزات هوجاء تنقطع به عن ماضيه كما فعل الشعر الجديد . فانه احدث ما احدث من تجديد في الاوزان ، ونزوع بالاسلوب الى البساطة المخلة ، بل الى العامية ، فكانت النتيجة مسخا مشوها لا صلة بينه وبين الشعر من عناصر ثقافتنا ووجداننا الادبي .

وبعد فاننا نتساءل الان ما هو المخرج من تلك المحنة الشعرية ؟ والجواب عن ذلك عسير ، شاق ، وكل مانستطيع قوله هو النصح بالرجوع الى تراثنا ، والعودة الى النماذج الجيدة من شعرنا القديم والحديث على السواء ويستطيع شعراؤنا ان يقرأوا ذلك الشعر ، وان يحفظوا ما راق لهم منه ، الى جانب ما ينبغي عليهم عمله من التزود بالمعرفة العميقة الواعية ، وعدم الاكتفاء بالفقاعات التي تطفو على السطح فانها توهم الغر وتعجبه ولكنها لا تحوي شيئا غير الهواء

وارغب الى شعرائنا ان يتمثلوا في صدق احاسيسنا ومشاعرنا مصريين وعربا ، وان يترجموا في صدق كذلك عن تلك الاحاسيس والمشاعر ، وان يتجنبوا ما استطاعوا كل ما يورد لهم من معان واحاسيس وتيارات وانماط مجتلبة غربية وشرقية ، قد تكون نافقة ناجحة في غير بلادنا ، ولكنها لا تتلاءم معنا ومع قيمنا وتراثنا وتقاليدنا ، فتكون النتيجة الانفصال بين الشعر الذي يترجم عن الافكار المجتلبة ويصاغ في انماط غريبة وبين القراء الذين يعيشون في قيمهم وتقاليدهم وتراثهم ولا يمكنهم التخلي عنها في طفرة .

وارغب لشعرائنا كذلك ان يبذلوا الجهد ، وان يكفلوا لانفسهم المران الشاق الدقيق وان يتخلى بعضهم عما ثبت في وهمه من ان الاتجاه الادبي الجديد ينحو نحو البساطة فهذه دعوى خادعة مضللة ، روجها البسطاء الذين ارادوا ان يكسبوا كل شيء بلا شيء . وهي دعوى تحمل في طياتها بذور الانحلال لادبنا الذي نريده حيا قويا يعبر عن واقعنا الحي القوي .

**الاسكندرية** **محمد زغلول سلام**

قصة قصيرة

# قبرها الذي مات معها

بقلم علي بدور

○ ○ ○

**كانت** مقبرة « العرابي » ساكنة قريرة ، حتـى بدت القبور حزينة رغم ما اشتملت عليه من ورود وازهار ، واغصان مختلفة من شجر البرتقال والليمون والزيتون ، وكان النحيب الذي يتصاعد في الجو يصل اذان المارة في الطريق المحاذية للمقبرة انسبه بتراتيل بسيطة ، صاغهـا الحنين ، ورجع الحانها الشوق لاحباء قد ماتوا ، ولم يتركوا الا ذكراهم تتلاشى شيئا فشيئا ، مثل شمعة تضيء ظلمة ليل حزين موغل في الحزن ، وكانت القبور قد نثرت هنا وهناك في غير انتظام ، شأنها في ذلك شأن الحياة الانسانية قاطبة .. وكان احجار القبور المنتصبة اشبه بسنابل سمقت سوقها طويلا وظلت رؤوسها فارغة من الحب ، حتى لكانها تعبر عن الموت الذي لا يخلف بعده شيئا عدا التفاهة والزوال . اذ الاحياء ينسون الاموات بسرعة في زحمة الحياة . والاموات تحت الثرى ، تتوزعهم الديدان وجبات غداء عديدة ... حتى تبقى العظام .. و.. الجمجمة ، وامزة الى ان المصير البشري عظمات وجمجمة فارغة الجوف ، خالية من الفكر الدقيقة ، والخواطر الرقيقة ، والحماسة اذا بلغت اشدها في رؤوس القادة !!

لعلها المرة العاشرة التي ازور فيها ، مقبرة « العرابي » . انني اعلم علم اليقين ان اختي جليلة قد دفنت في الزاوية الغربية من المقبرة . ولكنني بعد ان اتعب من البحث عن قبرها في المكان المعهود ، اذهب باحثا على غير هدى في المقبرة كلها باحثا عن قبرها بين القبور باسطا كفي لتربتها ، متحسسا الاعشاب التي تغطي القبور غير المستترة بصفائح الحجارة ، لعل في هذه الاعشاب شيئا من براءتها ، من طفولتها اليانعة ، من انسها الرقيق من بشرها الذي كان يفيض فلا يغيض انني الى اليوم ، احاول ان اطمئن الى مصيرها ، والى اليوم ما زلت غير متفهم ، هذه الاسرار التـي تحيط حياتنا ، اذ ما الفائدة من حياة فتاة صغيرة لم تتجاوز الثلاثة بعد . وهل اذا كان مقدرا لها ان تولد ، فلماذا يقدر لها ان تموت ، وهي بعد طفلة بريئة ؟

كانت جليلة الصغيرة بالغة الحلاوة عينان سوداوان ، وانـف رقيق ، وسمرة محببة الى القلب ، وذكاء اكثر من المعتاد في امثالها .. وفم يضحك ويضحك ، حتى لترتسم من خلل الدموع على شفتيها ، ضحكة خفيفة ، بريئة براءة الطفولة ، وكانت اسرتنا تعيش على بهجة هذه البراءة العميقة اذ ليس ابهج من اسرة تضم فتاة الى عداد افرادها الذكور ــ فيستطاع حينذاك التعرف على حقيقة البراءة التي تمثلها المراة ، ولو كانت بعد صغيرة ، وكذلك يستطاع تلمس الحنان والعاطفة الخالصة والرقة ، وليس اتعس من عائلة ضمت الذكور ، ولم تسعد بانثى واحدة . ولقد كنا نعلم ذلك كله ، ونعلم ان الام مهما كانت وفية لاولادها وزوجها ، بالغة الرقة والعطف ، فاننا الذكور ، لم نكن نستطيع تلمس ذلك الا مشوبا بعاطفة الامومة ، تلك العاطفة التي تحجب عن أعيننا كل ما كانت تشعر به امنا ، عندما كانت عذراء ، وكل ما كان يفيض عن نفسها وقلبها . وهي لم تزل صغيرة طرية العود .. وكنا ما نفتأ انا واخي في كل صباح ، نطلب الى امنا في الحاح ساذج ان تأتينا ببنت . اننا مللنا رتابة العيش ، والتكرار في اسلوب الحياة اننا نريد اختا تملأ البيت صراخا رقيقا ، ونريدها ان تحبو ، وان تنهض ، وان تذهب معنا الى المدرسة ، ونريد عدا ذلك كله ان نطعم شجرة العائلة بفتاة ، لعل هذه الشجرة تستطيع التمدد والانبساط بما سوف تكسبه من مرونة وبما ستحوز عليه من قابلية للتزايد .. في الاوراق والازهار والثمار !! وكان ابي يضحك وتلمع عيناه بجذل هادىء ويربت على كتفينا وهو يتصنع بلاهة الاطفال :

ــ انها اتية على الطريق .. ولا تلبث البضاعة ان تصل !!

وبالفعل ، فقد كانت جليلة اتية.. وكانت بضاعة بشرية من نوع ممتاز ولكن كان لها من الطباع ما يقطع انها لن تعيش . كانت لا تعرف البكاء . انها صامتة دائما ، اشبه براهبة تتحدث صمتا ، وكانت طيعة وديعة مثل حمامة رات حولها الطبيعة سعيدة ، فبدت سعيدة مثلها ولكن في وقار صاف وهدوء تخاله سير النسيم في اماسي الصيف . ولم يكن في وجهها من التعابير ابرز من هذه الرقة .. هذه الصياغة الالهية البارعة .. هذه الامثولة الحية التي تريد ان تشيع الهدوء والسكينة في وجود صاخب قد ملأه الضجيج وكان في وجهها عدا ذلك كله ابتسامة موحية لا تبرحها ، كروح التبسم عندما يتجسد في وجه ملاك صغير . وكانت جليلة تعبر اكثر ما تعبر بعينيها عن مشاعرها البريئة واحساسها البكر وعاطفتها السمحة .. وكنا نفهم ، انها تحب او تكره ، تسر او تحزن ، تريد او ترفض ، من عينيها الصافيتين اللتين كانتا ولا شك ، تعكسان لنا صورة حية ، عن قلب صاف لم تعكره اكدار الحياة بعد .

والفناها .. بكل جوارحنا . كانت بهجة البيت الصامتة . من بسمتها نضيء ليالينا ، وعلى هدى صخطاتها نتمتع بالسعادة ، وفـي حركاتها ، صورة صادقة عن نشاطنا الدائب الذي لا يفتر . وكانت تبدو جميلة بل واكثر واقعا من حال الجمال ، عندما كانت تحبو ، لتحضر لابيها مسبحته او لتتناول الطاسة من النافذة او تلعب بدفتر اخي ، وقد اوشك ان يتفتت بين اصابعها العابثة به.

في الصباح الباكر ، وبينما تكون خيوط الفجر يجتمع بعضها على بعض لتشكل غلالة زاهية للصباح الجميل ، تكون جليلة ، قد تحركت عن فراشها ، ومرت بامها وابيها معجلة ، تريد ان تدركنا قبل ان نصحو .. وتندس تحت اللحاف مثل هرة ذات جلد املس نظيف ، وتبدأ

العبث باقدامنا ، فنفرح ضاحكين ، وتكاد تنفجر ضاحكة مسرورة . انها تعيد ذلك في كل يوم ، وننتظره نحن في كل يوم منها ، رغم انها الان موسدة وحدها ، في قبرها الصغير، ولعلها لا تستطيع ان تتحرك ولا تستطيع ايضا ان تعبث باقدامنا لنصحو .. ولعلها ايضا لا تشعر ان بجانبها يرقد دفتر صغير كانت قد اعتادت ان تعبث به . انه ولا شك سليم الصفحات ، فيا ليته يتمزق من جديد ، ويا ليتها تكون اليوم حاضرة لتوقظنا رغم اننا كبرنا ، وصرنا شبانا .. وتحررنا من جملة عادات تألفها الطفولة وتتركها للحياة الناشئة ، فلا تنتقل الى مختلف مراحل العمر . ولعل في ذلك سر شقاء الانسان . انه ينسى البراءة والطهر والمرح ، وتغلب عليه روح الحقد والكره والبغض ، وينتهي شيطانا بعد ان يبدأ حياته ملاكا طيبا رحيما .

ما زلت اذكر الى اليوم ، اخر نهار لها ! استيقظت كعادتها فأيقظتنا . وكان يوم جمعة . وبعد ان انصرف والدي وذهبت والدتي الى المطبخ لتغسل ثيابنا ، جاءت جليلة وتمددت بيني وبين اخي . كانت مسرورة اكثر من الاعتياد . وكانت تضحك بشدة حتى خيل الي انها سوف تموت من الضحك ، وقامت نصف قومة تريد النافذة لتشرب ، ثم رجعت لترتمي بيننا ، وكأن شيئا قد مسها توا فاصابتها رعشة برد وعلا وجهها اصفرار مفاجىء وتحول قدماها الى ثلج ولكنه لا يذوب ، انه يزداد برودة باستمرار ، ولم يبق في وجهها سوى بريق عينيها المعبر عن خوف لا حد له .. وادركنا بغريزة الطفولة ان اختنا العزيزة تجتاز يوما خطرا . وان كنا بعد لم نتصور انها مائتة لا محالة ولما عادت امي من المطبخ تريدتنظيف الغرفة ، رمقت جليلة بعين الام التي تفهم كثيرا ، فلاح على محياها انكسار وهمود ، وضمت جليلة الى صدرها واخذت تبكي .

كانت جليلة تشكو مرضا بسيطا لعله من الامراض التي تنتاب الاطفال عادة في مستهل اعمارهم وكانت عنايتنا بها محدودة ، بحيث اذاتفرغت امي من عملها الدائم ، اخذتها الى الطبيب في اوقات عمله المجاني التي كان يحبسها للفقراء وعادت بوصفة بسيطة ، لعلها كانت توقف المرض عن الزيادة وان كانت لا تقضي عليه . وكان اصل العلة ، بردا نالها في حفلة عرس دون ان تحتاط امي لذلك بالاغطية الكافية . فكانت القاضية .

والى اليوم لست ادري كيف ماتت جليلة ظهرا . كل الذي اعلمه ان امي خالفت حرصها لاول مرة ، فلم تمنع عنها قطعة صغيرة من الكبة التي كانت تعدها للغداء . ولعل امي قد يئست من شفائها ووثقت ان هذا اليوم ، انما هو يومها الاخير .. فماذا يجديها ان تردها عن قطعة كبة لن تميتها وحدها ما دامت اذرع الموت توشك ان تحتويها بسرعة لا حد لها . فلما عدنا من السوق رأينا امنا تبكي وجليلة ممدة في سريرها وعلى وجهها ملاءة بيضاء ومن سريرها تعبق رائحة طيبة ، كان شجرة ياسمين قد مدت جذورها في جسد جليلة ، والتفت اغصانها الرقيقة على اطراف السرير الحديدية الصدئة

لم ابك ، وكذلك فعل اخي ، وان كان ابي قد تأملها كثيرا ولاحت على وجهه امارات الحزن الا انه بدا طبيعيا كان جليلة لم تمت وكأنها لم تولد ، فلم نحزن كفاية لموتها . وعندما حملوها في الليل كان الظلام يلف منزلنا شيئا فشيئا . وكأنه يريد ان يخفي لوعتنا اليائسة الصامتة في فضائه العميق الكثيف ، حتى اذا اشرقت شمس الصباح بدت الدنيا سعيدة ، وتابعت الانسانية سيرها ، وهي وان كانت تفقد بعض ابنائها في الطريق ، الا انها لا تكف عن المسير .

شعرنا بوحشة قاتلة في الاشهر الاولى لفراقها الابدي ، ولكن في الانسان هذه الطبيعة المحببة ، المقدرة على النسيان ، والاندماج في المشاكل الجديدة وممارسة الصعوبات المتتالية التي تدفع المرء لان ينسى الماضي وكل ما فيه اكان حافلا بالمسرات ام طافحا بالفواجع والالام ولقد اصبحت جليلة في نفوسنا ، ذكرى من الذكريات العابرة . هي لم تعمر اكثر من ثلاث سنين وماتت دون ان تترك اثرا ذا ضجة . لقد كان صمتها كثيرا وكان ضحكها قليلا ، ولم نعد نذكر سوى يومين من حياتها يوم ولدت ويوم ماتت ، حتى قبرها الذي ضمها الى الابد ، اصبح ذكرى ايضا ، اننا اليوم قلما نهتدي اليه، وقلما نزوره في المناسبات العامة كايام الاعياد مثلا ولكنني برغم ذلك كله ، عندما اقف وحدي في هذه الدنيا الواسعة واشعر انني بحاجة الى انس المرأة لاعمر به قلبي ، فلا اجده ، يعز علي ان لا اجد الاخت الطيبة كذلك . وتنتابني خيالات مريضة ، مخيفة ، فاتمنى ان تواصل جليلة حياتها الصامتة وهي في قبرها ، فتكبر وتكبر وتخرج في ليلة داجية اشبه بحورية ساحرة ، تعرف ان لها اخا لا يزال ينتظرها ، ولا يزال يعيش على هذا الامل ما وسعه العيش .

ابي اليوم في عداد الاموات . وامي تضع رجلا في المقبرة ورجلا على بابها وبيتنا لا تملأه البهجة ولا يعمره الانس . والايام لم تعد تسمح ، كي نطلب بسذاجة الاطفال من امنا ان تأتينا ببنت حلوة نعيش واياها بحنان وحب . ولم يبق لنا اب طيب يمازحنا ويطلق نكاته عن البضاعة الطيبة التي قطعت اكثر مراحل الطريق ، واني التفتنا وجدنا النجوم بعيدة ، وقلوب الفتيات تفيض بالود للاخوة والاحبة، وليس هناك من قلب يشاركنا شعورنا بان الحرمان من زاد العاطفةالانسانية اشبه بالحرمان من الماء والهواء والطعام . ان جليلة الصغيرة قد ماتت ،ولكنها لا تزال تنمو الى اليوم في قلبي وتكبر معه . فهي اليوم في حدود العشرين من عمرها ، تبسم للحياة في جذل وتطلب انس قلبها بهدوء ، ما دامت تريده مقيما لا عابرا .

ان هذه الاحلام العذبة والاوهام التي يبهرجها الخيال ، اشبهبالسراب الذي يخفي الحقيقة المرة الناطقة بان جليلة قد ماتت ولها من العمر ثلاث سنوات . وان قبرها قد درس بالتأكيد ما دمنا قد اكتفينا بتلة تراب صغيرة ، قد مهدتها اقدام السابلة على ممر السنين ، وافراد العائلة قلما يزورونها ولو في العام مرة ، وجليلة لن تكبر في قبرها ولو مقدارا ضئيلا .. ولعلها اليوم قد امحت بتاتا ، حتى جمجمتها وعظامها يمكن ان تكون قد ذابت . فعظام الاطفال نوع من السنابل سرعان ما

## شعرها

٥

شعرك مسكوبُ الشَّفقْ … شلاله العطر اندلقْ
خيوطه شالُ الغيوم … والربيع الحلوُ رَق
مجدولةٌ منسولةٌ … من العشايا والغسق
كأنها مغروسة … في كل نجمٍ يسترق
جذورها من الاعالي … وزعت كما اتفق
اشارة الى مداها … في البعيد المنطلق

* * *

لينةٌ من موجةٍ … ممدودةٌ من الافق
فروعها تسقي السَّنا … لخصلٍ من العبق
غمسَّها بصوته … حسُّونُ غصنٍ مذ عشق
رفَّه منها ريشه … فرف حلمٌ وأنعتق
في قلبه لهيبه … لِمْ يا ترى الريش احترق

* * *

لها الغيومُ والنجوم … لها القلوب والحدَق
لها السنا ، لها المدى … والحلم في جرح الارق



* * *

ان جدلت فعنبرٌ … هل للشذى الحلو نسق
او أرسلت فجدول … يجري بمسكوب الشفق

كفريا ـ لبنان … **علي شلق**

---

تمحي بتاثير الطبيعة وقسوة الحياة.

انها ولدت .. ثم ماتت . لم تأت ذنبا ، ولم تغضب احدا . فتركت في حلوقنا غصة ما امرها اذ لا استطيع ان انسى هذه الوردة التي تفتحت على شمس نيسان ، ثم فاجأها الصقيع فايبسها من جذورها وترك في الجو انساما عطرة من شذاها ، فساقتها ريح الجنوب في اتجاه مقبرة « العرابي » لتوزع اريجها على كل القبور المائلة ، عساها تصيب قبر جليلة الضائع .. قبرها الذي مات معها ...

... وايان ذهبت وحيثما توجهت فان عيني تمتلآن بدمع سخين كلما تمثلتها وهي تحاول ان تندس تحت اللحاف مثل هرة جميلة ذات جلد ابيض نظيف ، تمازحنا وتلاطفنا وتنتزع الضحكات من افواهنا انتزاعا وكلما تذكرتها ... وتذكرت قبرها الضائع بين القبور ، وشاقني الحنين الى اخت ودودة ، تساءلت بين مصدق ومكذب :

ـ ترى اتعود جليلة مرة اخرى ، ام انها مضت ولن تعود ؟

حلب … **علي بعدور**

# اضواء على الادب الشعبي في العراق

بقلم باسم عبد الحميد حمودي

✴

لو وقفت — ايها القارىء الكريم — بقرب احدى مكتبات سوق السراي ببغداد الكثيرة لمر عليك في مدى ساعة رجل يرتدي العقال والكوفية مسبل الازار وسأل صاحب المكتبة « عندك قصة سيف بن ذي يزن ؟ » فان اجابه بالنفي ساله « وقصة عنتر ؟ » فان كرر نفيه ذهب الاعرابي الى مكتبة اخرى وسال عن بغيته او اضاف اليها اسئلة عن كتب المياسة والمقداد والحمال والسبع بنات وقصة قمر الزمان والف ليلة وليلة وقد لا يرضى من الاخيرة بالطبعة المزينة المنقحة التي اخرجتها — على اجزاء — دار النشر العربية ببيروت منذ سنوات ويتهلل وجهه فرحا اذا ما وجد الف ليلة وليلة باجزائها السميكة ذات الورق الاصفر وان سالته عن السبب لاجابك بانها ابطء — من الاجزاء الصغيرة — في قتل الوقت ولا شيء غير ذلك، وبما انها اسمك فانها لا تكلفه عناء المجيء دائما من قريته الزراعية الى المدينة لشراء الاجزاء الباقية . وان سالته « اتعرف القراءة والكتابة » لاجابك « كلا وانما الذي يقرا هو ابني بعد ان ياتي من مدرسة القرية ونفرغ من اعمال يومنا فنتحلق حول موقد النار والشاي وحول الكتاب الذي يمسكه ابني ويقرا فيه ونحن صامتون طورا ومستفسرون اطوارا معجبون ابدا » . ان هذا الرجل الامي ما هو الا واحد من الاف من امثاله يقصدون سوق السراي — اكبر سوق للكتب في بغداد والعراق — لشراء هذه الكتب من الادب الشعبي في العراق .

ومنذ اكثر من عشر سنوات صدرت طباعات منقحة — بعض الشيء — خالية من الاطناب والاسفاف لبعض هذه الكتب قام بنشرها رجل نصف امي هو نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية وكان همه — رحمه الله — المال ولا شيء غيره ولكن هم الاديب الذي اشرف على طبعها وتنقيحها وتزيينها برسومه الرائعة هو تهذيب الادب الشعبي واخراجه للناس بشكل جديد ملائم لكافة الطبقات المتعلمة منها ونصف الامية ، وهذا الرجل هو الاديب والفنان المنسي الاستاذ امير عباس .

ولو تصفحنا كتب الادب الشعبي لوجدناها تمجد البطولة ( المياسة والمقداد وعنترة ) وتنادي بالحب العنيف ( مجنون ليلى ) ، وان لم يخل بعضها من الفحش والفجور ( الحمال والسبع بنات ) .

ان الدافع البطولي الموجود في معظم هذه القصص الشعبية ليحبب لهؤلاء الفلاحين وانصاف المثقفين من الشباب المراهق على وجه الخصوص شراء هذه الكتب والاستمتاع بها ، والدافع الذي يدفع الفئة الاولى هو ذكرى ايام اجدادهم الغابرة عندما كانوا عشائر جوالة ديدنها الغزو وعدم الاستقرار ولوجود مشكلة الثار المستعصية بينهم وما يتبعها من سفك الدماء والمتمثلة في بعض هذه القصص كقصة المهلهل مثلا .

واما الفئة الثانية فكلنا يعرف نفسية الفتى المراهق التي تجعله عبدا للقوة والسطوة محبا لها فيجد في هذه القصص الشعبية الساذجة تنفيسا لرغباته ومزيدا من احلام اليقظة التي يجترها بعد اطلاعه على ما احتوت من حروب ومغامرات عاطفية كما يجد بغيته الان في افلام ( الكاوبويز ) الامريكية ولست اريد ان احصر متذوقي الادب الشعبي بهاتين الفئتين من الناس او بهذه الكتب القليلة وانما سقتهما كامثلة ملموسة حية في متناول ايدينا .

ولو تجولنا في جنوب العراق لوجدنا « الحسية » وهي لون من الوان الغناء الريفي تظهر فيه عبقرية ادباء الريف المغمورين وتلاعبهم بالكلمات التي تعطي معاني كثيرة وحبكها بطريقة جذابة لطيفة اقرب الى التورية منها الى اي شيء ومن امثلتها هذه الابيات الجميلة :

حاير شكتب بخطي وشملي  
صرت ريحانتي انت وشملي  
عشية ينجمع شملك وشملي  
نطبك عيشنا ونكعد سوية .

تفسيرها انني في حيرة ، ماذا اكتب بيدي ؟ وماذا املي على الكاتب ؟ لقد اصبحت انت — يا حبيبي — ريحانتي وانت وحدك شملي وعشية ينجمع شملك وشملي تجتمع اسباب معيشتك مع اسباب معيشتي — اي نتزوج ثم نجلس سوية .

ولو نظرنا الى المدن العراقية الكبيرة عامة وبغداد خاصة لوجدنا المقام العراقي ، ولست اريد ان ابحث في المقام العراقي بالتفصيل والضجة التي اثيرت حوله منذ اكثر من عام في مجلة المجتمع العراقية (1) واثيرت ضجة ومناقشة اخرى في جرائد بغداد — جريدة الشعب على الاخص — حول تطويره — كما يقول البعض — او هدمه — كما يقول البعض الاخر .

وانما اريد ان اقول : ان المقام العراقي كان في وقت من الاوقات من دعائم الفولكلور في العراق ولا تزال

بعض اثاره موجودة حتى الان في الحفلات الغنائية الاذاعية والموالد النبوية والافراح والاحزان .

واذا استمعنا الى حفلة مقامات عراقية من الاذاعة وصرفنا النظر عن موسيقاها المضطربة المتنافرة وجئنا الى اقوال المغني لوجدناها تبدأ بقصيدة بالعربية الفصحى ثم تنتهي بـ « تضمين » للقصيدة ولكن باللهجة العامية ، وهي اشبه بالمعارضة الشعرية منها الى تشطير وتخميس القصائد واشهر « المضمنين » هو السيد جبوري النجار الذي يعتمد عليه اغلب قراء (٢) المقامات ثم يتبعه الاستاذ محمد القبانجي ، واليك مثلا للتضمين ، يغني المطرب قول الشاعر هكذا :

بلادي وان جارت علي عزيزة
وقومي وان شحوا علي كرام

ثم يضمن البيت ابيات من اللهجة العامية اقرب الى الازجال المصرية فيقول :

الك يا لعذبت روحي بلادي (٣)
سعيد اللي قضى عمره بلادي (٤)
الغريب اصبح يزاحمني بلادي (٥)
وعايش دون خلق الله بلادي (٦)

ويسمي هذا التضمين : « ابوذية » ايضا ، ولا تختلف الابوذية في المدن عن ابوذية الريف الا في الكلمات العامية المختلفة من بيئة الى اخرى واللوازم اللغوية التي تميز منطقة عن اخرى .

ويكون الشعر الشعبي جزءا مهما من الادب الشعبي وكل العراقيين يذكرون قصيدة ( المجرشة ) التي نظمها المرحوم الملاعبود الكرخي عميد الشعر الشعبي وعارضها بقصيدة رائعة بنفس العنوان ابن اخته المرحوم عبد الامير الناهض رئيس تحرير جريدة الكرخ المحتجبة ، ثم انتشرت هذه القصيدة الشعبية التي تصف احوال البلد الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت باسلوب ساخر .. انتشرت محرفة بين ارياف العراق ومدنه ثم نشرت على الوجه الصحيح في الجزء الاول من ديوان الكرخي الذي صدر منذ اشهر .

وما دام بين العراقيين من يتذوق هذا الشعر ويعتبره اقرب الى نفسه من الشعر الفصيح واكثر تعبيرا عن الامه وآماله منه فهو باق كعمود من اعمدة الادب الشعبي العراقي .

وتشكل الموالد الحسينية التي تقام في اوقات معينة من السنة الهجرية كل عام واصفة قصيدة حياة الامام الحسين بن علي ابي طالب ( رضي ) واستشهاده في سبيل مبداه .. جزءا يعتد به من الادب الشعبي لانها تشغل كثيرا من الناس فترة لا بأس بها من كل عام .

واذا تاملنا مليا الاساطير التي قامت حول هذه المأساة والاشعار الشعبية والمراثي التي قيلت وتقال حول هذه القضية لوجدناها شيئا كبيرا وجديرا بالاهمية والبحث وقد خصصت بعض القصص التي سارت على نفس المستوى اللغوي والفني لقصتي المياسة ومجنون ليلى مثل قصة ( المختار واخذ الثار ) لشرح هذه المأساة .

واذا اردنا ان نوجز العوامل النفسية ــ بغض النظر عن المسائل الدينية ــ التي تجذب بعض الناس نحو هذه المأساة والحفلات الشعبية التي تقام في الشوارع في تلك المناسبات لوجدنا ان طابع الالم الموجود في كل مرثية هو الدافع الاشد من غيره لهذا البعض ولعل دموعهم التي يفرغونها اثناء كل حفلة من هذه الحفلات السنوية التابينية .

أقول ان دموع هذا البعض التي يفرغونها ــ ظاهرا ــ لوعة والما على الحسين عليه السلام واهله ما هي الا لوعة على مستقبلهم المظلم وكروبهم وآلامهم وضائقتهم المعاشية وسائر الام الحياة ، وما الحسين ( رضي ) وآله الا ذريعة او حافز للندب والبكاء ، وقد يكون فقدانهم لاحبائهم واقربائهم سببا في ذلك .

وتشكل الامثال العامية جزءا ممتازا من الادب الشعبي فمثلا المثل القائل :

« لا حظت برجيلها ولا خذت سيد علي (٧) »

معناه ان هناك امراة معينة لم تبق على ودها ووفاقها مع زوجها وبعد ان طلقت منه لم يتزوجها السيد علي الحبيب المرموق ويقال هذا المثل في كل من يترك عمله الذي يرتزق منه الى اخر يظن فيه تقدما اكثر فيخفق في الاثنين ويرادفه ــ تقريبا ــ المثل الشعبي القائل « ضيعت المشيتين » ( والمشيتين ) هنا تعني العملين او الطريقتين .

واذا اردنا ايراد امثلة كثيرة على هذا الجانب المهم من الادب الشعبي في العراق لاقتضى ذلك صفحات اكثر ولكننا لا نريد في عجالتنا هذه الا التنبيه على هذا البحث الطريف المهم ووضع الاسس التي نعتقد ان الادب الشعبي العراقي يقوم عليها وقد نرجع ــ ان ساعدتنا الظروف ــ الى بحث كل دعامة من دعامات الادب على حدة وباستطراد .

وفي الختام اود ان اوضح للقراء الكرام ان الاستشهادات التي ذكرتها والامثلة التي سقتها ما هي الا على سبيل التمثيل لا الحصر واكرر بان البحث جديد ولكل جديد اخطاؤه ومزالقه ، واني لاحث الادباء العراقيين المحترمين على طرقه والتوسع فيه واشكر صاحب «الاديب» الاغر لافساحه صدر مجلته لي ونشره هذا البحث الطريف الملذ في حياة كل شعب في العالم واختم مقالي بان في الادب العربي الشعبي كنوزا لم نكتشفها واثمارا يانعة لم نقطفها ونتذوقها حتى الان .

بغداد — **باسم عبد الحميد حمودي**

---

**(١) راجع مقالات باسم حمودي ووحيد الدين حسني وعصام الجبوري في الاعداد ٢٦ و٢٨ و٢٩ من المجتمع .**

**(٢) نحن في العراق نقول « يقرأ زين » أي ان غناء هذا المطرب ممتاز ولعل كلمة القراءة ماخوذة من قراءة القرآن الكريم**

**نشرح هنا كلمة بلادي في الابيات الاربعة :**

**(٣) بلا داء (٤) بلا داء (٥) في بلادي (٦) بلا داء**

**(٧) لاحظت : لم تحظ برجيلها : تصغير رجلها اي زوجها ــ لا خذت : أي لم تاخذ ومعناه لم تتزوج .**

للناقد الانكليزي ريتشاردز

# نظرية للايصال

ترجمة صالح جواد الطعمة

° ○ °

**هنالك** اسرار مبهمة(١) مصطنعة تسود رايا عن الايصال ينقصه التمعن فيه او حتى ان كان له من التفكير نصيب كبير ، كما سود غيره من الموضوعات .

لدينا اولا من يعرف الايصال بانه نقل التجارب الفعلي ، بادق ما يحتمل من معان للنقل ، ـ كنقل الفلس من جيب الى جيب اخر ـ واصحاب هذا التعريف يدفعون الى تقديم اغرب الفرضيات الوهمية . ويبدو ان الشاعر بليك Blake قد ذهب حينا الى ان حالة عقل ما ، متصورة كوجوداو قوة ، تستطيع ان تشغل آنا عقلاواحدا، وآنا عقلا اخر او عقولا كثيرة في آن واحد . وقد لجأ مفكرون اخرون الى اعتبارات لا تقل تساميا كضرورات في تفسير الايصال . فيدعى ان علينا الافتراض بان العقول البشرية اكثر سعة مما نؤمن به عادة ، وان اجزاء من عقل واحد قد تتجاوز حدودها وتصبح اجزاء لعقل آخر ، وان العقول تتداخل وتمتزج بعضها مع البعض الاخر وان العقول المنفردة ما هي الا مظهر وهمي ، وانها في الواقع عقل ذو وجوه ونواح كثيرة .

انه من اليسير ان ندخل التيه بهذه الطريقة ، ولعل بعض التجوال فيه امر لا مناص منه لجميع الاشخاص المفكرين في مرحلة ما من مراحل تطورهم العقلي ، الا ان المهرب لوحيد منه يتهيأ لنا عن طريق مدخله الاصلي .

اذ ان الايصال معرفا بانه نقل دقيق لتجارب متطابقة او اشتراك فيها لا يحدث ، وليس في قولنا هذا اية خاتمة مفاجئة . ان اية نظرية عامة عن طبيعة التجارب او ظروفها لا تستطيع، في واقع الامر ، ان تؤثر في قيمتها، لان القيمة تسبق جميع التاويلات ، ولو ان نقلا واشتراكا فعليين حدثا لكان من الطبيعي علينا ان نقبل نظرية التسامي ، ولكنهما لا يحدثان ، والمناقشات التي تفترض حودثهما لا تملك اقل مقدار من الوزن .

ان كل ما يحدث هو ان عقولامختلفة في ظروف معينة تملك تجارب متماثلة ، واولئك الذين لا يستطيعون قبول هذا الراي يرفضونه لا على اساس برهان او الطرائق التي بها يؤثر العالم فيهم ، بل على اساس رغبة ، نتيجة لتأثير راي مغاير في وجهات نظرهم نحو اقرانهم . وقد يود ، في لحظات خاصة ، اي انسان ان يكون ذلك شيئا مغايرا . ونحن ، عندما نكون في لحظات سوء تكيف ، نشعر بان عزلتنا الجوهرية آفة ونقص ، وقبول الحقائق وتحقيق تكيف جديد افضل معتمد عليها يبدوان احيانا امرا صعبا لجميع الاشخاص ذوي الاحساس المرهف .

ولكن العقيدة الحقة لا تحرم ـ وقد لا تكون هنالك عقيدة حقة قادرة على ان تحرم ـ في الواقع ، اي شخص أيا من القيم . ومما لا شك فيه ان هنالك حالات مؤسفة لتنظيمات سيئة ، لا يتهيأ لها تكيف جديد ، وقد تصبح عقيدة مصطنعة حالة ضرورية لاهم فعاليات الافراد الذين يؤولون ، من غيرها ، الى اضطراب كما هي الحال مع عقائد دينية كثيرة ، ولكننا في مذهبنا الى ان ازالة مثل هذه العقائد لا تسبب اية خسارة بل قد تسبب كسبا عظيما في القيم ، لا نقول بعدم وجود بعض اشخاص نهدم قيمتهم في مثل هذه العملية . ان كل ما نقوله هو ان الافراد ذوي القابلية التكييفية قادرون على الاحتفاظ بمعظم قيمهم بعد عملية التخلص من مزلاتهم ، وانه من المستطاع التعويض عما يخسرون والحصول على ما يساويه ، وان مجموعة كاملة جديدة من القيم تصبح لهم سهلة المنال خلال تكيفهم الافضل لعالمهم الذي يعيشون فيه .

هذا هو ما يبرر الراي القائل بان المعرفة افضل سلعة تقتنى لان المعرفة ـ وها نحن نكتشف ذلك ببطء ـ شرط اساسي للحصول على اوسع القيم واكثرها استقرارا واهمية

نحن ، اذن ، نبدأ من العزلة الطبيعية والانفصال للعقول وتجاربها ، على الاكثر ، في افضل الظروف ، لا تتعدى كونها تجارب متماثلة . والايصال ، كما سنقول ، يحدث عندما يؤثر عقل معين في بيئته بطريقة يتأثر بها عقل اخر ، وتحدث فيه تجربة تشابه تجربة العقل الاول ، وتتسبب جزئيا بها . فالايصال ، على ما يظهر بوضوح ، امر معقد ذو مراحل على لاقل من ناحيتين . فقد تكون التجربتان متشابهتين تقريبا او قد تكون التجربة الثانية معتمدة تقريبا على الاولى .

ويحتاج ، بصورة عامة ، معرفة طويلة ومتباينة والفة قريبة وحيوات ذات حالات متجاوبة ـ او بايجاز راسمال من التجربة المشتركة ـ ان كان للناس في غياب مواهب ايصالية خاصة ، فعالة وحساسة ، ان يقوموا بعملية الايصال . وحتى عند توفر هذه المواهب يعتمد نجاح الايصال في حالات صعبة على المدى الذي يستخدم فيها تماثل في تجارب حدثت في الماضي. والايصال من غير هذا التماثل امر مستحيل . اما الحالات الصعبة فهي التي تلزم المتكلم نفسه ان يزود جزءا كبيرا من مسببات تجربة السامع وان يسيطر عليه ، حالات تفرض على المستمع تجنب تدخل عناصر غير ذات علاقة، من تجاربه الماضية

والامر يكون سهلا احيانا عندما يشير شخص الى شيء واخر يمعن فيه ، ولكن معاملة موضوع معقد ، كمنظر طبيعي حيث تحتمل منتخبات كثيرة مختلفة ، لتأكيدات رغبات متباينة ـ بمثل هذه الطريقة السهلة ، امر عسير ، اما في حالات قليلة التعقيد ، عندما يكون العامل المثير للرغبة بارزا ، كوجود رجل نائم في الكنيسة ، فيمكن التعبير عنها

---

(١) هذا فصل اخر من كتاب قواعد النقد الادبي ، وقد نشر فصل عن « الايصال والفنان » في عدد يوليو الماضي من مجلة الاديب .

(٢) قد يكون من الضروري ان نوضح هذه العبارة بالاشارة الى راي الاستاذ ريتشاردز في تنوع استعمالات اللغة . فهنالك استعمال مدلولي referential او علمي واخر انفعالي emotional . ويتجلى الاستعمال الاول في العلوم الرياضية والطبيعية بينما يطغى الاستعمال الثاني في الادب والعلوم الاجتماعية . ولعل فصولا اخرى مترجمة من كتاب قواعد النقد الادبي ـ ستنشر في الاديب قريبا ـ تستطيع ان تزيل الابهام في هذا الموضع او مواضع اخرى من هذا الفصل .

## قمة

اليها .. مزقت اهابي
وسرت
عليها .. زرعت شبابي
وفيها ، وراء الحصى والتراب
غدي ومصيري بذرت
اليها .. انتف نفسي
وامشي
عليها لاصنع مهدي
ونعشي
واحفر رمسي
لادفن امسي
وابقى بلا ريشة حرة
تسلح جلدي

★

على سفحها الجائع من جبهتي
بقايا ..
تقص لروادها قصتي :
رماد دم وحنايا .
هنالك في شدق واد سحيق
على جانبيها ، يشب حريق
لديه عظامي وقود
لديه وجودي وجود
تذوب الحكايات في ضفتيه
وتفنى
ويثمر بين يديه
الشقاء ويجنى

★

كاني احس عليها كياني
كاني اراه :
فريغ المعاني
بغير لهيب .. بدون حياه
كانه ما لفني ما احتواني
كاني ما كنت فيه اله
اراه هناك بعيدا .. غريب
كصندوق وهم عجيب
عجيب كجدرانه الخائفه
كبوق المصيبة
ينبح ضمن شبابي الكئيب
فينهار في لحظة خاطفه

★

أيا قمة كنت أسعى اليها
بكل تعطش قلبي بكل اشتياقي
بكل انعتاقي
بكل احتراقي .. لفجر جديد
أبعد ارتمائي عليك
أبعد احتفال مصيري لديك
تذوبين ..
يا قمة من جليد

**كمال خيري**



تعبيرا له من الثقة بالايصال نصيب أكبر ، مع العلم بانه يحتمل هنا ايضا ان يحس شخص بغيظ ، واخر بتسلية عند رؤية المشهد .

يتحتم على وسيلة الايصال ، في الحالات الصعبة ، ان تكون بالضرورة معقدة . ان تأثير الكلمة يختلف باختلاف الكلمات الاخرى التي وضعت بينها ، وما قد يكون مبهما جدا ، عندما يكون قائما بنفسه ، يصبح واضحا في سياق مناسب . ويعتمد تأثير كل عنصر على العناصر الاخرى الموجودة معه . وهذه القاعدة تنطبق على ايصال سهل ضحل ، كالذي يخص مجرد فهم الحروف في كتابة يدوية كما تنطبق على أعمق صور الايصال . والى هذا تعزى أفضلية الشعر على النثر في أصعب حالات الايصال واعمقها لكون الشعر وسيلة أكثر تعقيدا. ومثل اخر على ذلك يتجلى في ازدياد غموض صورة ثانوية ذات لون واحد للوحة زيتية اصلية .

لقد أخذنا بنظر الاعتبار ما تعتمد عليه صعوبة الايصال ، ولكن هذه الصعوبة يجب الا تختلط مع صعوبة الموضوع الموصل بالرغم من ان الشيئين مرتبطان غالبا ، فبعض عمليات الاحصاء الصعبة ممكن ايصالها بسهولة ، كما ان عمق الايصال ليس مرتبطا حتما بالصعوبة ، انه اسم لمدى التكامل في رد الفعل المطلوب . وحالات الايصال التي تخص وجهات النظر هي أعمق من تلك التي تعنى فيها المدلولات(٢) references فقط . وان نجاح نثر تجريدي او تحليلي يعتمد ، في الحقيقة ، على قلة الجدب فيه ، وعليه ان يتجنب أية اثارة للانفعالات حتى لا تصبح ملامحه الضرورية مبهمة .

نيويورك

**صالح جواد الطعمة**

# موم احد العمالقة المخلدين

○

في وسعنا ان نتفهم شخصية « سومرست موم » بمطالعة كتابه المعروف « الخلاصة » ذلك انه يكاد يكون سيرة لحياته الادبية وميوله الفنية .

ولعله ليس افضل من ان ننقل هنا سطورا من بعض صفحاته فيحدثك موم عن نفسه بنفسه :

... انتاج العمل الفني لا يتأتى بمعجزة ، وانما هو كتربة الارض لا يمنع كونها غنية خصبة حاجتها للتهيئة والري والغذاء ، ومن هنا نتبين انه لا غنى للفنان بالمثل من اعمال الفكر وبذل الجهد حتى يوفق في عرض شخصياته في شيء من التعمق والتوسع والتنوع .

... لست والحمد لله ممن يفتقرون الى موضوع قصة فراسي عامر دائما ابدا بفيض من القصص ، وربما لا اجد فسحة من الوقت لصياغتها جميعا . فانا قلما اقضي ساعة بصحبة انسان الا وتتوفر لي مادة لا بأس بها. وكثيرا ما احتفظ ببعض القصص تختمر في ذهني ويداعبها خيالي على مر الايام . وكم تعرضت لشخصيات عرفتها وعشت واياها ، فابتكرت لها صنوفا من المواقف الاليمة او السارة .. والحق ان اكثر ما رسمت من شخصيات انما صورته في اناة وصبر على حامل الرسم ــ كما يقول اهل الفن ــ فلم ارسمه خطفا سريعا على الجدار .

... ولقد طالعت في صدر شبابي اكثر كتابات موباسان . وليس موباسان في هذه الآونة في نفس درجة الشهرة التي بلغها آنئذ . ولكن المرء لا يسعه على الرغم من هذا غير الاعتراف بفضله وبراعته فهو يكتب في سهولة ويسر وبطريقة مباشرة . وله كذلك في بناء القصة ذوق مرهف يعينه على تصوير جانبها النابض بحرارة الحياة .

... والواقع انني درست كتاب القصص الفرنسي اكثر مما درست الكتاب الانجليز وما فرغت من موباسان حتى اقدمت على ستندال وبلزاك وجونكور وفلوبير واناتول فرانس .. وغالبا كنت انتهي من مطالعة كتاب لابدأ بالتهام اخر . وهكذا طالعت كل ما وقع بين يدي .

... ومن المآخذ التي تؤخذ علي قولهم انني متهكم ساخر ، اصور الناس بصورة ابشع من الواقع. ولااحسبني فعلت ذلك ، فكل ما قمت به لا يتعدى ملاحظة نقاط ومعالم يغفلها اكثر الكتاب او يمرون بها مر الكرام فلا يحاولون عرضها على الملا ..

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان سومرست موم كاتب واسع الافق له في الحياة نظرات اصيلة وتجارب مثيرة ، فطالما امتحن جوانب من الحياة حلوة ومرة ، سعيا وراء ينبوع يمده بتجارب انسانية حية .

ولا عجب فهو يميل بطبعه للنفس البشرية وخفاياها . ويؤمن بان معرفة الناس تزيد من اشفاقنا عليهم وتسامحنا معهم

ونجده يستعين بتجاربه الشخصية في اكثر كتاباته. يستعين بذكريات طفولته ، وبحياته كطالب طب في لندن ، وخبرته بمجتمع الريفييرا ، وبكل من التقى بهم من البحارة والنساء في المحيط الهادي وجزر الملايو والصين . جميع ذلك وجد سبيله الى قصصه ورواياته ومسرحياته .

والقصاص ــ في نظره ــ كالصحفي الى حد كبير ، لا بد له عند سرد اخباره من نقطة يبدأ منها ، كما يتحتم عليه اشاعة الحركة والحياة في عباراته والفاظه . وهذا طبعا الى جانب البراعة الادبية التي تمكنه من صياغتها في قالب ممتع .

وهذا الاديب الانجليزي الذائع الصيت ، يقف بين جيلين من الكتاب : كتاب القرن التاسع عشر ، وكتاب هذا القرن . ذلك انه ولد في عام ١٨٧٤ فعاصر هـ.ج. ويلز ، وارنولد بنيت ، وجون جالزورثي . وهو اليوم من اعلام الكتاب المعاصرين .

وموم من ناحية الصنعة بسيط واضح . تروع المرء بساطته المتألقة ووضوحه الاخاذ . واسلوبه يشع بالحياة حتى لكان القلم لا يضطرب او يتردد في يده. وهذه قصصه القصيرة ورواياته الطويلة ومسرحياته العظيمة تعرض آيات نبوغه وعبقريته ، كما تزخر بآفاق رحبة من العوالم المتعددة والتجارب الانسانية والنماذج البشرية. تتسم كتاباته باحكام متزنة اشبه بالثمار الشهية الناضجة .

وشخصياته ــ على العموم ــ وعلى اختلاف الوانها وطبقاتها ومنازلها واضحة القسمات كاملة الاستدارة والحيوية الى حد بعيد ، يلفها سيل من التهكم اللاذع المر والسخرية الوحشية القاسية ــ ولكن في ثوب من التسامح ــ مما يجعله يقف جنبا الى جنب سويفت عميد السخرية والهجاء الانجليزي ، حتى لتجد نظراته الاجتماعية لا تمس الاشياء مسا رقيقا ، وانما تعريها وتفعل بها فعل الاحماض في المعادن .

ولعله يحق لنا ايضا ان نذكر ما كتبه الناقد الانجليزي ايفور براون في مقاله « دفاع عن الوضوح » الذي يشيد فيه بالاديبين « شو » ، « موم » ويحمل فيه حملة شعواء على اسلوب الكاتب الشاعر ت. س. اليوت ومن لف لفه من الكتاب الغامضين ، قال الناقد :

« في اعتقادي ان اكبر كتاب النثر في الآونة الاخيرة هما برنارد شو وسومرست موم . وهل كتب احدهما شيئا غامضا خفيا ؟ ربما يعيب المرء على شو معالجته بعض الشئون التافهة ، ولكنه لا يملك غير الاعجاب ببراعة اسلوبه ووضوحه . وقد يعيب المرء على موم احكامه ووزنه للامور بميزانه الخاص ، ولكنه يستطيع على كل حال تبين هذه الاحكام في جلاء ووضوح . »

وقد كتب الشاعر الناقد ويستان هيو اودن (صاحب ديوان « عصر القلق » الحائز على جائزة بليتز للشعر عام ١٩٤٨ ) في مقال له بمناسبة نشر كتاب « مذكرات موم » يقول :

ان حياة موم الادبية الحافلة بالانتاج والتوفيق الادبي تحشر موم في زمرة « العمالقة المخلدين » على حد قول جان كوكتو . ولهذا عندما ينشر كتاب لسومرست موم ، لا يحق للناقد ان يمر به كما يمر بكتاب كاتب اخر . فليس موم مجرد قصاص ولكنه « شخصية » في عالم القصة .

**حسن السعران**

# الانســـان

✳

لخالد الشريقي

●

اللاذقيـــة

✳

عندما توسدت الشمس حضنَ الافق ،
صمت الناي
وراح الراعي يؤوب بخرفانه
والراعي يغني
وهذه كأنها تشاركه ،
كانت تثغو ...

✶

مرة قالت لي امي :
الدنيا جزيرة حشيشية
والناس كالخرفان
والانسان يستطيع ان يكون الراعي
وصمتَتْ امي ...

✶

اردتُ ان اسأل الراعي كيف أصبح راعيا
وهل في مقدور أي كان ان يصبح راعياً ؟
لكن الظلام لفّهُ قبل ان ادركه

✶

وفي اليوم الثاني
جاء الراعي وخرفانه
فذهبتُ اليه وسألتُه ..

فقال انه لا يعرف
انما وعدني ان يسأل امه

✶

وفي اليوم الثالث ..
لم يأت الراعي ...

✶

وذهبتُ الى شيخ عجوز
رأيته يأكل العشب
فسألتُهُ :
هل اصبحتَ راعياً في يوم من الايام ؟
فابتسم العجوز وقال هازاً رأسه :
اجل ان نفسي هي خرفاني
وذهب العجوز ..

✶

لم يمهلني لاسأله مرة اخرى
فسرت ممسكا بعصا رأيتها في طريقي
وراء الشيخ
وبدأتُ أغني ..
وكأني سمعتُ مشاركة لي ..
فابتسمتُ وتابعتُ الطريق ...

✶

وفي اليوم الثاني
اشتريتُ ناياً
وذهبتُ به الى مرعى صغير
وابداً كنتُ لا أؤوب منه
الا عندما تتوسد الشمس حضنَ الافق ..

✶

وفي يوم جاءني احدهم
وسألني :
كيف اصبحتَ راعياً ؟
فلم أجبه .. انما ابتسمتُ ...
وأعطيته نايي
وتركتـــه ..
لاذهب وآكل العشب ...

# الندم

أغضت على شجن تتمتم والاسى … أرخى على الاهداب حلة راهب
واليأس راح يشق غير مهادن … في الوجنتين بمنسر ومخالب
فكأن وجنتها وما رقم الاسى … مسودة نقشت بمرقم كاتب
وبصدرها مثل الغمام غمائم … للحزن تعصف عن ضرام لاهب
وجرى اللسان بما تجن ضلوعها … عن رجع حشرجة وأنة ناحب
قصر الخلي على الخبال وجومها … وعراه من خطل لقلب واجب
وهل التندم غير رجع هواجس … شحنت بغصات الفؤاد الخائب

* * *

ترنو الى الجوزاء وهي كئيبة … وتدير ساهمة لواحظ عاتب
والافق مرآة على جنباته … عكست سمادير الخيال الكاذب
صور كما شاء الخيال تكشفت … عريانة وتزاحمت بمناكب
تفتر باسمة بثغر مجامل … وتصدُّ عابسة بعين معاتب
راح الغمام محلقا بجناحه … كالنسر حلّق في فسيح جوانب
وأطلت الاشباح تومىء خلفه … في شملة محفوفة بعجائب
هل كانت الاشباح غير هواجس … عصفت بليل كالخضم الصاخب

* * *

نظرت الى الافق البعيد بحسرة … مكتومة فُضت بزفرة نادب
ومضت تحدق في الظلام كتائه … في القفر ضلَّ عن الانيس الصاحب
والريح تزفر كالشجي أمضه … من لاعج الذكرى خيال الغائب
أصغت الى همس الرياح وصدرها … كجناح قمْري مهيض لاغب
حسبت هبوب الريح من أوهامها … آنات مكتئب وصرخة ناعب
لم تدر والاشجان ملء ضلوعها … عصفت معربدة بزفرة واجب
هل كانت الارياح صوت ضميرها … أم رنة القدر المحيق الغالب

* * *

تهوي بنا الآثام في مستنقع … للشر ينفح بالصديد اللازب
ونعاف منزلق الحضيض ونبتغي … سبباً يبلغنا مدار كواكب
نبغي العروج الى السماء ودونما … نبغي سماء من مرير متاعب
فكأن غصات الكآبة والاسى … حبل يجوز به الغريق لقارب
طهرت بنيران الدموع نفوسنا … وتخلصت عن خسة وشوائب
فتباركت تلك الدموع على الثرى … منهلة تجري كنوء سحائب
واذا الضمير تفتحت أجفانه … جاد الفؤاد بدمعه المتساكب

دمشق … **عدنان مردم بك**

قصة سورية

بقلم فاضل السباعي

# مواطن امام القضاء

( ١ )

**لساني** عاجز عن شكرك ، يا استاذ ... الله يقدرني على مكافاتك ! ... (١)

واستدار الى وراء ، ومضى يشق طريقه في زحمة البهو اللاجبة . وعندما جعل يهبط درج قصر العدل كان لسانه يلهج بآيات الشكر والرضى والامتنان ، ويقول بينه وبين نفسه : « الناس اجناس .. لا يعرف معدنهم الا على المحك ! .. » وعاد يشكر للظروف ان اتاحت له صديقا طيبا كالحاج « عيدو الخضري » يدله على محام شريف كالاستاذ « صلاح الدين ابو الشامات » ؛ والا ، اتراه كان يستطيع ان ينجو من براثن رجل كـ « علي الشاطر » ؟!

ثم جعل يستغفر ان اساء الظن بالاستاذ ابو الشامات اذ خسر ، من قريب ، دعوى التخلية في مواجهة غريمته الست « عائشة الماوردي » ؛ كيف سمح لنفسه ان ينساق مع اوهامه في ذلك اليوم الاغبر ، ويرى في الطيب النزيه آراء لا تنهض على غير الظلم والاعتباط ؟ وانه ما توانى يومها عن ان يعالنه متهما اياه بالتواطؤ مع غريمته ! يا سواد الوجه!. على ان الاستاذ ابو الشامات ، بعد كل هذا ، كان مثالا للمسامح الكريم الذي غفر وتناسى الاساءة ومضى في مجابهة غريمه الجديد علي الشاطر امام القضاء غير ضنين بالجهد يبذله في سخاء !

( ٢ )

**انه** الان ، وقد وضع حدا لمنازعاته مع علي الشاطر ، ليذكر يوم عاد الى دكانه في « باب جنين » يجرر قدميه خزيا وحزنا . كان علي الشاطر قد قارف في حقه اثما ادا . هذا الفتى ، قد أثبتت له الايام بالدليل القاطع سفالته ورذالته ! قاتله الله من وضيع ! .. يعتدي ، فيلتمس الصفح ذليلا متطامنا ، ثم يتشكى بالباطل متظلما متوجعا ! .. اي جنس من الناس هذا ؟ كيف خفي عنه معدنه طوال السنين التي عرفه فيها كعميل يشتري الخضار والفاكهة ليبيعها « بالمفرق » في دكانه في « سوق السقطية » ؟

قصارى ما كان، ان كاتبه «حمادة» ذهب كعادته يطوف على العملاء محصلا أثمان ما استوردوه من بضاعة . ولقد، مر ، وهو في السقطية ، بعلي الشاطر يطالبه بثمن الخمسين كيلو فستقا التي احتملها الى دكانه قبل اربعة ايام على وجه التحديد . فاذا علي الشاطر يبدي عزمه على رد الشرية ، بدعوى .. ان لبوب الفستق مغلقة غير مشقوقة !!

ولقد عاد حمادة الى باب جنين ليحكي له عن نية الشاطر في رد الشرية بعد تلك الايام . فتألم من ذلك ، وجعل يتفكر في هذا الزبون ؛ انه مثال للملعنة والروغان .. لا يشتري البضاعة الا بعد طويل تمحيص وامعان .. فاذا اشتراها ، لا يدفع الثمن الا بعد عشر مطالبات يستقبلها بالمطل والتسويف .. وذلك اذا لم يحاول رد البضاعة ، بحجة انها لا تتوفر فيها المواصفات التي تروق للزبائن المشترين ! ..

وانه في تفكره ذاك .. رأى حمالا على بغلة عالية بين ذراعيه عدل، يقف في باب الدكان ويسأل عن « المعلم حسين النعسان » ؟.. فيجيبه :

ــ أمر .. ماذا تريد ؟

ــ حملني علي الشاطر امانة لك هذا العدل ..

ثم يرمي به الى الرصيف، ويستدير ببغلته ، ويمضي لا يلوي على شيء .

والحق ، انه احس ــ وقتها ــ بدمه يفور من هذا الصنيع ! هذه ليست معاملة !

معلوم في عرف اهل السوق ان البضاعة متى خرجت من المحل لا ترد .. هذه حقيقة شائعة يدركها الشاطر والعملاء جميعا . ولكن هذا الفتى جعل من ديدنه تجاوز كل حق والازراء بكل عرف ! انه انسان لا يستحيي !..

وما راى الا وهو منقاد الى السقطية يروم معاتبة هذا الفتى الشاطر الذي لا يفتأ يتفتق ذهنه عن الوان من « الشطارة » يريد ان يلعب بها على ذقون الناس . ولقد لقيه في دكانه يزن خيارا لبدوي ــ انه لا ينسى ــ بينما كان رجل في بذلة انيقة بيضاء ينتظر ان يزن له ما اصطفى في القفة في يده من مشمشات ذوات خدود صفراء وحمراء .. ورآه الشاطر في ذلك، فغض في الحال الطرف عنه متصنعا عدم الانتباه اليه . فامتعض من هذا الاسلوب ، ولكنه ليس جديدا على الشاطر على كل حال ، ثم لم يجد بدا من الالتفات اليه بعد ان فرغ من الوزن ، وقال مرحبا على مضض :

ــ اهلا بالمعلم حسين ..

كان الشاطر فتى امرد ، قصير القامة ، نحيلا ، على رأسه كوفية بيضاء (٢) ، ذا عينين ضيقتين تبرقان

---

(١) فصل ثان من قصة مطولة ، نشر فصلها الاول بعنوان « الناس » في عدد ديسمبر الماضي من « الاديب » . وكل فصل فيها قائم بذاته مستقل عن سائرها ، لا يجمعه معها غير وحدة الشخوص .

(٢) « الكوفية » : منديل ابيض يسبغ على الرأس من دون عقال ، على عادة ابناء البلد في حلب .

مكرا ، لا يخلو حديثه من نعومة ومداهنة .. ولقد جعل يعاتبه على رده الفستقات مما لا يتفق مع ابسط اصول المعاملة !.. فاذا الشاطر يسترضيه بخبث :

ـ يا عمي حسين .. خذنا ببحر حلمك .. نحن مثل اولادك ، يا شيخ صل على النبي .. المسالة بسيطة.. سايرنا ، الدنيا مسايرة ..

وعجب من هذا الاسلوب الصبياني يلجأ اليه الشاطر قصد الضحك على ذقنه . انه ياما راى ناسا من جميع الاصناف والالوان ، الا انه ما رأى انسانا كعلي الشاطر !..

ـ يا علي .. تكلم مثل الرجال .. كيف يجوز ان ترد البضاعة بعد اربعة ايام ؟!..

فقال الشاطر بلهجة ادنى الى الجد:

ـ الحقيقة .. ان الفستق طلع ما هو مليح .. لبوبه مقفلة ، وقد حسبتها ساعة الشراء مفتوحة .. وهذا يباع باقل مما اشتريت !

ـ يا ولد ، يا علي .. خلك رجلا.. هذا الحكي لا يقوله الرجال ! اما كانت لك عينان ساعة الشراء ؟

فاحمرت عينا الشاطر، وقال :

ـ من جهة ان لي عينين ، فهذا حق .. ولكن شطارتك ، يا عمي حسين ، تعمي العيون احيانا !..

فغضب من هذه القحة يتقيؤها في وجهه هذا الفتى الامرد ، وانه ليذكر جيدا يوم اقبل اليه الشاطر من ايام ، فكم سبب له من عناء اذ جعل ينتقي هذه الخمسين كيلو من بين عشرات العدول المكدسة في فم الدكان وقلبها .. حتى اذا وقع في خاتمة المطاف على بغيته ، جاء ينشر اباطيله على هذه الصورة الرقيعة . وقد قال له مؤنبا :

ـ انت ارجعت البضاعة ، يا ولد.. وبعدها تطول لسانك على كرام الناس؟!

فما كان من الشاطر الا ان صاح في حدة :

ـ كفاك تبجحا .. بلا كرام ، بلا بطيخ مبسمر .. في باب جنين ناس يعرفون جيدا من انت !..

فساله ان يقول ما يعرفه ناس باب جنين من خبره ؟ فاجاب الشاطر:

ـ رح اسالهم تسمع العجب !.. نصاب ، غشاش .. خلصنا ..

فلم يجد بدا من ان يزجره :

ـ حقا ، انت قليل حياء ..

ـ قليل الحياء انت وابوك ..

ـ خسئت ، يا ابن الـ ...

ثم ما احس الا وكفا ترن على صفحة خده . لقد صفعه علي الشاطر، ذلك الوغد الرذيل . صفعه امام اهل السقطية الذين كانوا قد التموا حوله يتفرجون .. يا للفضيحة ! لقد ضاع بعد الصفعة صوابه ، فما يعرف كم من الشتائم جرت ساعتها على لسانه. مبلغ علمه انه سعى الى الشاطر يعاتبه فاذا الشاطر يهينه ويضربه .. ثم ما راى الا وهو في المخفر ، « مخفر المجيدية » ، يحكي للشرطي الحادثة والدمعة في عينه . ولقد رق له الشرطي ، ونظم ضبطا بما حدث ، ووعده بان يساق المعتدي بمذكرة الى القضاء لينال جزاءه على جرم الضرب والذم والتحقير كأقصى ما يكون الجزاء !

(٣)

وقد ملك عليه الغم ، في عودته الى باب جنين، نفسه وفكره جميعا. واسف على سنيه الخمسين ان يناله معها الاذى من سفهاء الناس. والحق، انه حتى تلك الساعة ، ما فكر بالاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ولا خطر له على بال ، ولكن ذكراه وثبت الى ذهنه عندما اطل عليه ، بعيد قليل ، جاره الحاج عيدو الخضري . فقد اقبل اليه يمضي في دكانه بعض الوقت في الحكي ومجاذبة الحديث ، على مالوف عادته في اوقات الفراغ . فراع الحاج عيدو ما يبدو عليه من هم واسى . ان الحاج ، اذا قيل الحق ، رجل نبيل ابن كرام . ساله عن سر اساه ؟ فصمت لاول وهلة لا يقدر على الكلام . فلما ألحف بالسؤال ، اشار له باصبعه صامتا الى موضع الصفعة على خده . فاتسعت عينا الحاج عيدو تعجبا وانبهارا ، واستفصحه عن اليد الآثمة المتجنية ؟! فجعل يقص عليه حكاية علي الشاطر ، من يوم شرائه عدل الفستق الى نهايتها في مخفر المجيدية ... وقد بدا على الحاج اذاك الغضب ، وثار لكرامة صديقه وجاره في السوق تهدر على يد وغد سافل ، واشار عليه ان يلاحق دعواه امام القضاء ، وان يوكل فيها الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات !

وطفرت الى ذهنه بالفور حكاية الست عائشة الماوردي ، لقد اخزته امام القضاء يوم أوكل في مواجهتها الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات !.. افيوكله اليوم في مواجهة علي الشاطر؟ فان اخزاه هذا ايضا ؟!..

الا ان وميض التردد سرعان ما انطفأ تحت سياط الاسى التي كانت توهي عزمه، على حين كان الحاج عيدو يمتدح بالاستاذ ويسبغ عليه افضل الصفات، ويقول :

ـ ومكتبه ، يا حسين ، تعرفه .. هناك ، فوق ، في « قسطل الحجارين » الاستاذ ابو الشامات رجل طيب ابن حلال ، مثل احسانك ، يخدمك بعيونه .. قم اليه ، وسوف يري صاحبك الشاطر كيف تؤتاه « الشطارة »

وكذلك ، فقد عاد اليه في دكانه ، في ذلك المساء، الحاج عيدو الخضري مبديا تمام استعداده لاصطحابه الى مكتب الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات فمشى معه متوكلا على الله . وصعدا الطريق حتى اخرها في قسطل الحجارين ، والنقمة تنفث في نفسه دخان الاسى . وقد قابله الاستاذ وصديقه الحاج عيدو . وصافحه بيده تلك السمينة المسترخية ، لينكب من جديد على الاوراق بين يديه . فجعل يتأمله .. انه هو هو ، ذلك البدين الذي يطفح محياه بسيماء الطيبة والوداعة .. ترى ، الم يسيء به الظن في المرة الماضية ؟ ايعقل ان يقوم هذا الطيب الوديع بخيانة اوغدر او تواطوء ؟..

وقطع عليه تفكيره ان رفع اليهما المحامي راسه ، وجعل يقول مرحبا :

ـ اهلا وسهلا بالشباب .

فرد على ترحيبه بصوت اقرب الى الهمس ، بينما علا صوت صاحبه :

ـ الله يسلمك ، استاذ .. كيف الحال ؟

ـ الحمد لله .. خيرا ، ما الحكاية؟

فقال الحاج عيدو :

ـ الاخ حسين النعسان ، وقعت له اليوم مشكلة .. ( ثم ملتفتا اليه : ) تكلم ، يا حسين .. اشرح ما جرى لك

فجعل يقول بصوت راعش ملتاع :

ـ الحكاية ، يا سيدي : اني بعت ،

من اربعة ايام ، خمسين كيلو فستقا لصاحب دكان في السقطية ، اسمه علي الشاطر .. فقام حضرته ، بعد كل هذه المدة ، يعيد الي الفستقات ، بحجة انها شربة ما هي مليحة ، مع انه اشتراها رؤية عينه .. ولما ذهبت اليه هذا الصباح اعاتبه على هذا العمل غير الاصولي ، شتمني وصفعني

فاضاف الحاج عيدو في حماسة :

ـ ارايت ، يا استاذ ، الى هذه الرذالة !..

ثم جعل الاستاذ يستوضحه :

ـ تقول ، يا حسين ، انه شتمك وضربك . فهل قابلته بالمثل ؟

ـ لا ، يا استاذ .. انا ما ضربته ، والله على ما اقول شهيد .. لكن ، يمكن شتمته كم شتيمة ..

ـ وهل ضربك قدام الناس ؟

ـ يا سيدي ، قدام اهل السقطية كلهم .. هو من جيل ابني .. ضرب شيبتي قدام الناس ..

ـ هل تستطيع تسمية شهود الحادثة ؟

ـ استطيع ..

ـ وهل ادعيت عليه في المخفر ؟

ـ نعم ، استاذ ..

ـ سينال ، ان شاء الله ، جزاءه على ما قارفت يده .

فانطلق يجار بالدعاء له :

ـ الله يكثر خيرك ، ويطول عمرك ، وينصرك على مبغضيك ...

ـ شكرا ، هذا واجبنا .. ( ثم ، كمن استذكر شيئا : ) والست عائشة الماوردي ، ما صنع الله بها ، يا حسين ؟ اما زالت في دارك في « العزيزية » ؟

ـ اي والله ، يا استاذ .. ما طلعت منها بعد .

فتبسم الاستاذ وهو يقول بلهجة العتاب :

ـ اتذكر يوم اتهمتني بالتواطؤ معها ، يا حسين ؟

فاطرق من خجل ، وقال كالمعتذر :

ـ ابن آدم رياب ، يا استاذ .

فتدخل الحاج عيدو :

ـ الاخ حسين ما تعامل مع محامين على كل ، الذي راح راح . والان ، الاتعاب ، يا استاذ .. كيف سيكون حسابها ؟

فقال الاستاذ :

ـ لن اتقاضى هذه المرة اتعابا ... ( ثم ملتفتا اليه : ) سانهض بالدفاع عنك بدون مقابل ، يا حسين لانه لم يتح لي ان اقدم لك في الدعوى الماضية نفعا .. ايرضيك هذا ؟

( ٤ )

والحق انه لاقى من كرم الاستاذ وحسن استقباله ما خفف من الالم الذي كان يتأرث في وجدانه . وايقن ان غريمه هذه المرة سياكلها بهمة الاستاذ قياما وقعودا وعلى جنوبهم . يستحق . رجل لئيم ، وغد ، سافل !.. ما احلى ان يعلق من قدميه ، في ساحة « باب الفرج » ، امام الناس .. ويهوى بعصا معقدة على ما يوجع وما لا يوجع !.. ولكن ، آه .. كم هو طيب وغبي وبهيم !

لقد ابدى الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات كل اهتمام بالدعوى ، كأنما هو نفسه المعتدى عليه وليس بالوكيل . وانه ليذكر يوم اقبل على الشاطر الى المحكمة في اول جلسة . كان هو في القاعة ، على مقعد بين النظارة ، يتطلع في اطمئنان الى محاميه يترافع في دعوى سرقة . كم كان رائعا وبليغا ! كان يرفع صوته حينا ، ويخفضه في حين آخر خفيضا راعشا مؤثرا . كان يتكلم ـ ساعتها ـ في الامراض .. الامراض الاجتماعية ، والفقر ، والرغيف ، والجوع .. اشياء من هذا القبيل . ثم ما سمع الا والقاضي يطلب من الحاجب ان ينادي اسما لم يتبينه . فاذا الحاجب يشرئب صوب البهو ويصيح :

ـ علي الشـ...ـاطر .. للمحاكمة

وما هو الا ان دلف غريمه الى القاعة يكاد يتعثر بقدميه لفرط اضطرابه . ووقف لصق الحائط لا يدري في اي مكان يستقر ، فزجره الحاجب ضيقا به وجره من ساعده الى امام المنصة ، حيث وقف قبالة القاضي كالقملة المفروكة لا حول له ولا « شطارة » ! وقد قام بدوره من صفوف النظارة ، واتخذ مكانه بجوار الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات نصيره وحاميه . بينما انشغل القاضي عنهم جميعا بتقليب الاضبارة ، ثم ما لبث ان رفع راسه سائلا :

ـ ايكما علي الشاطر ؟

فانفرجت شفتا غريمه عن صوت خفيض :

ـ محسوبك ، سيدي !

ـ انت مدعى عليك ، يا علي الشاطر ، بجرم ضرب وتحقير حسين النعسان .. ( ثم ملتفتا اليه : ) كيف جرى الحادث ، يا نعسان ؟ احك لنا

فجعل يحكي حكاية شراء الشاطر الفستقات وردها اليه مخالفا العادة المتبعة في السوق .. وقد ذهب اليه في دكانه يعاتبه ، فطول عليه الشاطر لسانه .. سبه وصفعه امام اهل السقطية .. لم يوقر سنه ولم يحترم شيباته !..

وكادت الدمعة ، وهو يحكي ، تطفر من عينيه لو لم يتدخل الاستاذ ابو الشامات مرافعا :

ـ للمحكمة الموقرة ان تتصور موكلي وهو يحاول ان يلفت ، بمنتهى اللطف ، نظر المدعى عليه الى ان مسألة رد البضاعة بعد شرائها امر لا يقره العرف الجاري ولا يسيغه المنطق ولا القوانين .. فماذا فعل المدعى عليه ؟.

ما كان منه ، يا سيدي القاضي ، الا ان جعل يكيل الشتائم للموكل ، لا يردعه عن ذلك خلق ولا ضمير .. بل ، انه تمادى في عدوانه ، بان رفع يده الآثمة واهوى بها في صفعة ظالمة على وجه موكلي !.. لكم ان تتصوروا ، يا سيدي ، كم ذا خلقي ورائع : فتى يضرب ، وعلى مشهد من جمهور غفير في سوق ، كهلا وقورا في سن ابيه !

وشعر في هذا الدفاع بكرامته ترد اليه . حقا ، ان الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات لمحام بارع ، يدافع بحرارة قل نظيرها متى آن وقت القول والدفاع ... ثم سمع القاضي يسأل علي الشاطر :

ـ لماذا ضربت المدعي ، يا شاطر ؟

فسارع هذا ينفي الحقيقة بالكذب اباطل :

ـ انا ما ضربته ، سيدي ...

فتابع القاضي سؤاله :

ـ لماذا ضربته ، يا شاطر ؟ كيف تضرب احد عملائك ؟..

ـ سيدي .. هو الذي شتمني اولا

ـ اين ضربته ؟..

ـ ... ... ...

— على وجهه ؟
— سيدي ... ...
— واين أيضا ؟ قل ..
— ... ... ..
— كم كفا ضربته ؟..
— كفا واحدة ... سيدي !

فاحس، وهو يتنصت الى الاعتراف بالفرح الغامر يهز عطفيه . كان بود علي الشاطر ان ينكر . ولكن القاضي بحذقه سل الاعتراف من بين شدقيه سلا . قال لم يضربه سوى كف واحدة .. هذا يكفي ! وكذلك فقد انكفأ اليه القاضي يوبخه :

— كيف تسمح لك نفسك ان تضرب عميلا في دكانك .. رجلا في سن ابيك ؟ أما تخجل ؟

وراى الى علي الشاطر يستقبل التقريع خزيان مطرقا وقد انحسرت كوفيته عن راسه فبانت اذناه محمرتين خجلا . فرق له قلبه ، وقد كبر عليه ان يراه — على اساءته له — في موضع المقرع الذي لا يملك الرد او الدفاع . ولكن ، يا ليته ما رق ولا احس بخالجة عطف !.. الناس ابالسة متخبئون في ارديتهم . هذا الذي تبدى في المحكمة مغلوبا على امره .. قد ارتد فيما بعد ابليسا من جديد ، وقد قال له القاضي في تأنيبه :

— اذهب من وجهي ، يا علي الشاطر .. لا تخلني اصدر حكمي عليك ، فقد يكون شديدا .. اطلب الصفح من حسين النعسان .. فان غفر خطيئتك ، فذلك خير لك واجدى

الصفح والمغفرة ، لم ينفر منهما سمعه . كانت نقمته على علي الشاطر قد خف اوارها في وقفته الذليلة تلك امام القاضي ، وكادت تستوي عطفا خالصا . وكذلك ، فقد سأل محاميه ، وهما خارجان من تلك الجلسة ، عما اذا كان يحسن الصفح وقد لاقى الغريم من الهوان ما لاقى ؟ فاذا الاستاذ يقول باصرار :

— اياك ان تصفح .. دع المسيء ينال عقابه غير منقوص لئلا يكرر الاساءة .. هذا الذي تراه الساعة مغلوبا ، كان غالبا وسيعود .. فاصفح لا تبرم شيئا من قبل ان تعود الي .. انت لا تدرك حيل المتقاضين !..

( ٥ )

وجاءه الى دكانه ، في ذلك المساء ، رجل من علي الشاطر يعرض عليه الصلح . فأبى واصر على ابائه . لينل المسيء عقابه ، فذلك ادعى لئلا يكرر الاساءة . ذلك ما قاله — بحق — الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . انه محام، يعيش في جو من المشاحنات والمكائد بين الناس ويدرك الاعيبهم جيدا . لينل علي الشاطر قصاصه ، لينم بضع ليال في الحبس جزاء ، فكرامته التي مست يقف لحمايتها القانون بالمرصاد .

كان ذلك رايه اول الامر . وعندما وقف ، في انصراف الرسول، يتطلع الى الاجراء يكرون باب دكانه في موعد الاياب ، جعل يتفكر بعميله القديم — علي الشاطر ... لم تبدر منه في الحق بادرة سوء مثل هذه طوال تعاملهما في السنوات الاربع او الخمس الماضيات . نعم ، انه يتمتع بعين مفتحة ولسان طويل . وكم كان يسبب له من متاعب كلما اقبل اليه في الصباح يتسوق الخضار والفاكهة، فيشك في القباني والكاتب والاجراء جميعا . الا انه ليس اسوأ من غيره بكثير . وما بدر منه بالامس من اعتداء فانما مرده الحمق والتسرع لا غير . اليس كثيرا — اذن — ان ينام وراء القضبان بضع ايام ؟!..

واقبل اليه ، في يوم اخر ، علي الشاطر نفسه في صحبة الشيخ « محمد الاخضر » ، وهو صديق كريم ذو فضل وعلم يكن له كل احترام . وجلس علي الشاطر ، يومها، صامتا تبدو على محياه آيات التضرع والاعتذار . بينما كان الشيخ كثير الكلام لا يفتأ يذكر بالتسامح والعفو عند المقدرة .. وان الخلاف ما بينه وبين عميله الشاطر ، ابا ما كان ، ينبغي الا يبلغ حد النزول الى القضاء.

— ابن آدم ، يا حسين ، خطاء تواب .. والخطأ مردود على صاحبه مطلوب منه الاعتذار .. فتعود القلوب صافية كماء البركة الهادئة.. اليس كذلك ، يا حسين ؟

وقال ايضا :

— يا حسين ، يا خيو (٣) .. الله يرضى عليك .. هذه القضية اريدها ان تحل صلحا .. فالصلح سيد الاحكام ، والمسامح كريم .. لا تخيب رجائي ، الله يربحك ويطول عمرك .. علي الشاطر، على كل حال ، ولد ابن حلال .. ساعة جنون طلعت معه فعل فيها ما فعل .. انا دخلت في المسألة ، ولازم ما تخجل ذقني ...

وكذلك ، فقد مضى الشيخ محمد الاخضر يسترضيه ويهون عليه الامر. وعلي الشاطر مطرق تحت كوفيته لا ينبس ، وقد كان يرفع اليه راسه في الفينة والاخرى ليقرأ ما قد يرتسم على وجهه من رضى او اباء ، وكانت تبدو عليه سيماء الذلة والضراعة .. ولكن ، اتراه كان يضمر من يومئذ غير ما يصطنع؟.. قاتل الله الطيبة والغفلة والبلاهة !

لقد اوصاه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات الا يصفح او يبرم امرا من قبل ان يعود اليه ، فعقد الصلح من غير ما عودة واستئناس برأيه السديد ! لا يدري كيف دخل فيه الشيخ محمد الاخضر هذه الدخلة ؟ نعم ، الشيخ رجل طيب ما شابت تدخله علم الله شائبة من غش مضمر ولكن ، الا يكون علي الشاطر قد خدع الشيخ نفسه اذ عرض عليه ان يقوم بدور الوسيط المصلح ؟ قصارى القول : ان الشيخ نفذ الى طيبته ووداعته ، فرقق قلبه ، وقال للشاطر بلهجة الامر :

— قم ، يا علي ، قبل شوارب عمك حسين النعسان.. واطلب منه الصفح حتى يرضى عنك !

والحق ، انه قد احس وقتها بانه يسير في ما لا يرضى عنه الاستاذ ابو الشامات . وكذلك فقد قال للشيخ :

— يا شيخ محمد .. اذا كان بودك الصلح ، فارجع الى الاستاذ ، وتفاهم معه ، وانا اقبل بما يقول .

فاذا الشيخ يقول مستنكرا :

— ما شاء الله ، يا حسين !... هل الامر لك ام للمحامي ؟ ومتى كان الصلح يرضي المحامين ؟ هذا يعني انقطاع ارزاقهم !.. هم يريدون الخصومات ان تستشري فتنفتح لهم ابواب الرزق !

فرد عليه :

— ولكن ، يا شيخ محمد.. الاستاذ

---

**(٣) « خيو » ( بتشديد الياء ) : تصحيف « اخي » ( بضم فتح فتشديد ) المصغرة عن « اخ » . وهي من محكي حلب المشهور عنهم ، وقد طالما كانت موضع تعليق وتندر من اهل الشام غير الحلبيين .**

ما اخذ مني في هذه القضية ولا باره (٤)

— وما في ذلك ؟ لسوف تدفع ما عليك بعد صدور الحكم !

— ابدا . امسك لي الدعوى استحبابا ...

فقال الشيخ بلهجة الامر المفروغ منه :

— طيب . اذن اتفقنا . محاميك سيرضيه الصلح .. ( ثم ملتفتا الى الشاطر : ) قم ، يا علي يا ولدي ، قبل يد عمك ، قم ...

وما احس كيف تم الامر : قام علي الشاطر ، واخذ يده فقبلها ... بينما كان الشيخ يردد في سعادة :

— ما في احسن من الصلح .. الصلح سيد الاحكام .. المسامح كريم ...

## (٦)

وبكر يوم المحاكمة ، في التوجه الى قصر العدل مشتت البال مضيع الخاطر . ما كان يريد ان يصالح ويعطي وعدا باسقاط الدعوى من غير مشورة الاستاذ . ولكن .. لا يدري كيف تورط ؟.. لم يعد باستطاعته النكوص ، بعد ان قبلت يده مرات ثلاثا ووضعت على الراس ثلاثا . وكذلك ، فقد جعل يتوارى ما استطاع في ابهاء القصر عن عيني الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات في انتظار علي الشاطر والشيخ محمد الاخضر . انه يريدهما ان يقبلا مبكرين من قبل ان يأتي الاستاذ ليحضر الجلسة ، والا فانه سينظر اليه بعين الملامة ، تماما كما نظر هو اليه يوما اذ اخمدت انفاس دعواه في مواجهة الست عائشة الماوردي.

واقبل علي الشاطر بعد حين ، وصبح بالخير ، ووقف الى جانبه صامتا ينتظر بدوره الشيخ الوسيط. فلما اقبل هذا بعد لأي دلف الجميع الى المحكمة . ولم يكن القاضي قد حضر بعد ، وليس في القاعة سوى بعض الحضور . وظلوا في الانتظار. وهو في هلع وخوف من ان يراه محاميه فيسأله عما تم معه ؟ فبم يجيب ؟ الا ان الله سلم ، فلم يبن الاستاذ ، ويا ليته كان حضر !.. الى ان اقبل القاضي بطلعته المهيبة ، فقام لدخوله الكاتب والحضور جميعا .

ولقد همس — حينها — في اذنه الشيخ محمد الاخضر ان يقوم الى القاضي ، وقد استقر على قوسه ، يطلب منه انهاء الدعوى ليعود الثلاثة الى اشغالهم ، فتهيب القومة والاقدام صوب القاضي . الا ان الشيخ حثه على القيام بالحال من قبل ان تزدحم القاعة بالناس ..

وتقدم الى القاضي ليقول بصوت هامس :

— سيدي .. لي عندكم دعوى ..

فهل له القاضي وقد عرفه :

— انت حسين النعسان اليس كذلك؟

— نعم ، سيدي .

— بودك الصفح عن خصمك ، ام تمضي بالدعوى فاقتص لك منه ؟

وهنا احس بالشيخ محمد الاخضر وعلي الشاطر وقد اصبحا بجواره . وما سمع الا والشيخ يقول :

— يا سيدي .. الحق ان الخصمين صديقان من زمان .. وساعة شيطان فرقت بينهما .. لكن القلوب صافية والحمد لله .. والاخ حسين عازم على الصلح ...

فسأله القاضي مستغربا :

— انت المدعى عليه ؟

— لا ، يا سيدي .. انا واسطة

— ولكنا ، يا سيدي الشيخ، لانقبل وسطاء عدا المحامين .. تفضل اجلس مع النظارة .

ورأى الى صديقه الشيخ يتراجع كاسفا ويتوارى بين الناس . فتألم له غاية الالم . ما الذي يدعو رجلا فاضلا مثله ان يضع نفسه في هذا الموضع ويشتري التعب والحرج . انتهى ، انه عازم على الصفح — أهناك اكثر من هذا ؟ — لانه تورط ووعد ،



(٤) « الباره » عملة كانت متداولة في سورية زمن العثمانيين

فما بال الشيخ آكلا هم علي الشاطر يلاحقه من اجله في الدكان والمحكمة؟

قال القاضي :

ــ ماذا ، يا حسين النعسان ؟ علام عزمت ؟..

فارتج عليه لحظات ، الى ان قيض له فقال :

ــ يا سيدي .. اسقطت حقي ، والامر لله .

ولقد راى اذاك الى علي الشاطر ، هذا اللئيم ، وقد تهللت اساريره بعد انقباض . على حين مال القاضي الى الكتب عن يساره ، وجعل يملي عليه بعد طويل كلام : « وقد قرر المدعي اسقاط حقوقه الشخصية . »

وانه ليعترف الان انه اسقط حقه مكرها!.. ما كان علي الشاطر بمستحق الصفح ، فقد كان يضمر من يومها الشر والسوء . من اين واتى هذا الانسان كل هذا الخبث واللؤم والنذالة؟ لم يكن يعرف انه كذلك من قبل !حقا الناس اجناس ، لا يعرف معدانهم الا على المحك . علي الشاطر هذا ، مكر به وغدر وطعنه في وداعته وتسامحه ولكن ، اما كان يستحق ؟.. لماذا صفح في غيبة محاميه ؟ الا يعد ذلك افتئاتا وغفلة ؟ لقد امسك له الاستاذ الدعوى بدون مقابل ، هكذا استحبابا ما ضر لو عاد اليه قبيل الصفح يساله رايه ؟ لكان على الاقل نظم له امره حتى يامن كل مكر وخديعة !

ولقد مر به بعد ذلك الحاج عيدو الخضري معاتبا . كان الحاج قد قابل الاستاذ ابو الشامات ، فانهى اليه هذا ما عرف من خبر الصلح من غير المشورة ، وكذلك فقد جاء يبلغه معتبة الاستاذ .. وقد قال :

ــ لعلك كنت تخشى الاستاذ ان انت عدت اليه تشاوره ؟

فاجابه في مزيد من الحرج :

ــ لا .. وانما الصلح .. صار فجاة .. فلم اشا ان اصدع خاطره.

ــ اي تصديع ؟ هذه شغلته ، يا حسين .. يستقبل الناس صباح مساء يستشيرونه في امور وامور .. وانت لست عنه بالغريب .. الرجل يخدمك بعيونه ..

ــ الحكاية : ان الشيخ محمد الاخضر هبط علي عصرا مع علي الشاطر .. ولم ادرك ، حتى الساعة ، كيف طبقني !..

ــ طيب ، يا اخي ، مليح .. صالح خصمك ، ما عليه .. لكن فقط استمهل ريثما تعود الى محاميك .. المحامي ياخذ على خاطره ان يبرم موكله امورا من غير مشورته .. هذه هي العادة .. تخطف رجلك اليه في مكتبه ، فوق ، في قسطل الحجارين ، في خمس دقائق لا اكثر .. لئلا تتيح لخصمك فرصة المكر بك .. الناس اجناس ، يا حسين ..

انه يتساءل الان متعجبا ان صدقت نبوءة الحاج عيدو الخضري ؟ اهو ولي من اولياء الله ، ام كان يضرب في الرمل ؟

## ( ٧ )

كان في ذلك الصباح ، منهمكا في البيع .. عندما وقف في باب دكانه المحضر يسال الاجراء عن : حسين النعسان . والحق ، انه توجس من ذلك شرا .. الا انه لم يدر في خاطره ان يكون علي الشاطر قد ادعى عليه

ساله المحضر العجوز :

ــ حضرتك حسين النعسان ؟

ــ لماذا ؟ خير ان شاء الله ؟

ــ اسالك : حضرتك حسين النعسان ؟

ــ انت قلت اولا .. ماذا في الامر ؟

انه يريد ان يمكر ، بعد فوات الاوان . كان يحسن التنبه الى مكر الشاطر يوم مكر مكره الكبير .

ــ يا سيدي .. المطلوب تبليغ حسين النعسان .

ــ تبليغه بماذا ؟

ــ بدعوى مرفوعة عليه ..

ــ ما الدعوى ؟

ــ ذم وقدح ...

ــ ومن المدعي ؟

ــ المدعي .. علي الشاطر ...

فطار عقله وشك في سلامة سمعه، واحس بدمه يفور . علي الشاطر يدعي عليه ؟ اترى ذلك يصدق ؟ يصبح المدعي مدعى عليه ، بينما ينقلب هذا مدعيا يصيح بملء فيه امام القاضي طالبا القصاص ! الم يقبل اليه الخنزير ملتمسا الصفح مقبلا اليد والقدم ؟ !

وحمل ورقة التبليغ وطار بها الى الحاج عيدو في دكانه . ليس له الاه . انه يستحي والله ان يقابل ــ بعد هذا ــ الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ، وقد ازور عن نصائحه فحل به ما كان يريد ان يدراه عنه. وعندما رآه الحاج عيدو في ذلك الاضطراب ساله هلوعا عن الخبر ؟ فاجاب باستسلام :

ــ ارايت الى علي الشاطر ؟

ــ ما به ؟ خيرا ...

ــ رفع الملعون علي دعوى ...

قال انا شتمته وحقرته ، قال ..

فصمت الحاج ، وقد بدت عليه دلائل التفكير العميق..ثم هز راسه الى اليمين والشمال آسفا ، وهو يقول :

ــ عندما ننصح باتباع راي المحامين تظن بنا الظنون .

ان للحاج ان يقرعه ما شاء له التقريع ؛ ولكنه كان يتوق الى سماع حل لتصريف المصيبة الوافدة . ما تعود ان يقف امام القاضي في موضع المدعى عليه ، وهو الذي ما نزل عمره الى المحاكم سوى مرتين كان فيهما مدعيا سيدا للموقف : اما ان يربح الدعوى او لا يربحها فلا يخسر من ماله وكرامته ما ياسى عليه ! ولكنه ، المرة ، سيتغير موضعه .. وربما حكم عليه بالحبس ان زور الشاطر وموه وضلل ، وانه افاعل ذلك كله بالتاكيد غير مقصر . الا ان الحاج عيدو بث في نفسه مزيدا من الطمانينة .. وقال له بان الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات كفيل بان يحبط بمهارته مكر الشاطر .. ووعده بان يصحبه الى مكتبه اذا جاء المساء !

على انه ما احب ان يضيع الوقت بددا . فقد انطلق بالتو الى الشيخ محمد الاخضر في مقهاه حيث تعود الى ان يمضي ساعات الضحى من كل يوم . ولقد الفاه وحيدا يشرب النركيلة ملتذا فيما بدا له من اغماضة عينيه . ورحب به الشيخ وهش وصفق يطلب النادل في فنجان قهوة لصفيه حسين النعسان . وقد فاتحه بعد الترحيب والسؤال عن الصحة :

ــ ما رايك يا شيخ ، في رجل يعفو عند المقدرة ؟

فرد الشيخ في طمانينة وادعة :

ــ احبب به من رجل كريم !

ــ وما رايك في رجل يرفع يده ليهوي بها على وجه الذي صفح عنه وعفا ؟ !

فاتسعت عينا الشيخ وتطلعتا اليه

في اهتمام :

ماذا تعني ، يا حسين ؟

فاستوى في جلسته، وراح يفيض .

ـ صاحبك علي الشاطر ، ما غيره .. هذا الانسان الذي توسطت بيني وبينه وارقت له ماء وجهك امام القاضي ..

ـ ماذا فعل ؟

ـ رفع علي دعوى ..

ـ اف ! ! !

ـ صاحبك ، يا سيدي ، طلع ابن حرام .. خطف الصفح من هنا ، ورده الي ادعاء على قدر المقام .. اشتكى علي ، يا سيدي .. قال انا سببته وآذيته ؟ ..

ـ العمى يضرب عينيه !

ـ ايرضيك هذا ؟

ـ يخزيني ، اخزاه الله .

وصمت الشيخ قليلا . ثم جعل يردد في غيظ :

ـ خدعني الخنزير ، الله يخيبه !

ـ لولا تدخلك ، يا شيخ ، لكنت طرحته في الحبس شهرا على الاقل .

فتمتم الشيخ :

ـ ليتك ما صفحت . الله يخزيه .

لقد بدا لعينيه التأثر جليا في محيا الشيخ . كان مخدوعا يوم جاء اليه يسأله الصفح ، فخدعه بدوره ودخل فيه كما تدخل السوسة لب الخشب . وترك الشيخ في مقهاه بعد ان اعتزم ان يسعى لتوه الى علي الشاطر يعنفه على ختله كأشد ما يكون التعنيف .

**( ٨ )**

**ومر** به في دكانه مساء صديقه الحاج عيدو الخضري ليصطحبه الى مكتب الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . والحق ، انه كان يشعر بالخجل من نفسه . كيف سيلقى محاميه بعد ان ازور عن نصائحه فحاق به البلاء فاذا هو يسعى اليه ينشد بين يديه الخلاص ؟ الا ان الحاج عيدو هون عليه المصاب ، فكم وقع في هذا المحذور موكلون !

وقد استقبلهما الاستاذ هاشا كعادته دائما . فتجسدت له اذاك مدى الاساءة التي قارفتها يداه اذ صفح في غيبة من هذا الانسان الفاضل . انه غفل ؛ صحيح هو في عقده الخامس واب لسبعة من البنين والبنات، ولكن عقله . .عقل جحش صغير

ورفع الاستاذ راسه عن مكتبه وجعل يرحب بهما في دماثة :

ـ اهلا وسهلا بالشباب ..

وقال بعد قليل يوجه اليه العتاب الرقيق ، غير عارف جلية الامر :

ـ أكذلك ، يا حسين ، تصالح من غير ان تعود الي ؟..

وكان المعنى الذي يدور في خاطره قد استبد به وملك عقله :

ـ يااستاذ.. الحقيقة.. اناجحش.

فبهت الاستاذ لهذه القولة :

ـ حاشاك ، يا حسين .. ولكن لو جئتني ، يا ابن الحلال ، تقول : يا استاذ ... شهادتي في علي الشاطر انه ولد لا يضيع به المعروف ؛ وانا ارجو ان اتخذ منه صديقا لا عدوا ؛ او اي كلام من هذا القبيل .. اتراني كنت اقف في سبيل رغبتك ؟ كنت نظمت لك الصفح والاسقاط على الاقل .

وبدات الحقيقة تهتك استارها امام عينيه .

ـ انت لا تعرف حيل الناس ، يا حسين . . ربما لعب عليك خصمك . قد اقرك على انه ولد لا يضيع به الصفح ، بيد اني لا استطيع ان اجزم بذلك . وخير لنا الا ننام بين القبور فنحلم الرؤى المرعبة . الدنيا قضاؤها بلاؤها . حضوري معك في الجلسة مدعاة للاطمئنان . فلو كان سها عنك تعليق صفحك على اسقاط خصمك حقه بالتقابل ، اذن لربما لحقك من ذلك مضرة في مقبل الايام

فهز راسه هزة الاسوان ، واعلن :

ـ لقد سها عني ذلك فعلا، يااستاذ

فأردف الاستاذ :

ـ في هذه الحال ، قد يسول لخصمك ان يسيء اليك برفع دعوى يحدوه في ذلك كيد وضغينة .

وهنا تداخل الحاج عيدو ليجلو ما صار اليه الموضوع :

ـ الحقيقة ، يا استاذ ، ان حسين مقتنع بكل ما تفضلت به .. وهو شاعر الان بمدى خطئه .. ونحن ما جئنا اليك اليوم لمجرد الاعتذار ولكن لنقول لك ان صاحبنا علي الشاطر عملها ...

فزوى الاستاذ ما بين عينيه ، وتساءل غير مصدق ؟ فاضاف الحاج عيدو :

ـ جاء المحضر اليوم الى السوق.. وبلغ حسين موعد المحاكمة في دعوى رفعها علي الشاطر ! ..

وران عليهم صمت ابلغ من الكلام؛ في حين كان هو غارقا في بحران من الندم والخجل . جسم وسن من غير عقل . الم يقل انه جحش ؟ ذلك حق كله ! .. لفت نظره الاستاذ فما التفت ، بل اعطى الوعود بالصفح ! ماذا ؟ الف وعد بخيط . اجميل اذن ان يجرره غدا علي الشاطر في المحاكم ويجعله عرضة لتأنيب القاضي ؟.

وجعل يتطلع بلهفة الى الاستاذ ، الى شفتيه عساهما تنفرجان عن كلمة ترد الى نفسه شتيت طمأنينتها ولقد جعل الاستاذ يلومه في هينة ورفق ، بينما كان يهز له رأسه هزة الموافق ، ويقول باسى :

ـ يا سيدي .. الحق معك .. انا الغلطان .. استحق ..

فيقول الاستاذ :

ـ انا لا اقصد الى لومك ، يا حسين .. ولكني اريد ان اجلو لك الظنون التي تلعب في خاطر بعض الموكلين .. انهم يرون في المحامي خصما لهم يخشى بأسه ، وليس الصديق الذي يطمأن اليه ! ..

فيقاطعه قائلا :

ـ معاذ الله ، يا استاذ .. المحامون والله ، اطهر من لحية ابي ..

لم يكن لديه كلام يقال، وكلام الاستاذ حق لا يعلو عليه حق ؛ ولقد مضى في لومه الهين ذاك ، وما كف عنه الا عندما تدخل الحاج عيدو منهيا اليه فحوى ما كان قاله له في الصباح .. ثم جعل يقترب الى صميم الموضوع ، المرافعة في هذه الدعوى .. فاذا الاستاذ يعلن :

ـ هذه دعوى جديدة امرها يختلف

فايقن عندئذ انه بسبيل ان يدفع اتعابها غير منقوصة .

ـ قمت بالامس بواجب المرافعة على ما يرام ، فأساء حسين التصرف .. الامر يختلف .

ولقد حاول الحاج عيدو ان يقول كلمتين ناعمتين تطرئان الموقف ، الا ان الاستاذ اصر على ان يتقاضى اتعابا وكذلك ، فقد القى ببنفسجية (٥) بين يديه ، وغادر المكتب .

---

**(٥) « البنفسجية » ذات المائة الليرة السورية**

ولما عاد الى بيته في ذلك اليوم كان يعمر قلبه الرضا والاطمئنان . الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ابوها وامها ، يعرف من اين يؤتى المحق بالنصر وكيف يخذل الظالم . ان له في الامور لبصرا نافذا . قال انه سيرد كيد الشاطر الى نحره .

( ٩ )

وبكر — هذا الصباح — في الذهاب الى المحكمة ، يخالط طمأنينته غير قليل من الاضطراب . كان في المرات الماضية اقل خشية ، لانه كان مدعيا ؛ وانه اليوم لمدعى عليه .. وكذلك ، فقد التوى سمعه من الضجيج المتصاعد ، ورأى في ابهاء قصر العدل معنى الرهبة كما لم يفطن له من قبل ! .. اف للمحاكم ، وتبا لعلي الشاطر ! كان خوفه ، وهو في البهو ، يتزايد على توالي اللحظات.. وباب المحكمة مغلق كأنه يأبى ان يتفتح حرصا على سر فيه دفين .. والاستاذ صلاح الدين ابو الشامات لم يبن بعد .

وظل على حاله موزع النفس من خشية ورهبة . الى ان اقبل علي الشاطر يتطاول في مشيته في الزحام رافع الراس مشرع الهامة .. يحق له ، انه مدع ! . وخطر له ان يدنو اليه يذكره بتقبيل اليد ثلاثا الذي كان بحضور الشيخ محمد الاخضر ، ولكنه سرعان ما ارتد الى عقله ، فماذا ينفع تذكير من نضب في وجهه الحياء ؟ !

وانه في وقفته ، اذا بالشيخ محمد الاخضر يهل بلحيته البيضاء وعمامته الاغباني . انه رجل طيب خدع عن حقيقة الامر فجرفه في طريقه . ولقد تراءى له انه يبتسم ، فعقد على رؤياه املا باسما ، سرعان ما انطفا عندما قال له الشيخ في تضاعيف حديثه كاسفا :

— لعنة الله عليه .. هذا الشيطان الرجيم ! ..

وقد كان ذلك كافيا لان يدرك كل شيء . ولكن ، لا بأس . لقد وعده الاستاذ ان يرد كيد خصمه في المحكمة ، وانه لا ريب واصل الى غايته هذه الجلسة .

ثم ما لبث باب المحكمة ان انفرج يتلقف المجتمعين حوله ويطلب المزيد فشعر اذاك ان الساعة قد دنت . فدق قلبه شديدا ، وجعل يتساءل بينه وبين نفسه عن الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ؟ لم تأخر هذا التأخير ؟ .. وقد كان بجواره في البهو الشيخ محمد الاخضر يحوقل حينا ويتعوذ بالله احيانا من «الشاطر» الرجيم ..

وهو كذلك ، حائر مضطرب ، ما سمع الا والحاجب ينادي بصوته ذاك الممطوط :

— علي الشاطر .. حسين النعسـ...ان ... للمحاكمة .

فخف صوبه وهو يشرئب في مسيره لهيف النظر عله ان يقع على محاميه . ودلف الى القاعة ، ومن خلفه الشيخ ، فرأى الشاطر وقد سبقه في المثول امام المحكمة .

وجعل يتطلع الى القاضي يقلب الاضبارة بادي الاهتمام ، والكاتب الى يساره يثني وريقات بيضاء آنا ويكتب في هوامشها آنا اخر . ثم استدار في هينة الى خلف يحدق في النظارة ، فراعه مطبقي الشفاه ممسكين باذيال الصمت يتطلعون اليه . فأحس بقشعريرة الرهبة تسري في بدنه . اين الاستاذ ؟ كيف يتركه وحده بين يدي علي الشاطر ؟ ماذا سيجيب القاضي ان هو باشر في اسئلته الممسك بعضها برقاب بعض ؟ ..

ورفع القاضي عينيه عن الاضبارة وانكفأ ينقل بصره بينه وبين علي الشاطر . ثم قال موجها الخطاب له وللشاطر معا :

— اما جئتما الي قبل اليوم ؟

فسكت الشاطر لا ينبس ، بينما اجاب هو بالايجاب . فأضاف القاضي:

— الن ينتهي نزاعكما ؟ لماذا عدت ، يا حسين النعسان ، الى المدعي في دكانه وسببته بامه وابيه ، كما يذكر في استدعائه ؟ اما تصافيتما في الدعوى الماضية ، وانحسم الخلاف ؟

فارتج عليه ، مع هذه الفرية يصمه بها خصمه ، لا يدري بم يجيب وظل صامتا للحظات ، والقاضي ينتظر جوابا . ثم ما كان الا ان دلف الى القاعة الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات يتلقط انفاسه اعياء .. عندئذ ، شعر بنفسه ترتد اليه ، ومن ثم عاد الى بعض طمأنينته السابقة .

وانه — اذ يستعيد في خاطره الان ما ابلاه الاستاذ ابو الشامات منذ قليل في دفاعه امام المحكمة — ليستغفر ان اساء به الظن في دعواه تلك الاولى في مواجهة الست عائشة الماوردي ، وليشعر بعد ذلك بمزيد من الاغتباط ان هيأت له الظروف صديقا كالحاج عيدو الخضري يدله على محام فذ كالاستاذ صلاح الدين ابو الشامات .. انه سيد من رافع في ميدان القضاء . لقد قال فيما قال مدافعا :

— « يا سيدي القاضي .. ان هذا الانسان الذي ترونه امامكم الان مرتديا مسوح المسكنة والدروشة ، ان هو الا انسان خداع لا يؤمن له جانب .. انه ممن ينطبق عليهم المثل الدارج : ضرب وبكى ، وسبق واشتكى ..

« يا سيدي القاضي ..

« ان لهذه القضية — التي يقف فيها اليوم موكلي مدعى عليه — شقين اثنين ؛ عرض عليكم منذ اسابيع شقها الاول .. ويعرض عليكم الثاني الان .

« لقد رد ، مدعي اليوم بضاعة كان قد اشتراها من موكلي . فسعى اليه الموكل في دكانه يذكره بعدم شرعية تصرفه . فاذا هو يكيل لموكلي الشتائم من غير حساب .. ويهجم على الكهل الطيب ويصفعه امام اهل السوق جميعا .. فماذا كان من موكلي ؟ توجه بالتو الى المخفر ، وشكاه لرجال الشرطة ، حيث سيق بعدئذ الى محكمتكم الموقرة ليلاقي جزاء ما اثمت يداه ..

« ولقد رأيتم اليه وهو يعترف منذ اسابيع بجرمه على مسامعكم الكريمة وقد كنتم عازمين على الاقتصاص منه حينها .. الا ان ما يتسم به قضاؤنا من عدل ورافة ورفق جعلكم تطلبون اليه ان يستغفر من موكلي ويسترضيه عله يصفح ، فينجو من العقاب الصارم الذي يترصده بحق ..

« وجعل مدعي اليوم يلوذ بالطيبين من الناس يوسطهم للصلح تعقد رايته بينه وبين موكلي . ومن سمات موكلي السماحة والنبالة . ويأتيه الى دكانه

بعد ذلك علي الشاطر برفقة شيخ طيب هو هذا النادم على وساطته الجالس بين النظارة ( ويشير الى الشيخ محمد الاخضر ) يعرض الصلح ويذكر بالتسامح والعفو عند المقدرة. ولما كان موكلي سمحا طيبا ، فقد صفح بعد ما قام اليه هذا ( واشار الى علي الشاطر ) يقبل يده امام الشيخ مرات ثلاثا ويبدي آيات التوبة والاستغفار ..

« وكذلك ، فقد اقبل موكلي الى المحكمة في غيبتي واسقط حقوقه الشخصية دون ان يفطن الى ضرورة تعليق ذلك على اسقاط المدعى عليه حقوقه الشخصية بالتقابل ..

« فاذا مضت ايام ، جاء المحضر الى موكلي يبلغه خبر دعوى رفعت عليه .. اثمة ما هو اشد غرابة وعجبا ! يعفو المعتدى عليه ولا يعفو المعتدي ! لقد استغل هذا الفتى سماحة موكلي الى ابعد حدود الاستغلال . انتزع منه الصفح بالحيلة ، ليرده اليه دعوى اساسها الكيد والحقد والاعتساف ! اي صنف من الناس هذا ؟ لو ضمت نفسه في جوانحها حشاشات المروءة والوفاء لما اقدم على هذا الصنيع !

« ولو قد تصورتم سذاجة موكلي الذي يعفو من غير شرط ، ودون الرجوع الى محاميه ظنا منه اني قد احول بينه وبين اتمام الصلح ؛ اذن لثبت لكم بالدليل القاطع مدى استحالة ان يباشر ادنى اعتداء على اي انسان . ثم ، لو كان قد اعتدى على هذا المخلوق بالقذف والتحقير كما يدعي اليوم ، فلم لم يذكر ذلك بالامس .. حيث وقف امامكم مشلول اللسان الا من اقرار بانه قد شتم الموكل ، وانه لم يصفعه غير صفعة واحدة !.. ... »

واخرج الاستاذ ابو الشامات منديله ، والتقط به قطرات انعقدت على جبينه ، وتابع :

ــ ان هذه الدعوى ، يا سيدي القاضي ، كيدية لامراء .. وما اراد منها مدعيها سوى التشفي من موكلي وجره الى المحكمة ، مستجيبا في ذلك لنزعة الانتقام المتاصلة في نفوس امثاله . ولئن كنا الساعة ناسى على شيء ، فعلى اننا لا نملك ان نطلب انزال العقاب به ، بعد ان تجردنا من حقنا هذا يوم عفونا عنه متناسين الاساءة متطلعين الى عهد مودة وصفاء . على ان لنا ان نطالب في كل حال ، برد هذه الدعوى المبنية على محض الكيد والتشفي ؛ والحكم على المدعي بتعويض لا يقل عن الف ليرة سورية لما سببه من جرح لكرامة موكلي ؛ وتكبيده الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماة ...

ليحي العدل ، وليسلم فم الاستاذ. كم كان مدهشا وهو يدافع وينافح ! ولقد بدا الاقتناع جليا على محيا القاضي الذي جعل يوجه الى علي الشاطر الاسئلة في الصميم متلاحقة كالسهام ، وهذا يداور ويراوغ ، فلا يلبث حبل المراوغة ان يضل به فيعترف بالحق .

وقد قال له القاضي في الاخير مؤنبا :

ــ كيف تبيح لك مروءتك ، يا علي الشاطر ، ان تدامي اليد التي امتدت اليك بالبرتصفح وتصافح ؟ ثم تعترف امام المحكمة بواقعة ضربك لخصمك؟ .. فاذا انت امنت يد القانون ان تطالك ، اقبلت الينا ملفقا تهما باطلة لا يسيغها الوفاء والكرامة والعرفان بالجميل ! ..

وكذلك ، فقد انصت الى القاضي وهو يعلن رد دعوى الخصم لانها كيدية ؛ وبتكبيده الرسوم والمصاريف وبخمسين ليرة اتعاب محاماة ! .

ولقد سأل محاميه في خروجه من المحكمة عما منع القاضي من الحكم على خصمه بالتعويض المطلوب ؟ فتبسم الاستاذ قائلا بانه ليس كل ما نطلب يجاب اليه ، وقد طالما ادعى المتقاضون على خصومهم باشياء واشياء ، وانما هو اسلوب تخويف يلجأ اليه في مواجهة امثال علي الشاطر .

واحس ، وهو يسير الهوينا سعيدا بجوار محاميه في البهو ، بيد تتحسس كتفه . كانت يد الشيخ محمد الاخضر الذي انهال عليه تقبيلا والدمعة في مقلته وهو يحمد الله ان كتب له النصر المرجى .

ولقد الح عليه الاستاذ ، بعد ان مضى الشيخ لحال سبيله ، ان يرافقه الى النقابة يحتسي فنجان قهوة على شرف الفوز . ولكم كان الاستاذ لطيفا وهو يجاذبه حديث الوثوق متناسيا كل شائبة مكدرة . وقد هناه بما نال من ظفر .. ثم همس باذنه وهو يودعه في باب النقابة :

ــ كل ما ارجو ، يا حسين ، ان تطمئن منذ اليوم الى اخوانك المحامين فانما هم في الحقيقة رسل خير يأخذون بيد المظلوم ليجلوا حقوقه المعفرة بالتراب فيتاح للقاضي ان يعطي ذي الحق حقه ..

فتمتم بكلمات اعتذار مبهمة ، ثم جعل يقول شاكرا

ــ لساني عاجز عن شكرك ، يا استاذ .. الله يقدرني على مكافاتك!.

( ١٠ )

كان في نزوله من قصر العدل ، قد جاز شارع القلعة ، ثم هبط الى شارع الجامع الاموي ، وهو يستعيد فصول الحكاية جميعا . وما وعى الا وهو في قسطل الحجارين . فرفع بصره الى شباك محاميه . وطفرت من جديد الى خاطره صورة الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات بسيمائه التي تفيض رقة ووداعة . لله در الانسان ما اقبح ريبه ! لقد ظن بالاستاذ يوما الغدر والتواطؤ ، فافصحت له الايام عن خطل تقديره ولقد توسم بعلي الشاطر الضراعة والاستغفار يوم قبل يده في الدكان ثلاثا ، فاذا هو شر خلق الله غدرا وختلا .

حقا : الناس اجناس .. لا يعرف معدنهم الا على المحك !

ومر ، اذ غدا في سوق باب جنين، بدكان جاره وصفيه الحاج عيدو الخضري . فاستقبله هذا متسائلا في شوق عما تم بالمحاكمة ؟ فانهى اليه وابتسامة الفوز في شفتيه :

ــ لا يضيع حق دونه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ...

وقعد يحكي ، في اسهاب واطناب كيف ظفر له الاستاذ اكليل غار ، وكيف وصم غريمه وصمة الخزي والعار ! .

حلب — فاضل السباعي

# رسالة الى ادونيس

o

صديقي ..
غريب .. أنا يا صديق
غريب .. بي الكون يضنى ، يضيق ..
فلا أفق يمشي ، ولا يحتويني رفيق
مع الكون وحدي..
أقرمط هدبي ، وألهب في كلّ ضلع حريقه
فتشهق فيّ الحقيقه
وتمسك بي كالغريقه
صديقي ..
وتلتف عندي الدروب
كأنّ الدروب أفاعي
وانهر موت وساح ذنوب
وتصغر .. يا حيفها الامنيات
تذوب على صخرة الافتئات

صديقي أمس تحدّث عنّي الجمال
وغنّى مع العندليب بحبّي ..
وغنّى حكايا التلال
ولملم من جفنيَ الحلم وردا .. ظلال
لمَ الان ينفثُ قلبي .. ؟
وينذرُ عبر الليالي رماد
أنا يبس الحبّ فيّا
وماتت خلاياي .. صارت جماد
أنا أكره الناس والشمس .. أكره حتى الحياة
وأبغض نفسي ...
. . . . . . . . . .
فقير وحسّي صار فقير
وبالفقر ضيّعت عمري
وبلّد فيّ الضمير ..
وصرت ، ومن أين لي ان احس ،
بلا شرفات أطلّ على الكون منها
لامنحه الحبّ والزخم والانطلاقا
وأحضنه لهفة واشتياقا
صديقي لو قيل للفقر أين تغيب ؟
لقال سريعا .. أنا لي حبيب .. !
أنتّف منه عروقه
أمصّ رؤاه .. وامتصّ ريقه
أنا لي حبيب يموت بدربي ..
.. يموت بحبّي ..

صديقي
وأحببت .. أحببت حتّى العباده
وحتّى انخطفت الى عالم لازوردي
الى عالم فيه تصحو السعاده
تصير حقيقة ..
تصير خليقة ..
وزند اله بلحظة خلقٍ ..
وضُيّع حبّي ..
وصار ، صديقي ، يلاقيني الدهر حمراء عينه ،
يلاقيني الدهر كفنا يسيل وعيدا
وشدقا يرقّصه الحقد لهفا
ليتمصّ منّي الوريدا
كوحشيّة الموج لمّا يقابله الشطّ ،
يرغي ويزبد ..
ويُرمى على الصخر كاليأس .. يقتل نفسه
يقابلني الكون .. يصفع وجهي ..
فيختلط الشيء بالشيء .. يُذكى حريقي
وتغدو الدنى بحر نار ..
وأغرق يا صديقي
صديقي ..
سألتك زنديك .. ما زال فيّ حنين عريق
الى الفوق ، لله ، للشفق المستفيق
. . . . . . . . . .
. . . . . . . . . .
أظنك بالامس حدّثتني عن غريق ..

مرمريتا ــ سوريا
الياس مسوح

# توماس مان والغموض

بقلم فيليب توينبي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

من عادة جريدة (التايمس) ان تقدم الينا احكاما شبه رسمية عن الكتاب الذين قضوا نحبهم من مدة قريبة ، وطبيعي ان يكون العالم الادبي الانكليزي على شيء من الاتصال بهؤلاء الكتاب منذ عدة سنوات . وعلى هذا ، فان وفاة توماس مان (1) جعلت المعقب في الجريدة الآنفة الذكر ، يلخص سيرة هذا القاص على وفق النظرة السائدة عنه في انكلترا . لقد اكتشف اخيرا ان مان كاتب صاخب ، محب للتكرار والاعادة، بارد الاسلوب ، وهو يستدعي الرثاء اكثر من غيره من الالمان . وقد شبهه بعضهم بالكاتب الانكليزي ( غالزورذي ) فنال هذا التشبيه الكثير من الاستحسان والقبول ، وعلة ذلك ان الانطباع العام عن هذا الكاتب يذهب الى انه كان يوما ما ذا اهمية خاصة ، اما الان فهو غير مستساغ .

وهذا الانطباع يعبر ـ بطريقته الخاصة ـ عن حقيقة مؤداها ان مان لم يكن من الكتاب الذين كان لهم من الشأن ما يحببهم الى الجمهور في بلدنا . صحيح ان القائمة التي تضم اسماء جيد وبراوست ، وجويس ، وكافكا ، وفوكنر وفرجينيا وولف ولورنس وسارتر ومورياك ، فيها الكثير من التنافر والتباين ، ولكن هذه الجوقة فيها من السحر والتأثير ما يجعل الناس مأخوذين ، متهيبين حين يحلو لهم لفظ اسم من اسماء اعضائها . ومن الطبيعي ان نعد هؤلاء اعظم القاصين في القرن العشرين ، غير ان اضافة اسم مان الى هذه القائمة فيه شيء ولو يسير من التجني والتحدي .

وهذا لا يعني ان توماس مان قد نبذ في حياته ، ولم يكن موضعا للالتفات ، ففي امريكا والمانيا تناوله الكتاب بالدراسة والتحليل بصورة مستفيضة عميقة ، تجاوزت ما حظي به اي قاص اخر في ايامنا هذه . اما المعجبون به في انكلترا وفرنسا منهم طائفة صغيرة متناثرة في المجتمع يعوزها الكلام . ومن هنا فان نظرة معقب التايمس هي السائدة .

ويبدو لي ان خير تفسير لهذه الظاهرة يكمن في سببين واضحين . واولهما ان مان كاتب الماني ، ولما كان الالمان لا يحسنون كتابة القصص ، فمن المعقول الا يحسن مان هذه الحرفة ـ نعم ان هؤلاء يجيدون كتابة السمفونيات ، وقد ينظمون الشعر احيانا ، ولكنهم لا يستطيعون الاجادة في الفن القصصي . والسبب الثاني ـ يتعلق بحياة مان العامة ، تلك الحياة التي كانت رديئة بالقياس الى شهرته الادبية، في الوقت الذي كان فيه فلوبير بطل الثقافة بالنسبة الى الادباء الانكليز وعامة القراء .

صحيح ان جيد وسارتر ومورياك كانت لهم اساليبهم المعينة في حياتهم ، غير ان هذه الاساليب كانت مقبولة عند الجمهور . ومع ان جيد وسارتر كانا من اليساريين الثائرين في حين لم يتخط مورياك نطاق الرجعية المثيرة ، اقول مع ذلك ، لم يثر هؤلاء ضغائن الناس . اما توماس مان ، ذلك الرجل الحر ، الاممي ، الانساني ، بل بالحري النبي المفكر، والسياسي العفيف ، فهو لم يسحرنا الا قليلا ، بدوره الذي قام به في الحياة . ذلك بانه كان يشبه آباءنا واجدادنا . والسبب في هذه المشابهة يعود الى انه اصبح في اواخر ايامه رفيقا من رفقاء السفر ، فبعد ان اثنى ثناء عطرا على امريكا ، عاد فثلم سمعتها وثار عليها ، ولم يطعن في النظام السائد في المانيا الشرقية . اما تصريحاته العلنية ، التي تؤلف عددا من المجلدات ، فهي توضح لنا موقفه اذ تجعله بعيدا عن قافلتنا في سيرها ومرحها وصخبها .

لغيري ان يناقش قيمة نظرات مان السياسية . اما انا فسأقتصر على ما اريد قوله ، ذلك باني اعد توماس مان ، اعظم قاص في هذا القرن ، من حيث خصب نتاجه ، وقدرته على نقل الحيوية الى الاخرين . وليس من اللائق الان ولا من المعقول ان نقارنه بانداده من امثال براوست اوجويس اوكافكا . وكل ما اقصد اليه ، هو ان مان لا يزال يمدني بالحياة الثرة والفعالية الخصبة ، وهذا الشعور المتنامي ابدا المتدفق دائما ، هو الذي يبعث في الغبطة والحبور اذا ما تفضل سواي من الكتاب مشاركتي فيهما .

وساكون مسرورا كل السرور لو تمكنت من اقناع زملائي واصدقائي الاحياء بشيء اعتز به اشد الاعتزازوهو ان اجعل توماس مان موضوعا للقراءة ، اذ ليس يكفي احدنا ان يكون قد طالع ( الجبل السحري ) او تحدث عن ( الموت في البندقية ) و (تونيو كروكر) بشيء من الحسرة والاسى. ثم دعني امضي فيما انا فيه بسرعة واستعجال ، لاني اذ القي هذه الموعظة ، انما افعل ذلك ، وانا لما ازل حديث الايمان ، جديد العقيدة والايقان ، ومن هنا يمكنك ان تشعر بحماستي ويقيني بسداد رأيي . لقد قرات قصة (يوسف) منذ سنة فقط ، فاذا كان الحق ان اتناولها بحديثي ، فهذا الحق هو ما نلته من أمد يسير جدا .

---

(1) ولد هذا القاص في سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٩٥٥ ومن مؤلفاته (بودن بروس ) و ( الموت في البندقية ) وغيرهما .

أنا لا انصح اترابي القدامى في ماضي جهالتنا ان يبداوا مطالعتهم الجديدة بقراءة المجلد الاول من قصة ( فيلكس كرول ) لان مان كتب هذه ( المهزلة ) المفعمة بمغامرات الافاقين ، في سنوات حياته الاخيرة ، ولذا فهي تحمل آثار كاتب عجوز ، على ما في بعض هذه الاثار والعلامات من سرور ومرح وانشراح .

لقد ملك مان عنان موضوعه في قصصه ورواياته حتى في ( بودنبروك ) وهي قصة شبابه ، فانت تجد فيها الخطة الواضحة التي يتعذر احتذاؤها ، والسير على منوالها. ( فهل هذا سبب اخر من اسباب شكنا في مان ، وبخاصة لانه يقص منذ ذلك الوقت حكايات اسر وضيعة ؟ )

اما في ( فيلكس كرول ) فان سيطرة مان مطلقة غير محدودة . ومن ذلك اني لم اجد في هذا المجلد ما يمكن ان اعده خطأ ، او عثرة ، او زلة من زلات العين او الاعصاب. غير ان هذه السيطرة المغالية في دقتها ، وهذا المقصد المدروس مقدما والمتبع حرفا بعد حرف ، وهذه المهارة المتجمعة بعد طول اناة وصبر ، كل هذه الامور اراها مطبقة بصورة آلية شديدة . وفي هذا الكتاب الذي يقرأ بسهولة ويسر ، اشياء كثيرة مثيرة رائعة ساحرة ولطيفة ، غير اني شعرت ـ حين بدات مطالعتي له بشيء من التعب والنصب ، ورأيت نفسي محملا على مراجعة ما أثارني سابقا بعد ان أتممت استعدادي لذلك .

وطبيعي ان نقول بان توماس مان يكرر موضوعاته دائما ، وهو يشبه ـ في هذا الشأن ـ العديد من عظماء القاصين ، من اضراب هنري جيمس وجين اوستن ودوستويفسكي ـ ذلك بانه كان رجلا يحتضن بعض الحقائق العميقة ، فجعل شغل حياته ان يعبر عنها بعبقريته بمختلف الوسائل والطرق ، في مجالي عرضه المتنوعة .

وربما تبدو ( فيلكس كرول ) ممثلة لانطلاق جديد في اجواء الفكاهة ، على الرغم مما تمتاز به كتبه الأخرى في هذا الصدد ، وعلة ذلك ان الكاتب خصص قصته هذه باكملها من اجل الفكاهة وحدها . ومع ذلك ، فانا اميل ـ بعد ان قرات القسم الاول من الكتاب ـ الى التفكير بان ( فيلكس كرول ) لا تساعدنا كثيرا على فهم عالم مان وافكاره كما تفعل كتبه المبكرة . اما مصادر هذا الكتاب فهي ( مول فلاندرز ) و ( جل بلاس ) و ( مذكرات كازانوفا ) و(فيلهلم مايستر ) و ( المذكرات ) هي اقربها ـ في الروح ـ الى هذه القصة .

وهنا نجد انفسنا امام شاب الماني هو ابن بائع مشروبات ، محني الظهر ، محدودب القامة ، كان يعيش في ( راين لاند ) وقد اندفع هذا منذ ريعانه في الظلمة فاصبح أفاقا وغدا ( بعد سنوات من تأسيس الامبراطورية الالمانية المجيدة ) وفي خاتمة هذا المجلد يصبح فيلكس خادما ناجحا جدا في باريس ، وذلك على اثر تنكره باسم نبيل لوكسمبركي ، الامر الذي ساعده ـ قبل ذلك ـ ان يعيش في رغد وخفض في لشبونه . وفي الخاتمة ايضا يظهر ( البطل ) وكانه يريد الاقلاع الى الارجنتين ، ومن هنا ربما يحق لنا ان نعد هذه المغامرة المتخيلة بداية مغامرات عالمية . يسرد فيلكس قصته بصيغة المتكلم ، وهذه وسيلة تجعل مبدع هذه الشخصية متمكنا من اضفاء الشك على كل شيء يحدثنا عنه البطل . ومع هذا يصح لنا وضع


## الاديب

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

**الاشتراك العادي :**

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

**اشتراك الانصار :**

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

الثقة في فيلكس حين يتبجح بجماله الباهر ، ومكره الشديد وسحره الاخاذ ، واتزانه الموقر . والواقع ، انه يشبه كازانوفا الشاب كل الشبه ، اما الشك الذي يلازم مغامراته، فهو يماثل بعض المماثلة ذلك الشك الواقعي الذي نشعر به حين نقرا حصيلة مغامرات كازانوفا .

ومن هنا فان « الغموض » الذي تعلق به مان ، هو الشعار الذي اتخذه لنفسه . فحقائقه لم تكن ساذجة قط، وفي هذا الكتاب ، بما امتاز به من اللجوء الى الضمير المتكلم، نجده مكتشفا لاسلوب جديد في مجالي التأملات التي تتناول طبيعة الحق الغامضة ، ولهذا الاسلوب تأثيره الخاص في اذهان القراء . عجبا ، فهل ما يقوله فليكس يمثل ما فعله او تحدث به مع الاخرين ، او هو يعبر عن واقع حياته؟ حسنا ان هذا الامر يبدو له كما هو وهو كذلك بالنسبة الى الاخرين ، والا فهل يمكن ان تجري الامور في واقعها الحي وفي فنائها واندثارها الا كما جرت ؟

وطبيعي ان نقول ان ( البطل ) لم يكن يوما مركيزا ، غير انه نجح في تمثيل هذا الدور في معظم الكتاب . ولكنه الم يصبح مركيزا ، باجادته لهذا الدور الهزلي ؟ ثم يصبح هذا الاعتقاد من الانتشار بحيث يحسبه كل من يلقاه مركيزا ، حتى انه ينسى نفسه في معظم الاحوال ، فيظن الامر لا يتعدى تعريفا غير اعتيادي . فمن هذا البطل ، في الواقع ؟ اذ من الجلي اننا لا يمكن ان نقول بانه ابن بائع النبيذ الاعرج ، او هو ممثل هزلي ، او هو بالذات شخص مشوه احدب . اما مسالة الماهية فهي لا تزال — حتى بالنسبة الى الفلاسفة — لغزا من الالغاز المحيرة . كما انها تربكنا كلما القينا عليها نظرة عصبية . ومن هنا فان مان عازم كل العزم على جعلنا نتأمل هذه الاحجية بعمق واستطراد على حسب مقدرتنا وقابليتنا .

والغاية الاخرى التي يحاول مان عرضها من طريق ابطاله ( فليكس ) او ارمان الخادم ، او المركيز لاولو ، تتلخص بالصلة الوثيقة التي تربط بين الفن والشخص المشوه او الانسان المريض . ولقد حدثنا عن الصلة من قبل ، ولكنه ربما كان في الطليعة من القاصين ، في هذا الشأن ، بأسلوبه الممتاز وسرده المعجب . وفي باكورة هذا الكتاب الجديد ، يتمارض الصبي فليكس بصورة تكاد تكون مقنعة ، حتى انه يتمكن من فرض العوارض المرضية التي يحتاجها على جسمه . الى حد انه قال : « لقد انتجت هذه العوارض بصورة مؤثرة ، كاني لم اكن قد تصنعت في ايجادها واظهارها . لقد حسنت الطبيعة وحققت الحلم ، وليس من احد يشعر بهذا غير انسان نجح في ابداع واقع مؤثر اخاذ من لا شيء ، بالاعتماد على المعرفة الباطنية والتأمل الداخلي فهذا الانسان وحده حسب هو الذي يفهم الرضا الغريب الشبيه بالحلم ، ذلك الرضا الذي استخلصته من نتاجي الخلاق » .

وهذا الموضوع يذكرنا بسرور ( يوسف ) الماكر ، وانانية غوته المغالية ظاهريا في كتابه ( لوث في فايمر ) وميثاق ( ليفركون ) الشيطاني ومرض ( كاستورب ) الاحتيالي ، وفي وفاة الساحر الذي اصابت رصاصة ماريو منه مقتلا .

واخر الموضوعات الثلاثة العظيمة التي ابدعها مان لا ينفصل عما سبق في شان صلة الفنان بالمجرمين والمرضى ، واعنى بذلك الغموض المتعمد الذي جعل مان يجهد نفسه لتفسيره دائما ، وهذا الغموض يبدو — في ظاهر الامر — مناقضا للنظرات الاخلاقية الساذجة التي امتدحها مان واثنى عليها في دوره الاخر .

وطبيعي ان يحدث هذا لان غموض مان لم يتخذ قط الشكل السطحي المتحذلق ، الذي قدر في فرنسا كل التقدير ذلك بان فلسفته الاخلاقية لم تكن تجريبية غايتها بعث السرور المجنون والتناقض الظاهر ، الامر الذي اباح لجين جينيه ان يعد كاتبا جديا .

اما غموض مان فلم يكن ليرتبط باي نوع من الشكوك ، فالخير عنده هو الخير ، وكذلك الشر ، ولذا لم يكن نقيض ذلك ليؤنسه ويفرحه . ولكنه في هذا الامر ، شانه في الامور الاخرى ، تلميذ غوته الصادق المدرك للخير والشر ، ولو ان التميز بينهما قلما يشعر به ، الا ان الصلة المعقدة بينهما تبدو واضحة الاثر بحيث يعترف بها عامة الناس . وكبليك ويونغ ، لم يشك مان قط بوجود الخير الملازم للشر ، اما النزاع بينهما ، وهو ذلك النزاع الذي لا يمكن تسويته ولا حله ، فهو اصيل الارومة ، مستحكم قوي ، وكل محاولة للنيل من الشر بهجوم جبهوي ، يؤدي الى نتائج مضادة غير متوقعة .

هذه كلمات تقال بحق كتاب هزلي الاتجاهات والنيات ومع هذا ، فطريقة مان لا تسمح بالسذاجة والسهولة في تناول الموضوعات . لقد كان فكها جدا في ماساة ( الجبل السحري ) ولكنه لم يبح لنفسه ان تطرد الملهاة الهازلة المأساة الجادة ولا ان يكون الامر على العكس من ذلك . وفي بداية ( فليكس كرول ) نتعرف على البطل الذي هو شقيق كازانوفا — في الروح — فنجده ينهي حياته في حالة سوداوية تلازم الانهيار السابق لاوانه . ولنا ان نتاكد ان هذه العقوبة لم تكن جزاء وفاقا لاخطائه الهينة ، بل هي ربما لا تخرج عن كونها تحذيرا لنا بان ما يبدو سرورا ظاهريا يواكب سيرة افاق ، لا يجب ان يؤخذ بشيء كثير من اليسر والسهولة .

لقد ظننت ، استنادا الى الشواهد غير الوافية ، بان هذا المجلد لا يعد احسن كتب مان المهمة . ولمن يريد ان يتتلمذ على يدي مان البارعتين ، ثمة اصداء واهنة تشير الى موضوعاته المبكرة ، غير ان هذه الاصداء لا تساهم الا قليلا في ايضاح طريقته في العرض والتقديم والشرح والابانة .

ذلك باننا نجد في مدرب الاسود ظلا لماريو الساحر، ونحن لا نعثر لدى ديانا المزقة لذاتها ، المهلكة لنفسها ، العابثة باخلاقها ، اقول لا نعثر عندها الا على ظل زوجة بوتيفار . وكذلك الامر لدى اللورد ستراثبوجي، فهو لا يمثل الا نسخة ثانية من رؤيا اشنباخ القوي المكين ، اما البطل نفسه فهو مزيج من كاستورب ويوسف ، وكل من لم يألف اسلوب هذا الكاتب العظيم ، في مزاجه الجاد الهزلي ، يسعه ان يتعرف عليه ويتمتع به ، اذا هو لفت نظره الى مشهد متحف لشبونه ...

ومع وجود المخاطر المعروفة في الترجمة عن الالمانية ، فقد تمكن المترجم الجديد تجنبها وتخطيها ، وفي هذا ما فيه من صعوبة في الجهد ، وانهاك في العمل .

**العراق — بعقوبة** **يوسف عبد المسيح ثروة**

# انت قاسي

٥

غير اني اعشق القسوة في قلب الرجال
انها توقف من حدٍّ غروري وضلالي
انها أبعد شيء أنا أخشى منك يوما
وهي مغناطيس حبّي ان سئمتُ الحب دوما
وهي احساس لذيذ حالم يغري خيالي

أنتَ لي ! مهما تناسيت ليالينا الغوالي
رغم هذا الزهو والخيلاء .. لي .. رغم التعالي
كن كما شئت وأسرف في التنائي مستبدا
وامض في صمتك ، في هجرك حرًّا ... وتحدّى
أنت لي ! والكل يمضي سائرا نحو الزوال

تتحداني أنا .. ؟ وى ! كيف يا قلب احتمالي
أين دمعي وانيني وأفانين دلالي
تتحداني ؟ وما قيمة ضعفي ان هزمتُ
وهو لي كل سلاحي ، وبه صلتُ وجلتُ
وهو درعي وجيوشي ومعدّات قتالي

انه يا وحشيَ الكاسر موسيقى الجمال
روّضتْ قلبك • فاسترخيتَ في حضن الليالي
انه كلمة سرٍّ • كلما ناديت : « سِمسِمْ »
فتح الكنز .. فأمضي ، من هوى قلبك ، أغنم
وبه شيّدتُ ذاتي وتخطيتُ محالي ...

سوف تأتي .. ! هودج الخيبة مشدود الرحال
وعلى يمناه ضعفي ، وبيسراه هزالي
سوف تأتي ! أنت قربان صلاتي وخشوعي
أنت لي زورق حبٍّ ينثني عبر دموعي
نحو شطٍّ من حنان وعبير ... وظلال

القاهرة — جليلة رضا

قصة لجيمس فاريل

# يوم في حديقة الحيوانات

ترجمة عبدالله نيازي

كانت « ايرين » تقعد على مصطبة في مكان ما من منتزه «لنكولن» بانتظار «اليكس» وحينما لمحته قادما من بعيد اشرق وجهها الجميل المتعب ولكنه ما كاد يقترب وتنظرالىخطواته الثقيلة البطيئة حتى خمنت انهمهموم، وادركت انه فشل ثانية ، وانتظرته بحزن .. ولقد تعانقا وقبلها بحرارة

وقالت ايرين وهي تربت يده :

ـ انني آسفة ، ولكني واثقة يا عزيزي ، واثقة من انك ستحصل على شيء قريبا ..

ـ طلب الي رجل في دائرة الحجز ان اعود خلال اسبوعين ، لقد قال انه لا يستطيع ان يعد بشيء ـ الا ان طريقة حديثه جعلتني اطمئن الى اني سأحصل على عمل هناك .

وسارا ببطء ـ ويدها تبحث بخجل عن يده ، ولقد كان الجو دافئا ورطبا ، واثناء ما كانا يسيران كانت الشمس تختفي وراء الغيوم ثم تظهر وباختفائها وظهورها ، كانت الاشياء تبدو في حالة تغيير مستمر . . فكانت الحشائش واوراق الاشجار تتالق لمدة دقيقة .

وقال اليكس :

ـ لقد فهمت من طريقة حديث الرجل في دائرة الحجز انني سأحصل على شيء هناك خلال الاسبوعين القادمين ..

فهمست وهي تعصر يده بانفعال :

ـ عزيزي ..

واختفت الشمس وراء غيوم داكنة ، وتلفع المنتزه ثانية بغلالة شديدة الاخضرار ، حتى انه كان يبدو اكثر سوادا بالنسبة الى ضوء النهار ولقد راحا ، وهما يسيران ، يملان الدقائق الفارغة بكلمات عاطفية تافهة، وبالامل ..

وبعد ان سارا مسافة ، جلسا على مصطبة وظلا صامتين . ثم راحا ينظران بسهوم الى اطر الاشجار والى

○

السماء المتجهمة ، وقالت :

ـ انني احب هذا المكان ..

ثم همست بانفعال :

ـ انا لا اهتم حتى في حالة عدم حصولك على عمل .. انني سعيدة .

فقال وقسمات وجهه مقطبة بعض الشيء ..

ـ يحدث احيانا ان يحصل الناس على لحظات مشابهة لهذه .. يحسون بالسعادة رغم انه لم يكن هناك اي سبب معقول يدفعهم اليها ..

وقبل احدهما الاخر ، ثم راحا ينصتان الى زقزقات العصافير والى الطيور وهي تغني خلفهم في قمم الاشجار .. ومرق طير ازرق من تحتهما واختفى بين الحشائش في الجانب الاخر من الممر ..

وقالت بشوق :

ـ وددت لو اننا نستطيع ان نمضي بعيدا فلا نقلق من اجل عمل ، او ان نكون فقط في نيويورك ، او في اي مكان اخر .

وود ذلك هو ايضا ، ود لو انه يستطيع الحصول على عمل ، وحانت منه التفاتة الى حذائه ، كان قديما باليا ـ تآكل نعله ولم يعد لائقا به ..

وقالت :

ـ ولكني لا أابه .. اني احبك ، وسعيدة بك ، واني واثقةمن ان شيئا ما سيحدث ..

وبزغت الشمس من خلال الغيوم ثانية ، فازالت ظلال الاشجار التي كانت تتراقص على وجهيهما .. وقالت :

ـ كم هو رائع لو كنا نملك قليلا من الدراهم .. اذن لذهبنا بعيدا دون ان يضايقنا شيء ، او احد ..

فاجاب :

ـ ولكنا لم نتغلب بعد على مصدر ما يضايقنا ..

ـ ومع ذلك ، فانا لست ابالي .. انا لا اعير اهتماما لما قد يحدث ..

وسوف لا اقلق اذا جاءني المخاض اثنا ذلك ووضعت طفلك

ـ ربما ستغيرين رايك ...

فقالت بحماس :

ـ كلا ..

وسالته عن الاسم الذي يريده للطفل ، ولكنه لم يبد اهتماما بذلك ، فعبست ..

وكان حمام يتهادى على الحصى والحشيش على نحو اشبه بالزوجات البدينات ، ثم لا يلبث حتى يخفق اجنحته ويطير لمسافة قصيرة.. ومن بعيد كانا يسمعان اصداء مرحة لاطفال يلعبون .. واجتازهما زوجان لهما شكل غريب .. كانت المراة تبدو انها حامل ، ذات وجه كبير فظ .. وكان الرجل قصيرا مهلهل الملابس ، وكانت تفاهة شخصيته تبدو واضحة في شاربه الصغير .. لقد كانا في خصام، وكان الرجل يقول لها ان ما تحتاجه هو قرصة في انفها ، فتجيبه بصوت مرتفع ، انها فقط تتمنى لو انها تمسكه باصبعها الصغير ، اذن لارته الشيء الكثير مما تود ان تفعل به .. وفي رده عليها ، كان يلوح انه يريد ان يضع تعبيره الكامل لسمو خلقه في كلمة واحدة ، « نعم ! » .. واجتازاهما..

ـ اننا سوف لا نتنافر مثلهما .. اليس كذلك ؟

ـ كلا يا عزيزي ..

ـ واذا حدث وتخاصمنا ، فسوف لا يكون لاستمرارنا معا أي معنى ..

واطرق براسه ثم اشعل سيجارة وجعلت تبكي ..

ـ انا لا اريد ان انتفخ واغدو قبيحة مثلها .. لا اريد ان انتفخ على ذلك النحو واحرم من عنايتك بي ..

فربت على يدها .. وابتسمت .. وقالت :

ـ انا لا اأبه لذلك . اني سعيدة وفخورة لاني سألد طفلك ..

فاجاب ووجهه مقطب بعض الشيء ان حظه سيتغير ، وانه واثق من الحصول على عمل ، وحينذاك سيكون كل شي رائعا ، وسيمضيان معا يعتنيان بنفسيهما وبطفلهما ..

وكانت هناك امراة مسنة تزن ثمانين او تسعين باونا تتسكع ، ذات جلد متجعد وترتدي ثوبا ازرق رثا ، وقبعة قديمة يتدلى منها ورد اصطناعي بال .. وقالت :

– انني سوف لا اكبر واصبح عجوزا مثلها ..

فاجاب :

– الناس كلهم يكبرون ويغدون عجائز ..

وقالت باصرار :

– ولكني سوف لا اكبر .. اننا سوف لا نهرم بهذه السرعة .. وبعد ان اضع طفلك ستعود الي رشاقتي ثانية .. وستكون انت قد حصلت على عمل ، وسيكون بامكانك ان تشتري لي بعض الثياب الجميلة ..

ومال نحوها وقبلها ..

وكان يتسكع بالقرب منهما رجل ذو شعر اشيب ، وشارب رمادي وفوق عينه اليمنى لطخة ، دون ان يبدو عليه انه يقصد مكانا معينا ..

واقترب منهما بخجل سنجاب وحين لم يحصل على شيء من الطعام ، قفز عائدا وارتقى شجرة بلوط ..

وقالت بصوت هو مزيج من الالم والقسوة :

– احبك ..

وقال :

– اني احس احساسا صادقا من اني ساحصل على شيء احسن وجيد في القريب العاجل .. لقد حاولت اليوم ، ولكنه كان يوما رديئا ولا يمكن ان تكون الايام كلها رديئة .. وحتى لو كان الوقت صعبا فاني ساحصل على شيء .. اجل ساحصل ، ولم يكن عدلا من ذلك العجوز « سمول » ان يطردني ، فقد عملت دائما لاجله .. ولكن ، من يدري ، ربما قد احسن الي بطرده اياي . ذلك لان العمل في دائرة الحجز افضل بكثير من اي عمل اديته « لسمول » ولربما كنت ابلى هناك .

– اعرف ذلك يا عزيزي ..

ونفضت دمعة كانت تترقرق في عينها وراحت تغني اغنية شائعة .. ومن بعيد كان يتناهى اليهما ضجيج السيارات وحركة دواليبها .. فبدت الاصوات هذه أشبه بخيالات تأتي من عالم اخر .. عالم يجاهد فيه الناس من اجل الحياة ، فيتقاتلون ، ويجوعون ثم يموتون .. ولكنهما كانا يشعران في تلك اللحظة انهما بعيدان عن ذلك العالم ، فابتسم احدهما للاخر .. وسمعا ازيز فرامل صدئة لسيارة بعيدة ، فشعرت بقشعريرة تدب في جسمها ، ثم اختفت الاصوات كلها ولم يعد يسمع غير هسيس ريح الصيف ... وقالت :

– اننا لم نتمتع يا عزيزي ابدا بشهر العسل ، فحبذا لو ذهبنا الى مكان ما وحققنا هذه الرغبة .. الى اي مكان بعيدين عن كل شيء ..

– حسنا ، اذا استطعت ان احصل على العمل في دائرة الحجز هذه ، واستطعنا ان نوفر شيئا من مصروفنا فلربما سيكون بامكاننا ، في العام القادم ، حين احصل على عطلتي ، ان نرحل الى مكان ما لبضعة ايام ..

– ولكني اريد ان نذهب قبل ذلك ، ولمفردنا ، وقبل ان يجيء طفلنا اذ سأكون سعيدة معك فقط .

فقال :

– ان ذلك سيكون مضحكا ، ولكن حسنا ، اننا سنرحل في يوم ما .. فانا لست ابكم ، وان احدهم سيمكنني من الحصول على عمل . ولا يمكن ان يستمر هذا النحس الى النهاية ..

– وسوف لا نقلق لشيء ، ذلك لاننا سنكون سعداء .. أليس كذلك؟

واقتربت منهما مربية تجر وراءها طفلا يبكي .. وتبعتهما الام وولدها الى جانبها يصف العم « جو » بالبلاهة ، فلطمت الام الصبي فجعل يصرخ .. وقالت بفزع

– سوف لا نربي طفلنا على ذلك النحو ..

فأجاب بايجاز

– اجل ..

– وفي ايام الاحاد سنأخذه الى حيث نذهب ، وستكون لدينا عربة تقودها انت ..

وأطرق ..

– وسيكون الطفل قطعة منا ، وسنحرص على ان نكون لطيفين معه .. وستضع انت القاعدة التي يتناول بموجبها الحليب في كل الاوقات ..

ولم يجب بشيء . وظل ينظر الى الناس وهم يمرون في حين ظلت هي تثرثر .. ومر بعض الاولاد وهم يحملون فروع اشجار يتدلى منها السمك ، واعقبهم صبيات لطاف يسرن الى جانب امهاتهن .. وكان هناك بعض العجائز يتناقشون بامور سياسية تافهة دون ان يعيرهم احد اهتماما .. لقد كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويأتون باشارات غريبة ..

واستمرا في جلوسهما . وقد بدأا يحسان بالضيق ، والقلق وجعلت تبكي ثانية .. وراح ينظر ساهما واصابع يده تنثني وتنبسط ، وشفتاه ترتجفان ويهمس في اعماقه بصمت « أيها المسيح .. أيها المسيح .. ينبغي ان يحدث شيء .. »

واقترحت عليه :

– دعنا نتمشى ..

وراحا يتسكعان في انحاء « حديقة حيوانات لنكولن » .. واجتازهما شاب خشن يرتدي ثوبا مفتوح الياقة وتتبعه فتاة ذات رونق وبهاء وهي تمضغ شيئا .. وفيما هما يمران كانت الفتاة تقول « انه وغد ، وغد تماما ، لقد اخذني معه الى الكيت كات وانك تعلم يا عزيزي ان الابله انفق علي الشيء الثير .. انه وغد ، ومن ثم ارادني ان اذهب معه الى البيت ، لقد ظن انه اصبح في وضع يؤهله لان يتمتع بي وهكذا ازحت يده عني بعيدا وقلت له بغضب « اسمع ، أتحسب اني من اولئك الساقطات . ها » واخبرته ان يحتفظ بيديه في المكان اللائق بهما فلا يدعهما تقودانه الى الاذى .. ذلك لاني ، يا عزيزي ، مخلصة لك ..

وسارا ببطء – ومرا بامراة قوية البنية خلقة الثياب تناغي الحمام وتطعمه الفول السوداني .. وباقترابهما من الحيوانات فقد اخذ الهواء ينقل اليهما روائحها ووسخها .. ولقد كان الطاووس اول ما وقعت عليه اعينهما .. كان ابيض ذا ذيل طويل زاه ، يرقد في احدى زوايا

قفص مفروش بالرمل ومحاط بثلاثة اقفاص اخرى .. وكان صبي يطعم ديكا روميا ، يرقد بكبرياء في القفص ويأكل بانفة :

وقالت ، وقد كانا ما يزالان يتسكعان ..

— سنجيء بطفلنا ، حين يكبر كفاية ، ويرى الطاووس ..

— نعم ، وانك لتعلمين انني كنت افكر بامكانية الصورة لرؤية «سمول» فلربما يستطيع ان يعيدني في الخريف اذا كان العمل قد انتهى الان ..

وكانت هناك امرأة بدينة يبدو عليها التعب ، تسير وامامها ابنها يجرها وهو اشبه ما يكون بالجرو المدلل .. لقد كان يحثها بصوت مرتفع ان تسرع قليلا لكي يتمكن من رؤية الفيل .. وقالت :

— ان طفلنا سوف لا يكون على شاكلة هذا الصبي ..

فأجاب دون أن تكون لديه رغبة في الكلام !

— كلا ..

— ان طفلنا سيشب رائعا يختلف عن الاخرين

وقال :

— بعض الناس لا يعتنون كثيرا بتربية اولادهم ..

وراحا يرقبان الدببة التي كانت في اقفاص مكشوفة الجوانب ، جهاتها الاربع محكمة بالقضبان الحديدية لتمنع الدبب من الانطلاق خارجا .. ولقد وقفا ينظران من خلال القضبان ، وعلى بعد منهما كان جماعة من الناس يرقبون بضعة اولاد يعاكسون دبا رماديا بما يبدون من اشارات توحي الى انهم يرمون اليه الفول السوداني .. وكان الدب ينتصب واقفا على وركه ويدور حول نفسه محركا مخالبه ببطء . ثم يقف قليلا ليبدأ من جديد .. وما ان ذهب الاولاد عنه اخيرا حتى اخذ الدب الرمادي يدور في القفص ببطء ولكن بخطوات ثابتة . وحين اخذ بعضهم يرمي اليه الفول السوداني جعل يعيد اللعبة ثانية ، يدور حول نفسه ويشير بمخالبه ..

وبما ان الهواء كان يهب بصورة مستمرة من بحيرة قريبة ، فقد تضاءلت رائحة الحيوانات حتى لم يعد يحس بها ..

وسارت «ايرين» وتبعها «اليكس» وراحا يجتازان الاقفاص واحدا واحدا حتى انتهيا الى قفص فيه بعض الدببة القطبية .. كان القفص يرش بماء يتدفق من انبوب على علو سبعة امتار .. ولقد وجدا هناك دبا قطبيا يسبح.. كان يسير الى الخلف باتجاه رشاش الماء ، يهزكتفيه ويضع مخالبه في الارض الصخرية ، ثم لا يلبث حتى يتجه الى الامام بنفس الحركات ليعيد تقهقره الى الخلف باتجاه رشاش الماء .. ولقد كانت رفيقته تجلس القرفصاء وترقب الناس من عل ، وتحرك مخلبهاالايمن في اللحظة التي تحس فيها ان هناك من يهم بالقاء الفول السوداني ..

وقالت :

— دعنا نطعمها شيئا من الفول

— الاحسن الا نبعثر ما معنا من دراهم .. ان ما نملكه لا يزيد على الثمانية دولارات ، وينبغي ان نجعلها تكفينا حتى احصل على عمل ..

— ولكنها قاسية ، الطريقة التي تستجدي فيها الفول ..

— لديها منه الكفاية . .

— انه سوف لا يكلفنا غير قطعة صغيرة ، وانا متاكدة من انك ستحصل على عمل غدا ..

واسرعا الى بائع قريب ، ثم رجعا وراحا يطعمانها في حين استمر الاخر في تقهقره الى الخلف باتجاه رشاش الماء .. وسئما هذا النسق المطرد فغادرا المكان ..

وما كادا يسيران حتى واجهتهما رائحة مختلفة لحيوان اخر ، فابصرا بعض الثعالب الحمر وقد كانت نائمة، وذئبا رماديا رشيقا يدور بخفة على شكل دائرة ، ثم انتهيا الى مكان ظليل فيه حوض ماؤه اخضر داكن ترقد فيه بكسل التماسيح الامريكية . وفي وسطه كومة من الحجر الرطب .. وكان عدد من الاولاد يرقبونها بشوق ويتراهنون بحماس حول اي من التماسيح هذه يتحرك اولا .. ولكنهما لم يتوقفا بل ظلا سائرين لتتاح لهما فرصة يتفرجان فيها على الفيل .. ولقد كان مكانا رحبا مسيجا بالقضبان والحجر ، تنبعث منه روائح قوية هي مزيج من العليق والطعام والفضلات .. وكان الفيل ينتصب في احدى الزوايا ، يرمي بالعليق على ظهره ويارجح خرطومه على نحو متساو ، واقتربا من السياج على مهل ، ورميا اليه بالفول السوداني . فجمعه في خرطومه وجعل يلقي كل ثلاث حبات مرة واحدة في فمه ، وحين رميا اليه القشور الفارغة ، ابعدها عنه ورجع بتثاقل الى الخلف حيث اخذ يعيد رمي العليق على ظهره ..

وغادراه . وكانت الشمس قد عادت الى الظهور ثانية ، ومشيا الى جانب بناء احمر ترقد فيه الاسود ، وكانا قد سمعا زئيرها القوي المتواصل قبل ان يصلا اليها ، وفي الجهة المقابلة لهذه البناية ، كان عجل بحري وحيد يقف على بعض الصخور المرتفعة ويصرخ برتابة مطردة فشعرا بالرعب يجتاحهما ..

وعبرا ساقية صغيرة ثم وقفايتناقشان فيما اذا كان ينبغي اولا ينبغي لهما ان ينفقا مبلغا يشتريان فيه شيئا ياكلانه .. واقترحت عليه الا يفعلا ، ولكنه كان في تلك اللحظة تحت تأثير نشوة طارئة تدفعه باستمرار الى الاعتقاد من انه سيحصل على عمل جيد خلال هذه الايام .. فدخلا مطعما صغيرا وانتحيا مكانا بالقرب من النافذة وقالت :

— ما احمل هذا المكان

واطرق ثم اشعل سيجارتين ..

— ولكننا سنهرم في يوم ما ونغدو كاولئك الذين رأيناهم في المنتزه ، ثم لا نلبث ان نموت ..

— اجل ..

— وسنوضع في الصناديق ، ولسوف يكون باردا تحت التراب ..

— احسب ان الامر سيكون حسنا في الخريف ، واذا لم احصل على شيء في دائرة الحجز تلك ، فان باستطاعة « سمول » ان يعيدني الى العمل ومع ذلك ، فاني احس احساسا صادقا من اني ساحصل عليه او على شيء افضل خلال هذين الاسبوعين .. واني لاحس ذلك في عظامي ، ولقد كان اليوم فقط رديئا ..

— عزيزي — اذا مت وانا اضع طفلك ، فهل ستعتني به بعدي وتمنحه حبك وتجلب له اللعب ؟

— حبيبتي .. ارجوك ..

وقالت باصرار

— ولكنك ستفعل ، قل لي انك ستفعل ..

واطرق قليلا، ثم راح ينظر من خلال النافذة ، وحين استدار جعل يرقب رجلا عجوزا يحمل في يده المرتعشة قدحا مليئا باكوكاكولا .. وقال :

— انا واثق من اني ساحصل على شيء .

وحينما فرغا من الطعام ، ونهضا وضع على المنضدة ثمن طعامهما وهو ياسف على الدراهم التي ضاعت دونما جدوى .. ثم تأبط ذراعها وراحا يعبران الساقية الصغيرة وهما في طريقهما الى الباب الخارجي للمنتزه ..

— ساحصل على شيء ولسوف اريك كيف يكون ذلك ، اجل ، ساحصل على شيء مناسب ، وسيغدو كل شيء رائعا . .

فقالت وهي تدير وجهها لتخفي عنه دمعة كانت تتحير في موقها :

— انا اعلم انك ستفعل ، ولي فيك ايمان لا يتزعزع..

وغادرا المنتزه ، واستقلا سيارة عامة لتعود بهما الى غرفتيهما في شقة متواضعة .. وبينا هما في السيارة راح يفكر في الحيوانات التي شاهدها في الحديقة .. واحس انه سجين مثلها تماما ، ولربما من الاوفق له ان يضع نفسه هو ايضا في قفص .. وصر على اسنانه بقوة ، وراح يهمس الى نفسه .. سواء استمر هذا النحس ام لم يستمر فانه سيمضي يكافح ولسوف يحصل على عمل ويشتغل بقسوة لاجله ولاجل « ايرين » ولاجل ولدهما الذي سيرى النور بعد امد محدود .. لقد اقنع نفسه ان ذلك ما يفعله الرجل اذا لم يكن حيوانا محبوسا في قفص .. انه سوف لا يتخلى عن السعي ابدا ، اما اذا تقاعس ، فان العالم كله يصبح اشبه ما يكون بحديقة حيوانات كبيرة ..

وضغط على يدها بقوة ، فاقتربت منه حتى التصقت به .. اجل ، لتحل عليه اللعنة اذا هو تخلى عن السعي والجاه وسيغدو رجلا وليس مجرد حيوان في قفص ..

واحتضن يدها .. بألم ولكن بعزيمة باردة ..

العراق — كركوك عبدالله نيازي

# وحـــــدي

✷

للزهرة البيضاء

●

العراق ـ المقدادية

✷

وحدي .. أنا والليلُ والصمت العميقْ
وحدي .. وفي عينيَّ يحتضر البريقْ
والقلبُ يتلو للدجى أسطورة الحلم الغريقْ
وعلى الجفون المطبقات مواكب الماضي السحيق

وعلى الجبين الشاحب المكدود ترقد قصّة الالم الدفينْ
فيموت في أعماقها لحنٌ يمزّقه الانينْ
ويذوب همسٌ باهت الاصداء ، مذبوح الرنين
لم يبق الا الصمت واليأس المعذّب والحنين
والوهم والشوق المكفّن في قرارات السنين

المارد الجبّار يهدر في الظلامْ
والليل حقدٌ لا ينام
ورؤى الظلام
الموت والصمت المروّع والظلام
والنغمة الخرساء تغفو فوق اشلاء الحطام
وحدي أنا يا قلبُ أصرخ في الظلام :
« لا شيء يمنحني السلام »

الزورق المسكين أضناه الصراعْ
الموج يصفعه ، ويعبث بالشراع
والظلمة الهوجاء تلتهم الشعاع
فيفرّ في ذعرٍ ويأسٍ وارتياع
والزورق المسكين أضناه الصراع
سيموت في قاعٍ رهيب الصمت مجنون السباع
وتموت في شفتيه الحان الوداع

يأسي .. وأحلام الغروب المرهق الباكي الحزينْ
صمتي .. وملحمة النضال المرّ والشوق السجين
أمسي .. غدي .. أمسي القريبْ
عدمٌ ينام على خيالات اللهيب
وأنا .. شعاعٌ واهن الاضواء ، مرتعدٌ ، كئيب
وأنا .. نشيدٌ خافت الانغام ، مخنوق الوجيب

وحدي .. أنا والليلُ والصمت العميقْ
وحدي .. ولا املٌ يغنّي ، لا رفيق
وحدي .. ولا نجمٌ يضيء الليل للساري ، ولا ظل صديق
وحدي .. خطاي المتعباتُ تذوب في سمع الطريق

لا شيء غير الصمت والوهم المقنّع والخداعْ !
لا شيء غير الليل واليأس المروّع والصراع !

# منازع العلم الحديث : الترفيه عن الصحة العامة


بقلم بروك شيزهولم

المدير العام لمنظمة الصحة العالمية

ترجمة يوسف اسعد داغر


منذ عهد باكر من تاريخ التطوير الصحي لحالة المجتمع الانساني ، عنت السلطات الحاكمة نفسها بتحقيق الترفيه عن الشعوب التابعة لها ، وذلك باتخاذها التدابير التي تساعد على النهوض بهذا الامر وتأمين اسبابه. فقد عمدت المجتمعات البشرية الاولى ، حتى في تلك العهود التي كان فيها تحرر الانسان من الامراض يعتبر شاهدا على حسن العلاقات التي كانت تشد الارض الى السماء والناس بالآلهة ، او اقله ، على اغضاء الارواح عن البشر واهمالها شؤونهم وعدم الاكتراث بامورهم ، فتتخذ راضية مرضية ما تراه من التدابير خليقا ، ومن الاجراءات قمينا بتأمين المحافظة على اسباب الصحة بينهم .

ان وسائل الوقاية والطبابة والعلاج التي تذرع الانسان بها للبقاء بمعزل عن الامراض التي تترصده او الخلوص من عقابيلها ونتائجها الوخيمة اذا ما وقع يوما فريسة لها ، كثيرا ما ارتدت لبوسا شتى من السحر والتعزيم ، وصنوفا من التعبد والتهجع والاضاحي الغالية ، والنذور السخية ، وغير ذلك من وسائل الاستعطاف والتخشع والامالة ومراسيم التعاويذ والطلسمة يأتيها الافراد والجماعات في اكثر الاحايين . وبعض هذه المناسك الدينية كان يشترك بها جانب كبير من افراد الشعب كالصلوات العلنية العامة والرقص الديني ، بين مظاهر التكبير والتهليل ، في جو عابق بزفير النار ورائحة الاضاحي ، وصلصلة السيوف ، وجلجلة المهللين ، ودق الطبول ، وتلاوة الصلوات وعربدة الكهان وزعيق الزمور ، طردا للارواح الخبيثة ، وابعادا للشياطين والارواح الشريرة التي تجر وراءها الامراض والمجاعات ، او استجلابا للصالح الخير منها .

كثير ما لجأ الناس قديما ، الى مثل هذه الطرائق الغريبة واساليب التعزيم العجيبة ليطردوا عنهم هول الاوبئة الجارفة والامراض الوافدة تهددهم بالويل والثبور وتمعن فيهم جرفا وتقتيلا . فقد حرص الانسان حقبا متعاقبة على ان يضفي على التدابير التي يأتيها للترفيه عن نفسه صحيا ، سواءا أكانت هذه التدابير : صالحة يستسيغها العقل ، او طالحة يمجها فيطرحها جانبا ، تأييد السلطات الدينية لها ورضى الارواح عنها ، فيصرفها تصريفا دينيا على شكل ترضى عنه الجهات والاطراف المعنية . وهكذا نرى مثلا ، ان كثيرا من النواحي والتواصي الصحية ، التي قال بها الدستور الموسوي ، تقية او اتقاء دفعا او جذبا يبدو بعضها معقولا مرضيا بينما يبدو الجانب الاخر منها سخيفا يدعو للهزء والسخرية .

وهكذا على ممر الاجيال وكر السنين وبالرغم من الخزعبلات والاساطير والخرافات التي لا تزال تستبد بافكار الناس ونفوسهم ، استطاع الانسان أن يصل تدريجيا ، الى ما ينعم به اليوم من سيطرة ، أنى لها ان تكون تامة ، على الامراض والتحكم بها بعض الشيء ، وذلك باعتماده وسائل وذرائع ثبت نفعها ، عن طريق الاختبار الطويل والتجربة الصادقة ، فخففت الى حد بعيد ، من سوء العادات والمراسيم النافلة البالية ، واستعاضت عنها ما هو اجدى ، واكثر انتظاما ، واوفر نفعا ، وبالتالي اجزل عطاءا ومردودا .

ومع ان الانسان بقي حتى عهد قريب يجهل الاسباب الحقيقية للمرض ، فقد اخذت السلطات المعنية كلما وجدت نفسها حرة طليقة من ربقة المؤثرات الدينية التي طالما ارزحتها وابهظتها ، تعتمد على مر الاجيال ، ما يجنبها الخطر المتفاهم في الوافدات المرضية الوافدة . من ذلك مثلا ان القوانين التي اصدرها الامبراطور شارلمان (١)، عام ٧٨٦ ضد مرض الجذام والبرص المصابين به ، قد اوجبت عزل البرص عن الاحياء المأهولة ، كما اوجبت عليهم ارتداء ملابس سود والنفخ ببوق يحملونه اينما اتجهوا ، تنفيرا للناس من الطريق التي يسلكون ، هربا منهم من شر العدوى التي يتعرضون لها .

وكان هم المجتمعات البشرية في اوروبا ، في غضون الاجيال الوسطى عهد الاوبئة الفتاكة التي كانت تحل بها دورا فدورا ، كالطاعون والهيضة الصفراء ، والتيفوس ، والجدري والبرداء ( الملاريا ) التي اودت معا بالملايين من الضحايا ، ان تضرب حولها نطاقا يعزل من انتقلت اليه عدوى هذه الامراض . فكثيرا ما كان الافراد والمجتمعات تحاول الفرار والهروب لتنفر بنفسها الى امكنة سليمة ، ولو استهدفت في محاولاتها هذه لخطر الموت والقتل قطعا فيها لدابر العدوى .

ولما نزل الطاعون بمدينة لندن ، عام ١٦٢٥ ، انتقلت الاسرة المالكة فيها الى قصر وندسور . ولكي يقي البلاط نفسه من شر العدوى ، نصب على جادة الطريق بين القصر المذكور ولندن ، مشنقة يشنق عليها من تحدثه نفسه من سكان لندن ، بالالتحاق بقصر وندسور . وعندما فشا

الطاعون في مرسيليا ، عام ١٧٢٠ حاولت السلطات المسؤولة فيها عزل المصابين ، في حي واحد من احياء المدينة وعهدت بامر منعهم عن تجاوز النطاق الحجري المضروب حولهم ، الى فريق من فظاظ الحراس مع تخويلهم الحق باعادة كل من يحاول الفرار من الموبوئين الى المحلة حيث يحطم راسه على الاشهاد من ابناء المحلة عظة لهم وعبرة . وكل طبيب او جراح يحاول الهرب والنجاة بنفسه من الموت الذي يترصده يلقى القبض عليه ليلقى المصير المشؤوم ذاته .

كان من الطبيعي جدا ان تعجز اي من هذه الطرائق او الذرائع المتخذة عن تامين السيطرة على الاوفدة المستبدة ، دونما رحمة او شفقة ، بالملايين من هذه الدهماء المتعرضة لها والقضاء بالتالي على ما فيها من خطر مداهم يسمر الخوف في النفوس ، بالرغم مما كانت تتسم به بعض التدابير المتخذة ، من فعالية جذرية . ففي عام ١٦٦٥ ، فشا وباء الطاعون في قرية « ايام » من قرى انكلترا . فأخذ رئيس البلدية فيها يحاول اقناع السكان البقاء حيث هم ، لئلا يعرضوا سكان البلاد لخطر العدوى فابقيت القرية معزولة عن انحاء البلاد الاخرى ثلاثة عشر شهرا ، فقدت فيها ٢٥٩ شخصا من اصل ٣٥٠ وهو مجموع سكانها اذ ذاك ، اي ما يوازي ٧٤ في المائة من المجموع . وقد كان من جراء هذه العزلة التي فرضت على القرية المذكورة ان حالت دون تسرب جرثومة الداء وانتشار المرض في انحاء البلاد الاخرى . فكانت الضحايا المعدودة فدى لاضاح لا حد لها ولا حصر . وطبيعي ان الناس اذ ذاك كانوا يجهلون تماما ان جراثيم الطاعون انما تتصل بالناس بواسطة البراغيث التي تحملها الجرذان .

وفي العصور الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، عرفت اوروبا نظام الحجر الصحي الذي كان يقضي بعزل الافراد والبضائع المشبوهة المصدر ، مدة من الزمن ، حتى اذا ما ثبتت سلامتهم ونظافتها تركت لها ولهم حرية التنقل وكانت مدينة البندقية ومالطا وجنوى ومرسيليا من هذه المدن التي اخذت باسباب الحجر الصحي كتدابير وقائي ، سارت عليه فيما بعد ، اسكتلندا وانكلترا وفرنسا . وما طلع القرن التاسع عشر حتى كانت كل البلدان المتمدينة تسير على اساليب معينة مرسومة في ما تفرض وتسن لها من تدابير الحجر الصحي كاجراء وقائي اولي ، مع ان العلم لم يكن عرف بعد شيئا عن ماهية طبيعة الجراثيم والميكروبات ولا فطن للدور الذي تلعبه هذه النسيمات في نشر العدوى عن طريق الفار والجرذان والبراغيث والقمل ، والماء والمواد الغذائية الملوثة .

وكان من جراء الخوف الذي شمل اوروبا واميركا على اثر فشيان وافدة الطاعون في الهند عام ١٨٢٨ ، وانتقاله الى اوروبا عام ١٨٣١ ، واتصاله باميركا وكندا عام ١٨٣٢ بالرغم من التدابير والاجراءات الصحية المتخذة للحوول دون انتقال عدواه وانتشارها في البلدان الاخرى ، ان شل الحركة التجارية في تلك البلدان واوقع فيها البلبلة والارتباك الامر الذي حمل بعض الدول على عقد اول مؤتمر دولي للنظر على اساس دولي ، في تدابير الوقاية المتخذة ولا سيما الحجر الصحي . فتقدمت فرنسا بالدعوة للمؤتمر المذكور عام ١٨٣٤ ، ولبثت الامور حيث هي ، الى عام ١٨٥١ تاريخ اول مؤتمر دولي للحجر الصحي عقد في باريس وحضره ممثلو ١٢ دولة مختلفة . وقد حرصت كل دولة ان تضم الى وفدها الرسمي طبيبا .

والدول التي اشتركت بالمؤتمر المذكور ضمت النمسا وبريطانيا واليونان والدولة البابوية ، والبرتغال وروسيا ، وسردينيا وصقلية ، واسبانيا وتركيا وتسكانا . والمؤتمر المذكور الذي كان الحلقة الاولى في سلسلة من المؤتمرات الدولية عقدت في ما بعد ، ضل في متاهات من النظريات التي لا طائل تحتها لخلوها من اساس منطقي ، ومع ذلك فقد خرج المؤتمرون باتفاق يتألف من ١١ مادة وبعدد من التوصيات والاقتراحات بلغت ١٣٧ توصية يتعلق معظمها بالتجارة الدولية .

وهذا الاتفاق الذي توصل مؤتمر باريس الى عقده بقي مع ذلك حبرا على ورق ولم تدخل احكامه يوما في حيز التنفيذ اذ لم يصادق عليه من الدول التي اشتركت فيه غير فرنسا والبرتغال وسردينيا ، وبعد وقت وجيز الغت الاخيرتان موافقتها عليه ومسحتا امضاءهما فماتت الاتفاقية والفيت . ومع ذلك فالحجر الاساسي قد وضع في حقل العمل الدولي من هذه الناحية ، اذ اعترفت جميع الدول بضرورة مراقبة الامراض الوبائية والوقاية منها قدر المستطاع والتحكم بها . كذلك برزت للعيان ، من جهة ثانية ضرورة العمل الدولي المشترك . ومواد الاتفاقية الدولية الاولى التي عقدت في باريس عام ١٨٥١ ، دخلت فيما بعد ، في صلب عدد من الاتفاقات والمعاهدات الدولية التي عقدت تباعا لدرس قضايا الحجر الصحي على اساس دولي ولا يزال العمل ببعضها جاريا الى يومنا هذا .

وقد عقدت مؤتمرات دولية اخرى للنظر على التوالي بهذه الامور ، منها المؤتمر الذي عقد في باريس عام ١٨٥٩ ، ومؤتمر القسطنطينية ، المعقود عام ١٨٦٦ الذي تمثلت فيه ١٦ دولة ، ومؤتمر فيينا المعقود عام ١٨٧٤ حضره ٢١ دولة . وقد هدفت هذه المؤتمرات الدولية الى امرين خطيرين : اتخاذ اجراءات دولية موحدة في ما يتصل بالحجر الصحي ضد الطاعون ، وانشاء لجنة دولية دائمة للنظر معا والتعاون على التدابير التي يجب اتخاذها ضد الامراض الوافدة ، فكانت هذه الجهود اول محاولة صادقة تبذل بجد واهتمام

---

(١) شارلمان ( ٧٤٢ ــ ٨١٤ ) او كارلوس الكبير ، هو ملك الفرنجة ( ٧٦٨ ــ ٨١٤ ) وامبراطور الغرب ( ٨٠٠ ــ ٨١٤ ) واشهر ملوك الدولة الكارولنجية ( ٧٦١ ــ ٩٨٧ ) التي ابتدات مع ببين القصير وانتهت بوفاة لويس الخامس . وقد جاءت الدولة الكارولنجية تستصفي ارث الدولة الميروفنجية في فرنسا ( ٤٢٨ ــ ٧٦١ ) . عرف شارلمان بسلسلة الحروب الدامية التي شنها تباعا ضد قبائل السكسون ( ٧٧٢ ــ ٧٨٥ ) واللمباردين ( ٧٧٣ ــ ٧٧٤ ) والعرب في الاندلس . نودي به امبراطورا للغرب . في روما حيث تم تتويجه بيد البابا نفسه . مكن عهده لانتشار المسيحية في الغرب وترسيخ اصولها بين القبائل الجرمانية . ناصر الاداب والفنون فازدهرت في عصره بعد ان كادت جذوة الحضارة تنطفي في اوروبا الغربية تحت وطأة غزوات البرابرة المتوالية . من مشاهير مستشاري دولته « الكوني » . ربطته وهرون الرشيد علاقات طيبة ومعاهدة صداقة نال بموجبها بعض الامتيازات الخاصة ، منها حماية المسيحيين في الشرق .

لانشاء منظمة دولية تعنى خصيصا بهذه الشؤون . ومع ان هذه المؤتمرات لم تتبلور عمليا عن اي شيء محسوس فهي شهود عدل على مبلغ اهتمام الدول بهذه الناحية التي تتعلق بالصحة العالمية .

وبعد ذلك بثلاث وثلاثين سنة ، اي في عام ١٩٠٧ ، انشىء المكتب الدولي للصحة العامة قام على المبادىء والقرارات المتخذة في مؤتمر عام ١٨٧٤ . اما اميركا فقد رأيناها تقف بمعزل من هذه الجهود الدولية التي استعرضنا لنشاطاتها هنا ، وذلك لركونها الى عزلتها مع انها تعرضت في مناسبات عديدة بين ١٨٣٢ — ١٨٧٨ لاخطار الطاعون مرارا ، الامر الذي حمل الولايات المتحدة الاميركية على الدخول عضوا في المنظمة الدولية للحجر الصحي ، وعلى تولي الدعوة للمؤتمر الصحي العالمي الخامس الذي انعقد في واشنطون ، عام ١٨٨١ .

اعقبت هذه المساعي الحميدة مؤتمرات دولية اخرى عقدت تباعا في روما ودرسد وباريس وفيينا كما عقد بعضها في جمهوريات اميركا اللاتينية كمكسيكو مثلا حيث عقد المؤتمر الصحي العالمي الثاني عام ١٩٠٢ ، هذا المؤتمر الذي اسفر عقده عن انشاء المكتب الصحي المشترك لجميع اميركا ، وهو مكتب اخذ على عاتقه طيلة خمسين سنة ، تزويد الاميركيين بالمعلومات الوثيقة عن فشو الامراض الوافدة وسيرها وانتشارها والاخطار التي تهدد بها . وللمكتب المذكور نشاطه الخاص وميزانيته المشتركة الخاصة فهو المكتب الاقليمي للاميركيين التابع لمنظمة الصحة العالمية .

وقد عقد في باريس ، عام ١٩٠٣ ، المؤتمر الصحي الدولي الحادي عشر الذي اقر كثيرا من التوصيات التي طلعت بها المؤتمرات السابقة ، ووضع اتفاقية دولية جديدة تتعلق باحكام الصحة العالمية وقعتها ٢٠ دولة اشتركت فيه . بينها ١٦ دولة كانت حضرت المؤتمر السابق الذي عقد في روما ووقعت الاتفاقية التي وضعت فيه . وفي عام ١٩١٢ ، عقد مؤتمر اخر تمثلت فيه ٤١ دولة . ثم عقد عام ١٩٢٦ المؤتمر الدولي الثالث عشر الذي حضره ممثلو ٦٥ دولة توصلت الى عقد اتفاقية جديدة بقيت احكامها سائرة المفعول حتى حلت محلها منظمة الصحة العالمية التي اخذت على نفسها وضع معظم القوانين الصحية الدولية ، المعمول بها اليوم .

وفي عام ١٩٢٠ ، طلعت علينا عصبة الامم وهي اكبر هيأة دولية عرفها التاريخ اذ ذاك خولها الميثاق الموضوع لها صلاحيات واسعة في الامور التي تتعلق بمراقبة الامراض والوقاية منها . ومع ان ميثاق عصبة الامم لم ينل تأييد الولايات المتحدة الاميركية ولا مساهمتها في مختلف نشاطاتها ، فقد كان باستطاعة دوائرها الصحية العامة ان تعتمد على معاونة عدد من الاخصائيين الاميركيين في حقل الصحة . كذلك وبالرغم من محدودية نشاط العصبة في العمل الصحي فقد استطاعت دوائرها المعنية ، مع ذلك ان تقوم بعمل مجيد وتحقق مآتي وصنائع باهرة . ولما قضي عليها في مطلع الحرب العالمية الثانية ، انتقلت برامجها كما انتقل الموظفون العاملون في المكتب الدولي للصحة العامة ، الى منظمة الصحة العالمية . ومع ان موازنة هذه المصلحة كانت متواضعة للغاية ، فالانجازات التي حققتها لا يزال العمل بها جاريا الى اليوم وسيبقى العمل بها لخير الملايين من البشر .

فقد قام المكتب الدولي للصحة العامة باعمال باهرة في كل ما يتصل بمكافحة الحمى البرداء ( الملاريا ) وتعميم الوسائل البيولوجية الصحية ، وتفهم طبيعة الامراض الوافدة ، ووضع الاحصائيات البيولوجية من مواليد ووفيات والعناية بامور التغذية وغير ذلك من التدابير الاصيلة والاجراءات الحكيمة التي تتعلق بالصحة العامة في العالم كله والتسييج حولها . كل هذا ، والمجهودات التي بذلها المكتب المنوه اليه ، كلفت اقل مما تكلفه معركة حربية واحدة في العصر الحديث . ان استمرار المكتب الدولي للصحة العامة على نشاطه العارم ، طيلة هذه المدة ، بالرغم من المنازعات والمشاكسات التي كان يتئمها توزع الاعمال وتعارض الصلاحيات مع المكتب الصحي الاميركي لامر يدعو الى الاعجاب ويثير التقدير العالي . وقد حاولت هاتان المنظمتان التنسيق بين نشاطهما على اساس من التعاون النزيه . ومع انهما توصلا مرارا الى تحقيق مثل هذا الامر ، فقد نجم من جراء ذلك مصاعب عديدة واضاعة الكثير من الجهد والمال والوقت ، كما عاد عليهما معا بالفشل التام في بعض الاحيان .

ومن الخطى الحاسمة في تنظيم الترفيه الدولي للصحة العالمية انشاء وكالة الامم المتحدة للغوث وتشغيل اللاجئين ( الاونرا ) . وتعود المحاولات الاولى لانشاء الوكالة المذكورة الى غرة عام ١٩٤١ ، وذلك تجنبا للمصاعب ذاتها التي نزلت بالعالم عقب الحرب العالمية الاولى ، وتفاديا للمتاعب نفسها التي لحقت به . وفي عام ١٩٤٣ ، وقعت ٤٣ دولة من الدول الحليفة اتفاقا مشتركا نص على انشاء الوكالة المذكورة كما نص عن انشاء هيأة دولية جديدة ، على اسس جديدة وبلغت النفقات الخاصة بامور الصحة وحدها في سنة ١٩٤٦ ما يربي على ٨٢ مليون دولار .

ودائرة الامور الصحية في الوكالة المذكورة لم تكن سوى جانب ضئيل بالنسبة لمجموع النشاط الذي كانت الهيأة المذكورة تقوم به ، فيتناول الوقاية من الامراض الوافدة ، والمساعدة الفنية الصادقة لاعادة دوائر الصحة الى سابق عهدها ، ومراكز الصحة الاهلية ، وتقديم الخبراء والمشاورين الفنيين ، وتعديل نصوص الاتفاقات الدولية المتعلقة بالصحة العالمية ، وتأمين الخدمات الطبية والصحية للاجئين ، وتأمين التدريب الفني والتكني اللازمين ، عن سبيل المنح التعليمية والرحلات العلمية ، وتقديم ما يلزم من المعلمين والمربين عن طريق التبادل المشترك . فقد قامت الوكالة بعمل عظيم يدعو للفخر والمباهاة .

وعندما جرى تصفية الوكالة بصورة نهائية ، تم تحويل مبالغ هامة كانت تحت تصرفها ، فراحت تغذي صندوق منظمة الصحة العالمية وصندوق وكالة التغذية والزراعة التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، وصندوق الطوارىء الدولي لاغاثة الاطفال وقد نهضت وكالة الغوث الدولية على امثل وجه بالقسم الاكبر من العمل الدولي في حقل الصحة العالمية ، وامنت استمراره على احسن وجه .

وهنالك ايضا بازاء هذه المؤسسات والهيئات الدولية هيآت دولية تنشط هي الاخرى العمل المجدي في حقل الترفيه الصحي على مستوى عالمي ، بينها مثلا مكتب العمل الدولي الذي نشأ عام ١٩١٩ وهو اليوم من هذه المؤسسات ذات الاختصاص التابعة للامم المتحدة وهو يعنى على الاخص

بامور الصحة في المصانع والمعامل ودور الصناعة على اختلافها والوقاية من الحوادث المؤسفة العارضة في تلك المصانع . ومنظمة الامم المتحدة نفسها تعنى ، الى حد بعيد ، بالتطوير الاقتصادي وادخال ما امكن من التحسينات كما تعني ايضا بتأهيل المعاقين بدنيا وبغير ذلك من الحقول الاجتماعية . ووكالة التغذية والزراعة هي الاخرى من هذه الوكالات الدولية ، ذات الاختصاص التابعة بدورها للامم المتحدة ، ومن موضوع عنايتها الخاصة مرافق الزراعة على انواعها والتموين ، وامور التغذية . فهي تمد من يرغب من حكومات العالم بمن ترى نفسها بحاجة الى خدماته واختصاصه من الخبراء الثقاة بهذا الموضوع .

انشيء صندوق الطوارىء الدولي لاغاثة الاطفال عام ١٩٤٦ بقرار اتخذته الجمعية العمومية للامم المتحدة . فبذلت الوكالة المذكورة من ذلك الحين نشاطا ملموسا في عدد كبير من البلدان لتأمين اقصى ما يمكن تامينه لها من اسباب تحسين مرافق الصحة العامة بين الاطفال . فقد رات النور اساسا بمثابة وكالة تموين وعملت على نطاق واسع من التعاون الصادق مع وكالة التغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية التابعتين ، هما ايضا للامم المتحدة.

ولما نشطت في اعقاب سنة ١٩٣٠ حركة السياحة والنقل الجوية وضعت ، عام ١٩٣٣ ، الاتفاقية الدوليةالاولى للصحة العالمية في الملاحة الدولية بلغ عدد الدول التي وقعتها ، عندما دخلت في طور التنفيذ عشر دول . وقد ترعرع تحت جناح الامم المتحدة وكالة دولية اخرى هي الوكالة الدولية للطيران المدني احدى الهيآت الدولية ذات الاختصاص ، التي تعنى بتأمين اسباب الراحة الصحية في الاسفار والرحلات والتنقلات الجوية ، واتخاذ ما يجب اتخاذه من تدابير الوقاية ضد الامراض والاوبئة الوافدة التي تعرقل المواصلات الجوية .

وهي تتعاون تعاونا وثيقا مع منظمة الصحة العالمية في كل ما يتصل باجراءات ومعاملات الحجر الصحي .

ومن الوكالات الدولية التي انشأتها الامم المتحدة ،عام ١٩٤٨ ، الوكالة الدولية للاجئين التي إلغيت فيما بعد، وهي وكالة كان الفرض منها الترفيه ما امكن عن اللاجئين والذين يرغمون على الجلاء عن اوطانهم ، وتامين اسباب العناية الطبية والمستشفيات اللازمة ، ووسائل التغذية ، والملابس والسكن والملاجيء وغير ذلك من الوان المساعدة التي ترفه عن اللاجئين . وقد تحولت اعمال هذه الوكالة ونشاطها عام ١٩٥١ ، الى المفوض السامي لامور اللاجئين التابع للامم المتحدة .

كذلك ساهمت وكالات دولية اخرى ، غير حكومية ، باعمال الصحة العالمية على اساس وطيد من التعاون الدولي، منها مثلا الصليب الاحمر والهلال الاحمر ومؤسسة روكفلر وغير ذلك من الهيآتالتي تعمل في الحقلالانساني كالبعثات الدينية التبشيرية التي تعنى بهذه النواحي الانسانية على اساس دولي .

وفي عام ١٩٤٦ ، انشئت الوكالة الدولية للصحة العالمية وعملت مدة سنتين كلجنة مؤقتة ثم عملت سنتين تاليتين كاحدى الوكالات ذات الاختصاص . وما لبثت الوكالة المذكورة ان حلت في نشاطها محل المكتب الدولي للصحة العامة الذي كان مركزه باريس والذي كان يقوم ضمن عصبة الامم بمثابة الوكالة الصحية وبعمل الوكالة الدولية للغوث اليوم . ولاول مرة في تاريخ العالم تطلع علينا وكالة دولية للصحة العامة معتمدة لدى معظم دول الارض تقريبا ، تمتعت بمسؤوليات كبيرة وصلاحيات بعيدة مع الاعتراف لها بحق توجيه العمل الصحي الدولي في العالم وتنسيقه ، بقطع النظر عن شخصية المضطلع بهذا العمل . ولا اود هنا ان ابين الخدمات الجلى التي وفرتها هذه الوكالة للصحة العالمية . فالناس في جميع اطراف العالم ينعمون اليوم بوجه من الوجوه ، بالفوائد والخدمات السابقة التي تؤمنها الوسائل والاجراءات التي تعتمدها او اعتمدتها في الماضي الوكالة المذكورة للترفيه عن صحة البلاد والعباد .

وفي السنوات الثلاث الاخيرة طلع علينا برنامج جديد للمساعدة الفنية وعلى الاخص في المجال الصحي على اساس دولي ، هو برنامج النقطة الرابعة الذي اخذت به الولايات المتحدة الاميركية ، على مبدا اتفاق ثنائي تعقده بينها وبين الدولة المعنية في الخارج ، وبرنامج مشروع كولمبو التابع للكمنولث البريطاني وغير ذلك من البرامج الشبيهة التي وضعت في كل من فرنسا والدول السكندينافية .

أوضحنا في ما قدمنا اهم وجوه الجهود التي بذلت على نطاق دولي لتحسين مرافق الصحة العالمية ، وتأمين أقصى ما يمكن تأمينه من اسباب الترفيه الصحي في المجالات الدولية والحكومية . ومن هذا العرض السريع يتضح ان ليس من دولة واحدة من دول العالم تستطيع ان تؤمن لوحدها جميعالذرائع والوسائل التي تجنبها مساوىء الاوبئة الوافدة فتبقى بمعزل تام منها الا على اساس من العمل الدولي المنسق والتعاون الصادق الى أبعد حدود التعاون المتبادل . ومثل هذه الحقيقة لا تجهلها بعد اليوم، دولة من دول الارض الاخذة باسباب التطور . ومع ذلك يتلكأ بعضها في دفع ما يترتب عليه دفعه من اقساط مساهمته المالية لصندوق الوكالة .

وقبل ادخال اي تطوير ذي شأن على وسائل الترفيه الصحية ، على نطاق دولي عينت الدول الخاصة باتخاذ ما يلزم من التدابير والاجراءات الادارية ، للتسييج حول صحة المواطنين فيها . وهذا الاهتمام بقضايا الصحةالوطنية تقاسمته على اقدار متفاوتة الدوائر المسؤولة فيها ، محلية كانت ام اقليمية او حكومية . وقد كان من المتعذر جدا ، ان لم نقل من المستحيل تقريبا ، على هذه الحكومة ،المضي في مراقبتها المدنية للحالة الصحية في البلاد الخاضعة لها لو لم تتخذ لهذه الغاية الترتيبات الاولية ، التي تفرضها العناية بالصحة العامة . والذرائع التي تتسلح بها الحكومات الاهلية وما اليها من سلطات محلية او اقليمية في الدول المتطورة لتأمين أقصى ما يمكن تأمينه من اسباب الرفاه الصحي للاهلين فيها ، هي في مجموعها ذرائع واجراءات وتدابير غاية في التعقيد والمراكبة والتعاظل تربك وتحير لما فيها من تشابك .

ولو اردنا ان نحصي هنا المصالح ونحدد النشاطات التي تعتبر ضرورية لتأمين سير الصحة العامة لتعذر علينا الامر ولاقتضانا التعداد وقتا طويلا ، وهي اعمال ومصالح

يستكمل بعضها الاخر وياخذ بعضها برقاب البعض . ومثل هذه المسؤوليات التي تقع على الحكومة المركزية او على الادارة الاقليمية او المحلية ، قد يشترك بتحملها جميع الجهات المشار اليها كل في ما يعنيه منها ، مع ان بعض الدول تعهد بها الى مصلحة مركزية تضطلع القيام بالامر كله . فالدول الحديثة تعني اكثر فاكثر ، بالتشريعات الصحية والاحصاءات العلمية الدقيقة مما يمت بصلة للصحة العامة في البلاد ، وهي احصاءات يعول عليها الى حد بعيد .

والتدابير التي تقتضيها امور الحجر الصحي تدابير واسعة متشعبة ، ولا سيما في تلك البلدان التي تكثر فيها الثغور المفتوحة ومرافىء الدخول والخروج والاستيراد والتوريد فتزداد بالتالي المسؤوليات المترتبة على مأموري الصحة العامة او القائمين بامر الحجر الصحي . كذلك تشتد مراقبة المواد الغذائية والطبية في تنقلها بين الولايات والاقضية الداخلية ، او لدى اجتيازها الحدود بين بلد واخر ، مع ما تستلزم اعمال المراقبة الشديدة من عدة ومقاييس لاجراء التجارب المخبرية اللازمة . وهو نشاط ضخم يقتضي جهدا كبيرا .

من ذلك ايضا مراقبة المخدرات ، واعمال التسجيل في مخافر الحدود ، واجراءات الامن العام والملاحقات القانونية التي تستلزمها المخالفات المسجلة . والامور الصحية نفسها التي تستدعيها حركة الهجرة في بعض البلدان ، تستدعي هي الاخرى عددا وافرا من الموظفين للتدقيق بشؤون المهاجرين وحالاتهم الصحية والمالية في تنقلهم من بلد الى اخر . كذلك مصالح الجيش التي تعنى بدورها بصحة المحاربين القدماء والترفيه عنهم وتأمين وسائل الترفيه الصحي عن اسرهم وذويهم ، كما تعنى بما يشيع الثقافة الصحية والطبية ، وغير ذلك مما يتعلق بعلم الامراض والاوبئة الوافدة ، والهندسة الصحية والتمريض وغير ذلك من النشاطات المهنية التي تقع عادة على كاهل الحكومات .

اما المسؤوليات والواجبات التي تقع على عاتق السلطات المحلية فتتناول بدورها وجوها عديدة من وجوه النشاطات الصحية التي لا مجال لتعدادها في هذه العجالة ، نذكر منها ، على سبيل المثال : الاعمال الضرورية التي تتعلق بفحص المواد الغذائية ومراقبتها ، كالحليب ومشتقاته واللحوم ومياه الشفة او الشرب وما يترتب على جمع هذه المياه ، وجمعها وخزنها ، وجرها وتنقيتها ، وتطهيرها وكلورتها من اعمال فنية مما هو ضروري، لا ندحة عنه، لصيانة الصحة العامة ، وتأمين شبكة المجاري الصحية، واطراح النفايات ومراقبة حركة السير والسهر على حوادث المصانع والوقاية من الامراض عن طريق التلقيح والتطعيم، ومراقبة حوادث التسمم والسهر على صحة البيئة ، وسن ما يلزم من القوانين واتخاذ التدابير والاجراءات الادارية التي تصون الصحة العامة في المنطقة .

وانشاء المدارس والكليات الطبية الخاصة بالصحة العامة او بطب الاسنان ، والطب البيطري ، ووجبات الاكل في المدارس ، واعداد العقاقير ، ومراقبة المخدرات والمواد السامة والمستشفيات والعيادات ، والاخطار التي تنجم عن حالات الطوارىء ، وخدمات التوليد والتمريض ، وتسجيل حوادث الولادة والوفيات وعقود الزواج والطلاق ، والاحصاءات التي تدل على سير الحياة في البلاد ، ومراقبة الامراض السارية والتبليغ عنها ، والتامين الصحي للافراد والجماعات . كل هذا غيض من فيض او برض من عد مما يترتب على السلطات العامة : محلية كانت او اقليمية ، محافظة منها على الصحة العامة .

كل هذه التدابير والاجراءات التي تتخذها السلطات المعنية في البلدان المتطورة والدول الراقية ، يكاد لا يوجد منها شيء يذكر في كثير من البلدان التي لا تزال متخلفة عن ركب الحضارة ، حيث نرى مئات الملايين من الناس يرسفون تحت وطأة الامراض والاسقام والاوبئة الوخيمة ، ويتمنون لو اسعفوا بما يخفف عنهم شيئا مما يعانون من اوصاب واسقام تذيقهم الامرين .

علينا ان نواجه حل مشكلات مستعصية ، بينها ما يلبس صفة الاستعجال . وعلينا ان نولي في الحال ، اهتماما خاصا ظاهرة نمو السكان في العالم ، هذا النمو المخيف . هنالك اليوم ، ملايين من الناس ، لم يعودوا ليرضوا صاغرين ، قريرين ، مواجهة الموت الزؤام يفتك بهم فيذهبون ضحية المجاعة لافتقارهم الى المواد الغذائية، مع العلم ان سكان العالم يزداد عددهم اليوم بنسبة يتراوح معدلها بين ٦٠ الف و٨٠ الف في اليوم الواحد ، هذا مع العلم ان لا المواد الغذائية ولا الفراغ اللازم لاسكان وايواء هذا العدد الضخم يتوفران لهم بالسرعة ذاتها والنسبة نفسها ثم ان كمية المياه اللازمة للشرب تتناقص وتخف مقاديرها تباعا في بلدان عديدة من بلدان العالم .

كل هذا يحدو بنا ويفرض علينا ، استنباط ما لا بد من استنباطه من الذرائع والوسائل الفنية التي تساعدنا على صيانة المياه الصالحة للشرب والابقاء عليها ، واستعمال ما يفيض منها على حاجة السكان للسقاية والري ، كما يتحتم علينا تطهير او تعقيم ما يلزم للشرب من مياه الانهار والبحار . ولعل من اعقد هذه المشكلات طرا ومن اشدها صعوبة على الاطلاق ، الوصول الى وسائل تمكن من استخدام موارد الرزق من خبايا الارض التي امسكت للان وبخلت عن الجود بها ،وايصال ما يفيض عن حاجة المستهلكين في الاقطار المعطاءة ، الى المعوزين منهم في البلدان المساكة والدخل الفردي في بعض هذه الاقطار هو من الضعف والتدني ، والمظنون انه سيبقى على مثل هذا ، سنين عديدة، بحيث لا امل يرتجى للفرد في مثل هذه الاقطار بالوصول قريبا ، او في المستقبل الطالع ، للحصول على كفافه من المواد الغذائية .

فعلى الدول الغنية او تلك التي تنعم بالازدهار الاقتصادي او الزراعي ان تستنبط ، باسرع ما يمكن ، وسيلة تمد باسرع ما يمكن ، وبصورة فعلية يدا رفيقة لهذه البلدان الرازحة تحت وطأة الاوبئة والمجاعة ، بحيث تؤمن لها القسط اللازم من الرفاه .

هذه هي حقيقة القضية الكبرى التي تواجه الجيل الطالع التي على حلها او عدمه ، يتوقف الى حد بعيد ، مسير العالم ومصيره المقدور .

**يوسف اسعد داغر**

# يقظة الغول

لاحمد رجائي المحامي

حلب

أأنا الذي تهوين ؟ ! .. واعجبي .. ألم تجدي سوايا ؟ !..
يا زهرة .. جاد الربيع بها .. فكانت منه آيا ..
يا فتنة .. ترنو الى الاوحال .. تحسبها .. مرايا
لا لا .. أظنك تسخرين .. وتعلمين بمستوايا ..
أنا تاعسٌ قذف الزمان به .. بأحضان الخطايا
فنسيتُ ما معنى الهوى العذريّ في قلب الصبايا
أنا يافعٌ .. كهلُ الشعور .. أدق ابواب المنايا
لم تبقِ من كبدي سمومُ الخمر .. ومضا من ضيايا
وتفحمت رئتاي تدخيناً .. وفُخِّرت الحنايا
لم يبقَ مني .. غير ما يكفي .. لارقُب منتهايا

* * *

أنا .. من زبانية .. ترود الحان في عتم العشايا
أحيا .. بها تيك الجحيم .. مبعثرا فيها صبايا
حيث الخمور .. تدار .. للسكرى .. وانصاف العرايا
حيث الدخان يعجُّ .. يستر ما يُمثّل في الزوايا
وترنُّ ضحكاتُ الخلاعة والفجور .. من البغايا
هنَّ الضحايا في الحياة .. وكم لهنَّ من الضحايا ...

* * *

هذي حياتي .. أين منها أنت .. يا ذكرى رؤايا
قلبي الممزق لم يعد يهفو .. وجفت مقلتايا
حبي .. كحلك كان .. وضاحاً .. فأعتم في دجايا
قلبي .. كقلبك كان .. ثم مضت تحطمه يدايا
ودفنتُ عمري .. في حياة الليل كي أنسى أسايا ..
.. ونسيته .. ولربما تمحى الرزايا .. بالرزايا

* * *

سيري بدربك .. ليس بي ما تحسبين .. من .. المزايا
ولربما رجسي يُزيِّنُ لي .. فأنشد مبتغايا
ويكون لي اهدار عفتك .. انتقاماً من شقايا
لكنْ ... تبقّت فيَّ .. من طهري .. ثمالاتٌ خفايا
بقيت بقايا نخوةٍ .. وتكاد لا تدعى بقايا
لكنها .. تكفي لصدك عن سعاري واشتهايا

* * *

أو لمْ تزالي هاهنا ؟ ! تتوسلين الى هوايا ؟ ! ..
أخشى مقاومتي تني وتسوء في قلبي النوايا
امضي .. وحثي في الطريق خطاك .. واستبقي خطايا
.. قد كاد أن يستيقظ الغول المخدر .. في دمايا

قصـة اردنيـة

# الحب الاول

بقلم احمد عبدالله عبد العزيز

ولدي فؤاد :

تكتب الي يا بني عن عزمك على الانتحار والتخلص من الحياة لان تلك التي طالما منيت نفسك بالزواج منها وشغفت بها حبا قد هجرتك الى غيرك ، وتقول ايضا في رسالتك ان الحياة اتفه من ان نحياها ولكن لم كل هذا التشاؤم ؟ اكان هجران فتاة لك له كل هذا الاثر في نفسك حتى تفكر في وضع حد لحياتك وانت لا زلت في عمر الزهور ؟؟ ان الحياة ليست تافهة كما تتصور ولكنها أثمن من ان تضحي بها رخيصة في سبيل حب ضائع او هوى زائل . ولكن .. ما بالي اقسو عليك بهذا الشكل والبس لك مسوح الواعظين الناصحين وانا نفسي قد فكرت مثل تفكيرك في الانتحار حين فشلت في حب ! ! لقد كدت انسى تلك القصة تماما ولم يحركها من مكانها في اللاشعور الا رسالتك الاخيرة واني لسارد عليك قصة ذلك الحب الاول عسى ان يكون لك فيها عبرة .

لقد احببت حين كنت شابا في مثل عمرك ، وكان هوى جارفا عنيفا لم تكن تزيده الايام الا اشتعالا ولكن جذوته خبت في النهاية واصبح نسيا منسيا . كانت تلك التي احببتها فتاة مثل عمري – آنذاك – تقطن الى جوارنا اذ لم يكن يفصل بيتها عن بيتنا الا شارع ضيق ، وكنت اقضي نهاري كله او معظمه واقفا في شرفة بيتي أرقب طلعتها لعلي اظفر منها بنظرة فاكون اسعد الناس . ولم تكن تمر بي لحظة من لحظات يومي او ليلي الا وهي تحتل كل تفكيري وتملك علي كل حواسي . وكم من ليلة قضيتها مسهدا ارقا تنتابني الوساوس ان مر بي يوم لم ارها فيه او ان مرت بي ولم تلق الي نظرة تنم عن حب .

ولعلي نسيت ان اخبرك ان ظرفينا كانا متشابهين الى ابعد من ذلك فلقد كانت تلك معلمة في احدى القرى القريبة من بلدنا كما ان فتاتك معلمة ولذا فقد كانت اشق ساعات النهار على نفسي تلك التي كانت تفرقنا : هي الى مدرستها وانا الى عملي .

ومرت الايام – يا بني – وكل يوم يمر كان يحمل لي المزيد من الشوق والحب الذي كنت اعتقد انها تبادلني اياه ولا اجسر على مفاتحتها به ، وقضيت اشهرا كنت استعذب فيها ما القاه من عذاب وما من عذاب يهون الا عذاب الحب اذ ليس احب الى نفس المرء منه .

ولكن الرياح تجري بغير ما يشتهي الربان ، ففي ذات يوم وبعد اعوام ثلاثة جمعت فيها قدرا كافيا من المال ليكون مهرا لها ولاسعد واياها في عش الزوجية الهادىء السعيد .

سارعت اليها أزف اليها نبأ عقدي العزم على خطبتها لتتم لنا السعادة المرجوة . وما ان فاتحتها بما انتويه حتى اجابتني :

– انني لن اتزوجك

– وهل لديك ما يحول دون ذلك؟

– اجل .. انني لست احبك

وكانت صدمة عنيفة ولم اصدق انها هي التي تتكلم ، ولم اجد بدا من الانسحاب فتركتها وانا احس جراح قلبي تنزف ؛ لم يكن هناك انسان اكثر مني شقاء وبؤسا . وخلوت الى نفسي افكر في ذلك الذي حدث وفي صرح سعادتي الذي اضحى حطاما . وضاقت بي الارض بما رحبت وتملكني اليأس . ماذا افعل وقد سمعت منها ما سمعت ؟؟ وما قيمة حياتي ان خلت منها ؟ لقد كانت هي التي تزين لي الحياة وتجعلها حبيبة الى نفسي وطالما ان قلبها ملك لانسان غيري فلم أعيش ؟؟ وصممت – يا بني آنذاك – كما انت مصمم الان – على ان انتحر واضع حدا لتلك الحياة التافهة . واست ادري كيف ابعدت عن نفسي فكرة الانتحار ولكن الذي ادريه هو انني اخذت اشعر بآلام متزايدة ولم تعد بي شهوة الى الطعام او الشراب واعتزلت دنيا الناس حتى سقمت واصابني الضعف والهزال . ومما كان يزيد في المي انها وقعت في غرام جديد وكان ذلك الذي احبته معلما في قريتها كان رفيقا لها في اسفارها في الصباح والمساء ؛ وعلى الرغم من انه كان متزوجا وابا لطفلين الا انها كانت تبادله هوى بهوى وغراما بغرام بل اكثر من ذلك فانها رضيت بأن تكون زوجة ثانية له .

وفي اليوم المحدد لزواجهما كان اليأس قد استبد بي وجاوز مداه ولم اعد استطيع البقاء لحظة واحدة في بلدة تجمعني واياها وكيف احتمل ان اراها تروح وتجيء وبصحبتها رجل كنت اظنه اخر من تفكر فيه زوجا ان فكرت في الزواج من غيري ! !

في ذلك اليوم ودعت والدتي التي بكتني بدموع غزيرة والقيت عصا التسيار في لبنان . ولم يكن في نيتي ان اذهب الى لبنان بالذات بل الى اي بلد بعيدا عن بلدي لعلي انسى ذلك الحب ولعلي ادفن تلك الالام ، ولكن المقادير كانت رحيمة بي اذ قادتني الى لبنان البلد الذي له اكبر مكانة في نفسي الان .

وهناك اشتغلت معلما في احدى المدارس الابتدائية براتب غير مغر لم اكن اوفر منه الا ما ارسله الى والدتي العجوز الوحيدة التي كانت تبكيني في وحدتها وتتمنى لو اعود اليها ، وكانت حياتي تسير على وتيرة واحدة : فمن البيت الى المدرسة في الصباح ومن المدرسة الى البيت في المساء لا اغادره الا الى احدى دور السينما مرة كل اسبوعين او كل

شهر وبدون صحبة احد . وعبثا كان يحاول زملائي الاساتذةان يغروني بان اخرج من قوقعة وحدتي الى دنيا الناس ولكن محاولاتهم لم تكن تزيدني الا انطواء على نفسي وابتعادا عن المجتمع .

ولطفت بي المقادير ثانية في لبنان ، يا بني ، اذ انها قيضت لي السعادة من حيث لا اشعر فلقد استاجرت منزلا كانت تقطنه ام عجوز وابنتها كثيرا ما كانتا تجيئان الى غرفتي لخدمتي وقضاء حوائجي . وفي اثناء ذلك كانت تسالانني عن امي الوحيدة وعن سبب هجراني لها ولبلدي فلا املك ان اختلق شتى المعاذير والمبررات لذلك ، تلك المعاذير التي لم تكونا لتقنعا بها خاصة وان الحزن كان قد خلف آثارا في صفحة وجهي ولم اجد بدا ذات يوم — وحين الحتا علي في السؤال — من ان ابوح لهما بكل شيء وكنت وانا احدث كمن يلقي عن عاتقه عبئا ثقيلا طالما اثقل كاهلي ، وليس احب الى نفس المرء من ان يبوح باسراره لصديق يثق به .

ووجدت من الام وابنتها الرثاء لحالتي والعطف علي . وبمرور الايام اخذت اشعر ان هناك حبا قد اخذ ينمو بيني وبين تلك الفتاة اللبنانية التي كانت بلسما لآلامي والتي انستني فتاتي الاولى . وحين فاتحتها يوما بحبي لها وجدت عندها مثل الذي عندي وحددنا موعدا للزواج . ولم تبد والدتها اية معارضة في زواجي منها بل انها باركت ذلك الحب الشريف الطاهر الذي ربط بين قلبينا . وتم زواجنا في حفل سعيد لم يحضره الا والدتها ووالدتي — جدتاك — والمأذون

وقضينا اياما كلها سعادة لم يعكر صفونا فيها شيء الا وفاة جدتك بعد شهرين من ولادتك ، وذرفنا عليها دموعا سخية وبعد ان واريناها في ثرى لبنان لم اجد بدا من العودة الى بلدنا الاصلية . وعدت بتلك العائلة الصغيرة الى بلدتنا حيث لا نزال نعيش اسعد ما نكون بالحياة التي حسبتها يوما تافهة والتي زين لي الشيطان يوما ان اضع حدا لها .

والآن يا بني ، وعلى الرغم من انني ارى صباح مساء تلك التي كانت منتهى املي في يوم من الايام ، حين اراها تقف وحيدة في شرفة منزلها تنظر الى الافق البعيد تستطلع في صفحته ما يخبئه لها القدر بعد ان طلقها زوجها الاول ، الآن لم تعد تلك تثير في تلك العاطفة المشبوبة التي يسمونها الحب ولكنها تثير في عاطفة اخرى هي عاطفة الرثاء لما آلت عليه والاشفاق عليها ، وابحث في فؤادي عن ذرة من ذلك الهوى القديم فلا اجد !!

وكلما فكرت في تلك الايام التي كنت اقضي فيها الساعات الطوال اقف في شرفتي انظر الى نافذتها لاحظى بنظرة فيها سعادتي وكلما فكرت في انني صممت يوما على الانتحار من اجلها وفي سبيلها اسخر من نفسي واعجب لنزق الشباب ذاك الذي دفعني لذلك التفكير .

تلك هي قصة حبي الاول — يا بني — وقصة زواجي من امك التي اعيش واياها الآن ترفرف فوق رؤوسنا السعادة . وما كنت لاحدثك بقصة ذلك الحب المر الحلو لا لشيء الا لانني نسيت تلك القصة ولم تعد ذات بال بالنسبة الي ولولا رسالتك ما كنت تذكرتها .

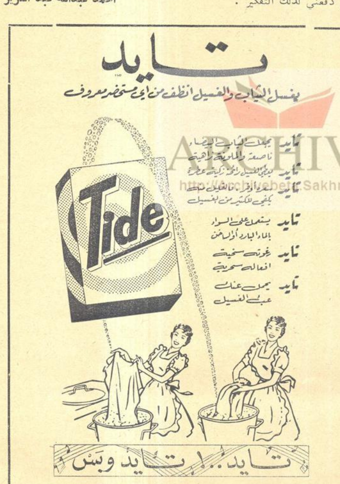
ومن يدري ماذا كان يمكن ان تكون حياتنا لو تزوجت من تلك الفتاة ! ! وانت يا بني من يدري ما يخفي لك القدر ! ! لعلها السعادة والهناء في فشلك في هذا الحب !!

وفي الختام لك تحياتي وقبلاتي ،

المخلص : والدك

الاردن — جنين

**احمد عبدالله عبد العزيز**



# الشاعر العراقي السيد حيدر الحلي

بقلم علي الحسيني

ο
ο ο

في القرن التاسع عشر الميلادي أثمرت نهضة أدبية واسعة النطاق في الفرات الاوسط من العراق ، وكانت هذه النهضة دينية ادبية . وكان من نتائج هذه النهضة ظهور عدد كبير من الشعراء والادباء وعلماء الدين . ويتناول حديثنا هذا شاعرا من اعظم شعراء تلك الفترة الواقعة في الفترة المظلمة من التقسيم الكلاسيكي للادب العربي ، وهذا الشاعر هو المرحوم السيد حيدر الحسيني الحلي الذي عرف في عصره وبعده بـ « أمير المراثي » .

ومن المؤسف جدا عدم ظهور اية دراسة او ترجمة جديرة بالذكر لهذا الشاعر الخالد ، الذي تجد اسمه حتى الان ، على كل شفة ولسان في الفرات الاوسط ، وفي اوساط الادب العراقي . وكل ما قدم من وفاء لذكره واخلاص لتاريخ الادب العربي هو طبع الجزء الاول من ديوانه ، طبعة اقل ما يقال فيها انها ليست كاملة . وبالرغم من ان هذا الموضوع يصلح موضوعا للدراسة الادبية اكثر مما يصلح له اي موضوع اخر ، فاننا لم نسمع الى الان ان اديبا او شاعرا قرر او فكر بالقيام بهذا البحث .

ونحن هنا اذ نقدم هذه الدراسة المختصرة ، انما نريد ان نفي بحق الشاعر وبحق الادب العربي ، ولو بصورة جزئية .

## حياته

ولد السيد حيدر في منتصف شعبان من عام ١٢٤٦ هج — ١٨٤٧ م — في قرية بيرمانة من لواء الحلة . وقد مات والده السيد سليمان الصغير — وهو شاعر معروف — وهو لا يزال يحبو في طفولته ، فاعتنى بتربيته عمه السيد داود — وهو شاعر معروف ايضا وصاحب مدرسة ادبية في تلك الفترة .

وقد تلقن في ايام شبابه الاولى عن السيد مهدي وبعض الادباء الاخرين ، علوم اللغة العربية ، كما انه درس العلوم الدينية والفقهية والمنطقية . وقد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ ان كان شابا يافعا ، قوي البنية ، رزينا ، محترما بين اصدقائه واقربائه وبين اصدقاء عمه السيد مهدي

وفي هذه المدة بدأ بنظم الشعر ، وكان أكثره في رثاء ومدح آل البيت ، وقليله في الغزل والاخوانيات والاغراض التقليدية الاخرى .

وكان لبيئة الشاعر الادبية التي نشأ فيها وترعرع ، اثر كبير في تكوين شاعريته ، وتطورها فيما بعد . فبينما نجد ان والده السيد سليمان وعمه السيد مهدي شاعران معروفان ، نجد ايضا ان جده الاكبر « السيد سليمان الكبير » ، وابنه « الحسين » وابن عمه « عبد المطلب الحلي » هم شعراء ايضا . أضف الى هذا بوادر النهضة الادبية الدينية التي نشأت في الفرات الاوسط ، والتي كانت قائمة على قدم وساق ، والمجتمع الحلي الذي كان يذخر بالشعراء والادباء ، وعلى حد قول احد الادباء : » أنى تلفت ، سمعت صادحا ، وراقصا ونائحا ، ومعاتبا ، ومادحا » .

وكان السيد مهدي على علاقة وثيقة بآل كبة ، فاتصل السيد حيدر بواسطة عمه بهذه الاسرة التي كانت تخصص الاموال الكثيرة للادب والادباء ، وتشجعهم على القيام بالاعمال الادبية ، ومقابل هذا اغرق الشعراء رجال هذه الاسرة واعلامها بالمدح والتهاني والرثاء . وكان السيد حيدر من اكثر الشعراء مراسلة وصداقة لآل كبة . ولهذا نرى في ديوانه الكثير من المدائح والمراثي والتهاني لاعلام هذه الاسرة وكان شاعرنا ايضا على صلة باسرة آل القزويني التي سكنت الحلة — ولا زالت فيها — منذ امد بعيد . وينطبق الكلام الذي قلناه عن آل كبة ، على آل القزويني ، مع شيء قليل من الاختلاف .

وقد توفي السيد حيدر في ١٩ ربيع الثاني من سنة ١٣٠٤ هج — ١٩٠٥ م — فكانت لوفاته رنة اسف بعيدة المدى . ومما يذكر عنه انه كان عالي الهمة ، ابي النفس ، لم ينظم مدحا او تهنئة او رثاء من اجل المال ، ولذا جاءت رثائياته — وخاصة في آل البيت — من ابدع المراثي في الشعر العربي . وكان ايضا متعبدا ، كريم النفس والاخلاق، قليل المال ، متواضعا وحسن الخلق .

## شعره

وشعر السيد حيدر لم يخرج عن كونه شعرا كلاسيكيا في الاغراض الشائعة آنذاك ، وهي المدح والتهنئة والرثاء والغزل والاخوانيات والخ ... ولكن القارىء يشعر باختلاف كبير ، عند مقارنته بشعر غيره من شعراء عصره . يشعر بحلاوة الالفاظ ، بتمازجها وتكوينها نغما واحدا ، بتماسك القصيدة ، على عكس ما نراه في الشعر التقليدي من اعتماد على وحدة البيت فقط . ويشعر بعد ذلك بمتانة المعاني ، ورقتها ، وملائمتها للموضوع المطروق .

وهناك ملاحظة اخرى هي افتتان الشاعر بالبديع الى درجة كبيرة . ومعلوم ان جميل البديع يأتي عفو الخاطر ، دون ان يتعمده الشاعر ، وهو يكون بقلة . الا اننا نجد ان شاعرنا يكثر من البديع ويتعمده في بعض الاحيان . وبالرغم من ان البديع يقلل الى درجة ما من اهمية الشعر ، اذ يجعل الشاعر لفظيا لا موضوعيا ، فان هذه القاعدة لا تنطبق على شعر السيد حيدر .

فمن قصيدة تهنئة في ذكرى مولد الامام الثاني عشر:

**فهنيئا فتح الخير بمن ختم الرحمن فيه الانبياءا**

ومن قصيدة مدح :

**هو جعفر الفضل الذي اهل النهى يردون منه ويصدرون رواءا**

ومنها ايضا :

**لا راعها بك ما يروع ولا رات بعد الذي بك سرها ، ما ساءا**

ومن قصيدة تقريض لديوان عبد الباقي العمري :

**نشرت طيء الفصاحة ، لكن طويت في انتشاراها الفصحاء**
**الفات مثل الغصون تلتها فلكل من همزة ورقاء**

وقد نوهنا سابقا ان شعره تناول مختلف الاغراض التقليدية ، ومما قراته من روائع مراثية ، هذه الابيات من قصيدة طويلة في رثاء الامام :الحسين :

**يا دار جائلة الوشاح حيتك نافحة الرياح**
**يلقى الكتيبة مفردا فتفر دامية الجراح**
**وبهامها اعتصمت مخافة بائسه بيض الصفاح**
**وتسترت منه حياءا في الحشا سمر الرماح**

وروي ان احد طلاب البعثة العراقية اجتمع بالمرحوم « احمد شوقي » ، وهو في طريقه الى « السوربون » ، فطلب منه شوقي ان يقرأ شعرا فراتيا ، فقرأ له من شعر الشعراء المعاصرين ، فقال له : « لا . . . اقرأ :

**عثر الدهر ويرجو ان يقالا تربت كفك من راج محالا**

واتم القصيدة له . وهذه القصيدة من اروع مراثي السيد حيدر ، ومنها :

**وقفوا والموت في قارعة لو بها ارسي ثهلان لمالا**
**فابوا الا اتصالا بالضبا وعن الضيم من الروح انفصالا**
**ارخصوها للمعالي مهجا قد شراها منهم الله فغالى**

ومن مراثيه هذه القصيدة المبدعة ، ونقتطف منها :

**عجبا للعيون لم تغد بيضا لمصاب تحمر فيه الدموع**
**وأسى شابت الليالي عليه وهو للحشر في القلوب رضيع**
**أين ما طارت النفوس شعاعا فلطير الردى عليه وقوع**
**فأبى ان يعيش الا عزيزا او تجلى الكفاح وهو صريع**
**فتلقى الجموع فردا ، ولكن كل عضو في الروع منه جموع**
**زوج السيف بالنفوس ولكن مهرها الموت والخضاب النجيع**

واحسب ان القارىء يفطن الى ما في البيت الاخير من تشبيه رفيع للموت ، يدخل فيه عنصر الخيال حتى ليحلق بنا الى القمة . ومن شعره الحماسي :

**وراءك اليوم عن لهوي وعن طربي فان قلبي أمسى كعبة النوب**
**لا تطمعي في وصالي ، ان لي كبدا تهوى وصال العلى لا الخرد العرب**
**أبعد حفظي لاسباب العلى زمنا اضيعها لك بين اللهو واللعب**
**ما ضرني بين قوم خفض منزلتي ومنزلي فوق هام السبعة الشهب**
**وحسب نفسي وان اصبحت ذاعدم من ثروة ، انني مثر من الادب**

ويطول الحديثعن شعره ، حتى ليستفرق كتابا كبيرا

## آثاره الادبية ونثره

وقد خلف السيد حيدر بالاضافة الى الثروةالشعرية القيمة ، والتي جمعت بعد ذلك في ديوان واحد طبع في الهند مرتين على الحجر ، ثلاثة كتب ادبية ، هي :

ـ العقد المفصل ، وهو كتاب ادبي ثمين ، يشبه في طريقة تاليفه ومواضيعه ، كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي . ويحتوي الكتاب على مقدمة ، وثمانية وعشرين فصلا . وبدأ كل فصل بقطعة شعرية قصيرة من نظمه . وهذا الكتاب قدمه هدية لآل كبة ، وطبع من قبل بعض الادباء ، في بغداد سنة ١٣٣١ هي ، في جزئين الاول في ٢٨٨ صفحة والثاني في ٢٣٢ صفحة من القطع الكبير .

ـ دمية القصر في شعراء العصر ، قدمه هدية لآل كبة ايضا ، وترجم فيه لعدد كبير من الشعراء والادباء الذين عاصروه . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا .

ـ الاشجان في مراثي خير انسان ، والفه لآل القزويني، وجمع به مراثي المرحوم العلامة الميرزا جعفر القزويني ، وكتب لكل قصيدة مقدمة ، وللكتاب مقدمة بليغة من روائع نثره . ويقع الكتاب في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط .

أما نثر السيد حيدر ، فهو بحق ثروة ادبية ، وان كان قد كتب على الطريقة القديمة ، ومن نثره هذه القطعة من رسالة له الى احد اصدقائه :

« سلام فتقت نور زهره صبا الحب ، واعربت انفاس نشره عن طي سريرة الصب ، ورقت الفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقتها ، ونفحت بريا الاخلاص فقراته حتى استعار العبير المحض طيبه من نفحتها ، وما هي فقرات في الطروس قد وسمت ، بل روح محب أذابها الشوق وفي قالب الالفاظ قد تجسمت ، فلو نشق ارواح عرفها من غشيته سكرات الموت لصحا ، ولو سرح النظر في لؤلؤ الفاظها ذو الطبع السليم لسحرت عقله وماس منها مرحا . »

هذا قليل من كثير مما نود ان نقوله عن السيد حيدر ، امير المراثي ، وكبير شعراء عصره . ونرجو ان نستطيع اصدار كتاب مفصل عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل القريب لنؤدي بعض ما يجب ان نؤديه في خدمة أدبنا العربي

**الحلة ـ العراق** **علي الحسيني**

قصة لارسكين كالدويل

# الغرفة الفارغة

ترجمة انور محمود سامي

**كانت** سنة واحدة قد مضت على زواجهما حين رأيتها لاول مرة. انتهت مراسيم الدفن ، وغادرنا المعزون واصبحنا وحدنا في الدار . لم أكن اعرف ماذا اقول لها ، ولا هي تكلمت منذ الصباح ، لم تقض هي مع « فنلي » سوى سنة وبعض الوقت ، وهي لم تبلغ العشرين من عمرها بعد . كان جسدها يطفح بانوثة الصبا واليفاعة، لكنها ما كانت غير طفلة

كانت جالسة بجانب النافذة ، تحدق في العتمة التي تتجمع مع هبوط المساء ، اقبل الليل . ولم أكن قد أطفأت المصابيح بعد ، ولم تتحرك هي من مقعدها منذ ساعات طويلة . ومن المحل الذي وقفت فيه ، كنت ارى صفحة وجهها الساكن الذي يبدو في المساء الرمادي كصدفة أبنوسية. وعند ذاك عرفت ان الجمال يكمن حتى في الحزن .

كان « فنلي » أخي الوحيد ، وقبل ان يموت كان القريب الوحيد الذي بقي لي في هذا العالم ، وها هي الان قد غدت ارملته .

كان اسمها « توماسين » ، لكنني ما ناديتها باسمها حتى الان . لم اتعود على لفظه بعد ، وهناك شيء ما يحرس الاسم الغير المألوف من تطفل الغريب . وحين آن الاوان لاناديها باسمها احسست كأنني اتكلم بصوت هو صوتها .

كنت غريبا في الدار ، لم نكن قد تكلمنا بعد . كان « فنلي » زوجها ، واخي ايضا ، ولم أكن ادرك الان مبلغ علاقتنا نحن الاثنين . مع ذلك ، كنت ادرك ، اننا لن نستطيع البقاء في البيت لوحدنا دون ان يتضح مركزي ومركزها في علاقتنا .

كان المساء باردا ، والغرفة تبدو كفراغ متسع كبير يتراجع ويتحدد بين الجدران . وصفحة وجهها تبدو ناعمة بينما العتمة الرمادية تتلاشى في الليل الغامض . وبدت الحيطان كأنها قد تقهقرت فاصبحت الغرفة بلا جدران . كانت الغرفة متسعة وجانب وجهها يبدو في العتمة الرمادية وكانه يذوب في الظلام الذي يتراكم في البيت .

وبينما كانت تجلس في الغرفة لم تكن قد ادركت بعد وحدتها تماما ، وكانت انحناءة راسها وتقوس كتفيها يتلاشيان في الظلال المتراكمة ، لكنها لم تكن تفكر حتى في وجودها في الغرفة . فقد مات « فنلي » في مدة قصيرة جدا .

حين نهضت لتمضي . نهضت واقفا ايضا ، وتقدمت اليها حتى اصبحت على بعد مدة ذراع منها ، غير ان البعد بيننا ما كان ليقاس الا بحدود الفضاء اللانهائي للغرفة . تملكتني رغبة في ان الف ذراعي حولها وادعها تستريح بينهما كما يتوجب علي ان افعله مع من احب ، لكنها كانت ارملة « فنلي » ، والغرفة بحيطانها جعلت البعد بيننا لا يقاس . والغرفة التي كنا نقف فيها جوفاء واسعة ، تسبح في ظلامها المتسع ، لحد ان ومضة من حجري صوان كانت تكفي لتصيبنا بالعمى لفرط اشعاعها هنا ، وربما احالتنا شعلة الومضة الى رماد .

قبل قدومي الى الدار لم تكن عندي فكرة واضحة عن فتاة اسمها «توماسين» ولكن ها هي الان ، ارملة اخي .

كانت هناك باقة من الزهور ، وبعض اوراق تيجانها قد سقطت على ارض الغرفة .

فجأة همست ، متجهة وجهها نحوي في الظلام : ــ هل أطعمت ارانب «فناي» هذه الليلة ؟ فقلت لها:

ــ نعم اطعمتها ، قدمت لها كل ما تستطيع اكله ، وكل ما تحتاج اليه هذه الليلة .

كان شعرها ملقى على كتفيها . يتماوج كثيفا حول راسها ، لونه في لون الليمون ، ولكن الغريب ان لونه كان يتوافق وظلام الغرفة وسواد ملابسها . الامر الذي اضفى شيئا من القسوة على حزنها ، كان راسها محنيا في الظلام العميق في الغرفة الهائلة الاتساع .

وحين كنت احدق في الحيطان المظلمة كالحبر الاسود ، كنت ارى بشكل ما تماوج شعرها الليموني المضغوط على صدر اخي وهو يلثم نعومة وجهها ويلاطف اطرافها البضة وبدا الجمال والغنى اللذان امتلأت بهما تلك السنة التي قضياها معا ، كأنهما يستسلمان ويذعنان لهذا الظلام الذي يغلف المكان ، وفي ظلام الغرفة الفارغة كان باستطاعتي ان ادرك حقيقة الموت واشعر بالحزن الذي يفعم قلبها . ان المحبين لا يقدرون ان يدركوا حقيقة كالموت في سنة واحدة، وكانت هي واحدة منهم .

ورغبت في ان اقول لها ما اعرفه عن هذا الامر ، ولكن كلماتي ما كانت لتعبر الا عن التافه السخيف مما احس . ما كان من الواجب ان يصطدم حبها بالموت ، ولم تكن هي تريد ان تفهم شيئا .

الان ، كانت الليلة تبدأ فعلا .

لم ارها وهي تسير ، غير انني احسست انها قد تركت كرسيها عند النافذة . سرت خلفها ، متلمسا الاثاث الذي لم آلفه ، واقود نفسي خلال الغرفة لحظة بعد اخرى على هدى من عبير شعرها الليموني الاصفر .

ثم وقفت ، وادركت انني في غرفة النوم . ووجدت انني اقف عند الباب لا اعرف سوى اتجاها واحدا ينبعث منه شذى شعرها الذكي . وحين كانت تتنقل من زاوية لاخرى ، كنت اقف منتظرا ان تتفوه بشيء ، بكلمة تبعثني الى الخارج حتى الصباح . او تخبرني ان هناك شيء تطلبه اولا شيء البتة ، لكنها لم تخبرني بشيء.

ان مشيتها وحيدة منفردة من زاوية لاخرى ، وبرودة سريرها التي لا تزول ، كان لهما صدى في الغرفة الجوفاء ، وكنت اسمعها وهي تقطع ارض الغرفة لتصل الى السرير وتلمسه باصابعها ، ثم تعود لترجع وهي تخطو على البساط الذي فرشت به **الارض** لتقصد النافذة .

وقفت عند النافذة ومدت نظرها

الى اللاشيء في الظلام ، اللاشيء الاسود ، بينما كنت اترقب ان تقول لي ان اغلق الباب وادعها في وحدتها. ورغم انها كانت في الغرفة ، وكنت انا عند مدخلها ، والارانب خارج النافذة الا ان الفراغ هبط على الدار وخيم كما تخيم ليلة بلا نجوم او قمر . وحين مددت ذراعي اصطدمتا باماكن مجهولة ، وحين حاولت ان ارى شيئا بدا لي ان عيني تبحثان عن الضوء في ارجاء سماوات معتمة .

كانت تعرف اني اقف عند مدخل الغرفة انتظر كلمة منها ، لكنها كانت يائسة وحيدة . وعرفت ايضا انها لن تطيق الانفراد في غرفة لا ترى حيطانها من بعد كبير . وان وحدتها لن تتبدد بكلمة تطلق في الظلام الاجوف ، وهي نفسها لن تقوى وحدها على الانطلاق من البيت الشاسع الابعاد .

لقد كتب لي اخي قبلا عنها وابلغني اسفه لانني لم احب بعد انسانة مثلها لقد قضى معها سنة كاملة يقاسمها هذا البيت وهذا السرير . في كل ليلة كانا يدخلان الغرفة وهما يسيران جنبا الى جنب الى حيث تجلس هي الان وحيدة . كان بمقدوري ان اتحسس وحدتها هذه الليلة ، لقد اخذ منها ، بينما انا ، انا الذي ما عرفت مثل هذا الحب ، ما كان بامكانها ان تتعزى عنه بوجودي .

ومرة اخرى مضت الى السرير ولمسته . الغرفة مظلمة والسرير مستقر جامد . عرفت الان انها بسبيل ان تغدو وحيدة . بدأت تبكي بخفوت ، كما تفعل فتاة صغيرة .

سقط خفاها من قدميها ، فكان لهما صدى كصدى القاء زوج احذية رجالية من ذوات المهامز الحديدية على الارض .

وحين لمست مشطا كان على المنضدة وقع على الارض في الظلام ، كيد رجل اخرق يتلمس ويحطم مرايا في العتمة او ينقلها من مواضعها لمست ركبتاها كرسيا ، ولكن صوت الصدمة كان كصوت رجل يتلمس طريقه كالاعمى في غرفة مظلمة ، متعثرا بالاثاث قاذفا باللعنات بصوته المبحوح من بين انفاسه .

اما الملابس التي خلعتها فقد القتها فوق صندوق عند اقدام السرير لكن ما فعلته بدا وكأن رجلا رمى معطفه المطاطي الثقيل وسترته وسرواله عبر الغرفة فوق كرسي ما .

ودون ان تحدث صوتا رفعت غطاء النافذة ، لكن ذلك بدا وكأن رجلا رفعه بشدة كمن اصابه ملل من الانتظار .

جلست على طرف السرير ، والقت بنفسها عليه ، فكان ذلك كرجل يقذف بنفسه على الفراش ويسحب الغطاء فوقه .

وفي هدوء تام تقلبت من جانب الى اخر ومدت ذراعيها على الوسادة في الجانب الاخر ، فكان لذلك صوت في الغرفة الجوفاء كصوت رجل يلكم الوسائد بقبضة يده .

بدأ جسدها يرتعش مع كل تنهيدة منها ويهز بخفوت اسلاك السرير الحلزونية والفراش ، فكان ذلك كرجل يعمل بلا هوادة مدفوعا بقوته العسيرة الانقياد .

لست ادري كم مضى من الزمن وانا اقف اترقب كلمتها . فلقد مضى الوقت بسرعة اول الامر في البيت ذر الظلام الاسود كالقار والفراغ المظلم ، ثم ابطأ بعدئذ ، ربما مضت على ساعة ، وربما خمس ساعات .

انفرجت شفتاي وخاطبتها. بدت اصداء اصوات كلماتي كأنها بلا نهاية ، قلت وانا ارتعش :

– ليلة سعيدة ، توماسين ،

فصرخت في خوف والم ، كان انسانا ما قطع قلبها بسكين ، ولو صح هذا لما امكنها ان تصرخ افظع من هذه الصرخة .

ثم تقلبت على الفراش واستقرت على الجانب الاخر .

– يا الهي ! يا الهي ! يا الهي !

سقطت الوسادة التي كانت تقبض عليها من الجهة القصية من السرير على الارض ، محطمة الظلام كشجرة تسقط في اعماق غابة .

خيم المساء ، وبدأ الليل في الغرفة الفارغة .

**العراق – كركوك** **انور محمود سامي**

# سؤال

سرت نسمات الليل تعبق بالند ... فهيجت الذكرى وارقني وجدي

تذكرت أياما لنا قد تناثرت ... بروض الهوى بين الينابيع والورد

ولم ار طيفا يستثير هواجسي ... كطيف به تختال ميّاسة القد

اذا خطرت في البرد تستقبل الضحى ... تضوع منها العطر من عفة البرد

رعيت لها عهد الهوى وذمامه ... واني مقيم لا أزال على العهد

هل الذكريات السالفات تثيرها ... وهل عندها من لوعة الشوق ما عندي

**جامعة برشلونة** **باقر سماكه**

# من اوراقي

## ○

### بستاننـــا

•

**بستاننا** مطرز باشجار التفاح قرب جبلنا الاخضر ، المعلق بين الارض والسماء .

دربه متعرجة بين الغدير والساقية ، في قلب وادينا الجميل ، تحرسها اشجار الحور الباسقة ، كأنها المردة تتامل بوقار وهيبة ، ظلها الممتد تحتها على الارض .

حدود بستاننا على مد النظر ، وفي الاعالي سماء يعانق نجومها اللامعة ، في ليالي الصيف المؤنسة ، على سحبات القصب اللاهبة .

كم نجمة دخلت بستاننا ، تلثم اشجاره اليانعة ، وتسبح في بركتنا الرابضة على كتفه الجميل ، وكم شال نتف الغيم على زمرد تفاحه وياقوت اشجاره ، وكم لبست هذه الاشجار الضباب عباءة في امسيات الصيف المرحة .

والشمس كم قبلت اشجاره وحضنتها برفق وحنان وكم حضن هو مواويل الرعاة من بعيد ،وحبس تأوهات العشاق بعد ان تأمل تنقلات العذارى الحالمة .

* * *

**وفي** ايلول ، في كل يوم تدندن اشجاره فرحة بثقل الثمار ، وتقبل من بعيد انغام جدلى تطفو على النسيم الدافىء .

وفي ارجائه ،تتمتم الطبيعة اغاني الوجود ، على ترنيمة الاطيار وترتيل البلابل .

تفاحه لؤلؤ ، كم أتيت الثمه بالقبل ، وانقل طرفي على ياقوته ومرجانه .

ايه بستاننا ، يا اخي ، انا اغنيك الحياة من فمي ، من اعماق قلبي الاخضر .

ينام حبك في قلبي ، ويضج في ضربات الالم الصاخبة يريد ان يبرىء جراحي ويغسل ردائي الاغبر .

النور خافت في طريقي ، يرتعش ارتعاشة المحتضر في مطاوي الظلمة الحالكة .

لا .. لن يكون ذلك .

ثورة ايها البستان ، تطعن قلب الليل الحالك

ثورة تسدل نقابا على الليالي العارية ، فتبدد الظلمة في كل مكان .

انني اتأمل بكاء الليالي المظلمة ، وارى فرحة مواكب النور الدافقة على معبد الحرية الدائم .

فرحة الثورة في حبها لا ترحم .

لقد ازفت الساعة ايها البستان ، لكي يرفع الحجاب عن النور .. وستراه ..

* * *

**وذات** مساء غرق بستاننا في افواه الطيب ، فتطلعت اشجاره مليا في جوانبه الحائرة ، فرأت ضوءا قد رف في عباب ارجائه .

عابرة ... يا لها ، في حبها لا ترحم ، اقبلت دون ضجة ، وفرشت بساط العرس في قلبي الاخضر كي تأخذ مجلسها فيه وحدها .

ويا لجمالها ، نشوى بخمر صباها ، فمن كوة عينيها تلفت الاشراق ، وفي خصل شعرها نام الليل على انامل القادر المبدع .

ويا لنسيم بستاننا ، حمل اليها نفحة من طيبه ، قبلت خدها ، فقلبها طيبه ، وتغلغلت في صدرها النافر ، كما تغلغل نور القمر في شعرها الفاحم ، وحبها في قلبي الاخضر .

آه .. كم حرست فتنتها جوانب بستاننا بسهام عينيها الحائرة ، فأصابت صدري وتركت فيه كنزا دفينا يتمرغ في جراح القلب الدامية .

شكوتها لله ، كم امرت سهامها الثائرة ان تسقي الاشجار معي دم العناقيد ، فتاقت نفسي لمعاصر الطائف ، ودنان يثرب القديمة .. انها الان تعربد في كيانها ، كما تعربد في كياني المحموم .

بنيت حياتي عند اقدام اشجاره على سر حبها الذي غلف قلبي بالنظرات والدموع ، هنا ، في بستاننا الحبيب ، اعطيتها من نفسي ، وسقيتها من قلبي الحنون .

كم مرة حضنت طيفها بظل اشجارنا الباسقة ، وقبلت وجناتها في تفاحنا المورد ، وكم التقينا في احضانه المرحة .

* * *

**يا لبستاننا** زاره ايلول فسال الحب في دم تفاحه ، فتضرجت خدوده بحمرة قانية ، وسفح موسمه على كل درب .

ويا لايامنا الحلوة ، ذاعت على شفتيها اسرار كثيرة ، هي من حياتي التي مزقتها الايام ، وذرت رمادها في بستاننا الجميل .

غدا تنسانا الضيعة ياحلوتي،ونهجع في تربتنا العتيقة.

# شك

✳

أحقا تحبين ، اني اشكُّ ... ولكنْ يداك هما الشاهدان
كتابي ، رسمت عليه حروفا ... ترى تدركين خفيَّ المعاني
أنا اطلب الحب في مقلتيك ... فلمْ لا اصدقُ ما تطلبان
وكم جئتُ ، بالامس ، في مقلتيَّ ... حديث لحلم ، ولليأس ثان
لاخلقَ من صمتي اسطورة ... تلظى بنيرانها عاشقان
وأنتِ تحبين .. ! ماذا تحبُّ ؟ ... وزادي مع الليل بضع أغان

★ ★ ★

نوافذُ حبي على صمتها ... تحدّثُ عن جرح قلب مهان
... وفي ليلة من ليالي الربيع ... أطلّت مع الفجر عصفورتان
وثرثرتا عن هواي الجريح ... وفي الصمت ما زالتا تسألان
فيرتعش القلب ، اني أشكُّ ... وان اومضت بالهوى مقلتان

★ ★ ★

أتدرين ، اني أخاف الهوى ... ففي القلب ما زال جرح يعاني
اسائل نفسي ، علام الحنين ... أما طلع الصبح دون الحنان
أما خلّف الحب شيئا يغلُّ ... خطانا الى ارض دنيا الهوان
فعدنا بقصتنا متعبين ... اذا الفجر اشرق لا يبسمان
وتلك النجوم التي اوقدت ... بعينين عادت بلون الدخان

**بغداد** — **عبد المجيد الراضي**

---

**آه**

ايها القمر ، تعال نسبح معا في بركتنا الحلوة ، ونقبل الحبيب النائم تحت ضوئك الحالم ، في ظل اشجارنا الحالمة .

تعال ندمي له شفتيه ، ونجرح قميصه فوق صدره لنرى موسمه الناضج كموسم تفاحنا ، تفاحنا الاحمر .

تعال نمرغ شفاهنا بشفتيه ، انها تشبه دم العناقيد الاحمر ، علنا نسكر بقبلتها المحرقة ، ونذوب بانفاسه الملتهبة .

انا لها وهي لي منذ بدء الخليقة ، وتفاحنا يشهد حبنا ويغار عليها حتى من القمر الذي كان يلامس جسمها البض ... رايناه معا يسبح في بركتنا التي كانت تغسل اطراف البستان .

ويا لبستاننا .. عبدته لاجلها ...

**جبع ـ لبنان** — **اديب الحر**




## سيكولوجية المرأة

للدكتور زكريا ابراهيم ـ سلسلة الثقافة السيكولوجية ـ ١٧١ صفحة ـ دار مصر للطباعة

●

لم يكتب في المرأة ، وفي سيكولوجيتها خصوصا ، منذ امد طويل ، وباللغة العربية ، كتاب علمي مركز كهذا الكتاب الذي نقدم .ولعل سر ذلك يكمن في شيوع النظرة اللاعلمية واللاموضوعية تجاه المرأة.وهذا لا يعني ان الشرق العربي قد اختص باحتقار المرأة وتمييزها بانها ثانوية الدرجة والمكانة والعقلية والفعالية والمستقبل . فالحق ان سائر المجتمعات الاستغلالية تجهز مددا لا حد له باحتقار المرأة وقتل ما فيها من حيوية وتفاعل مع المجموع ومع الارض التي تسير عليها وتعيش فيها . وما يتبقى في الفرق بين احتقار الشرق للمرأة واحتقار الغرب هو فرق درجة وليس فرق نوعية . الشرقي يقيد المرأة في داره ، ويجبرها ان تحيا حياة النعاج ـ وهذا الكلام نقوله تجاوزا ، فالحق ان اقساما كبيرة من المجتمعات الشرقية انطلقت في تحريرها التدريجي والسريع للمرأة ـ بينما الغربي يطلق سراح المرأة ، ويساويها به ، ولكنه يستغلها ابشع الاستغلال ، فهو لا يمنحها الاجور كل الاجور ، وهو لا يعطيها الحرية كل الحرية للعمل ، وهو ، اخيرا وليس اخرا ، يفترض فيها انها لعبة ودمية يلهو بها ، ويرفه بها عن نفسه ، فهي اذن ، في عميق التمحيص وفي محصلة الجدال ، هي هي في الشرق والغرب . والفرق ، كما قلنا ، فرق درجة ليس الا .

كتابنا هذا يبحث مثل هذه المواضيع الحساسة التي لا غنى لكل مثقف ومثقفة ان يفهمها وان يناقشها وان يقول رأيه فيها . وهو لا يقتصر على هذا فحسب ، بل انه يقدم مقدمة غنية بعطاء مدروس ناضج كل النضج ، ليعبر الى دراسة عاجلة ـ لا يشوبها الا التسرع والارتباك في بعض مناحيها ـ عن المرأة طفلة ، ومراهقة ، وزوجة ، واما ، وشيخة . وهكذا فاننا سندرس هذه الفصول ، بجد ، قابسين ما يلزم لاسنادمانقول

فاما فصله الاول « الفروق البيولوجية بين الجسمين » فقد كان ، في رأيي ، خير مدخل علمي سلس البيان ، رشيق الاسلوب ، لمثل هذه الدراسة الجدية التي نفتقد . ولذلك فاني انصح القارىء الاخ ان يتأمله مليا ، لا لانه تجسيم لما يقوله العلم ، العلم الحق ، في هذا الحقل ، بل لانه تأكيد للمنهجية العلمية الموضوعية التي يحاول ، موفقا في اكثر الاحايين ، مؤلفنا التزامها .

وللفصل الثاني والثالث قيمة كبرى في عموم تطور الكتاب ، فهما يبحثان المرأة طفلة ومراهقة ، وهل آكد من هاتين الفترتين ـ الطفولة والمراهقة ـ اهمية وتأثيرا على كامل نشاط المرأة وحياتها . يقول الاستاذ سلامه موسى ان الخمس سنين الاولى من حياة الطفل هامة جدا ، فانها تعكس باستجاباتها الشعورية واللاشعورية وبخبرتها ورصيدها الذهني والمعرفي ، ظلها على عموم حياة المرء . وهنا ، فان دراسة مدققةللفصلين تلزمنا لبيان التوفيق الذي عاشه المؤلفه او جانبه احيانا .

يبدأ المؤلف الفصل الثاني بتحليل النظرة العدائية لولادة البنت ، والودية لمجيء الولد فيبين ان الولد يخلد العائلة ، كما انه قادرعلى الاحتراف في مجتمعنا الصغير ، وهو بذلك قادر على اعالة الاسرة وتبييض وجهها امام الملا ، وهكذا فهو محور الاحترام والمحبة بل والعبادة . ويصاحب المؤلف طفلته فيظروف واحوال مختلفة حتى يصل بها الفطام .

ثم ينتقل الى مناقشة فرويد مناقشة جدية تعطينا كثيرا من الموضوعية التي نريد (١) . وهنا نرجو القراء ان يشاركونا متعة مناقشة زكريا الموضوعية ولنستمع : « والظاهر ان فرويد حينما ذهب الى القول بان حرمان البنت من القضيب يولد لديها الكثير من الاضطرابات النفسية ، فانه ينسى ان عقلية الطفل ليست منطقية بالقدر الذي يتصوره . وليس ادل على ذلك من ان الطفلة الصغيرة قد ترى عضو التناسل لدى اخيها فتبادر الى القول بانها ايضا كانت تملك شيئا كهذا ، وانه سيكون لديها مثله ، او انها تملك بالفعل شيئا كهذا ، مما يدلنا على ان الوجود والعدم عند الطفل ليسا بصنوين ! وحسبنا ان نلقي نظرة على رسوم الاطفال حتى نتحقق من انهم لا يرون بالفعل ما هو واقعي ، وانما هم يصدرون في اعمالهم عن « نماذج » سابقة قد اختلقوها اختلاقا » (٢) ويخلص الى القول « ان » القضيب لا يرتبط في ذهن الطفلة بأي معنى جنسي ، وانما الملاحظ ان اهتمام البنت بعضو الذكر لا يكاد يتجاوز وظيفته البولية (٣)

ويعالج المؤلف ، ببعض التفصيل المدقق امورا هامة لدى الطفلة كعلاقتها الذهنية والسيكولوجية بالدمية ، وكالنرجسية لديها ، والتمردات الانثوية المبكرة ضد الام والعائلة ، والمثل الاعلى للطفل ، والاسرار ، والصداقة . وهو يقول في الصداقة قولا يجبرنا على التأمل : « ولا يفوتنا ان نشير الى اهمية « الصداقة » في هذا الدور . فان علاقات « ما قبل البلوغ » حينما تتخذ صورة ـ علاقة سادية ـ مازوشية، فانها قد تترك آثارا سيئة في الحياة النفسية للفتاة « المازوشية » على وجه الخصوص . وقد لوحظ ان عجز بعض الفتيات عن مواصلة الدراسة او متابعة نشاطهن العادي ، قد يرجع احيانا الى انشغال الفتاة بعلاقة من هذا القبيل مع فتاة « سادية » . ومثل هذه العلاقات التي تجيء عادة معبوادر «البلوغ» هي التي ستحدد مصيرالفتاة فيمرحلة المراهقة(٤)

على اننا لا نستطيع ان نتفهم المؤلف ، قصدا واستشرافا ، حين يختم فصله الثاني هكذا : « ولعل هذا هو السبب في ان الفتاة قد تكون طيعة محبوبة في المدرسة ، بينما هي قد تكون ثائرة متمردة في المنزل ! وربما كانت كل ثورة البنت على امها انما هي وليدة شعورها الضمنيبان الام هي أقوى رابطة يمكن ان تربطها بالماضي ! » هنا يجانب المؤلف علميته ويروح يتدحرج ـ اجل يتدحرج ـ مع مهوشي علم النفس اللاعلمي واللااجتماعي ، فيفترض الافتراض الخطأ ليستنتج الاستنتاج الخطأ ، مع الاسف . هل الطفلة ـ على ابواب المراهقة ـ تفكر حقا ، هذا التفكير تجاه امها ؟ وهل يحدث هذا في عالم الواقع بالضبط ؟ وما معنى الماضي تجاه طفلة ، كل رصيد عاقلتها انها مدللة وانها محمية وانها محبوبة ؟!

ودراسة المؤلف لموضوع المرأة ـ مراهقة ، دراسة طيبة جدا ، ان قيست بمجموع ما رأينا ودرسنا حتى الان ، بالعربية ، من دراسات في هذا الموضوع . المؤلف موفق هنا جدا حيث يدرس الزينة لدى المراهقة،

---

١) لدي دراسة ومناقشة لنظرية فرويد في الجنس ، لعلي استطيع ان اقدمها ، مستقلة ، الى مجلة «الاديب» القراء .

٢) انظر ص ٣٨ـ٣٩ ٣) انظر ص ٤٢

والذاتية ، والانوثة ، والحب . وهو في الحب والتربية الجنسية ينصح بضرورة المصارحة لان « تجربة الحب » هي مما قد تعجز عن صوغه الكلمات ، لاننا هنا ـ كما تقول سيمون دي بوفوار ـ بصدد تجربة حية لا يفهمها الا من يعيشها !» (٥) ويأتي الى الصداقة بين المراهقات ، فالتمرد لدى المراهقة حيث يحلل بعلمية تستحق الاحترام اسباب ذلك فيقول : « حقا ان الفتاة في هذه المرحلة تنزع الى الاستقلال ، ولكن هذه الرغبة كثيرا ما تكون مقترنة بالشعور بالجزع وعدم الاطمئنان ... وربما كانت الخاصية الرئيسية التي تميز مرحلة المراهقة المبكرة هي القابلية الشديدة للتهيج النفسي ، مع الرغبة الحادة في التصريف الحركي ، ولو ان الحوافز الجنسية في باديء الامر قد لا تكون واضحة صريحة .» (٦)

وحين يصل المؤلف الى قضية التقليد لدى المراهقات ، يشبعهما بحثا ليتوصل بعد ذلك الى مناقشة ثانية مركزة «للموقف الاوديبي» كما رآه فرويد .

ويركز بتدقيق موضوعي على قضية « الحيض » وما يولده من صراع نفسي وقلق . ثم ينتقل الى الظواهر الرئيسية في عالم المراهقات وهي « التقمص » و « النرجسية » و « الانفصامية » وما تبعث من احلام روما نتيكية واستجابات وتمثلات « للانا » .

لكنه يمر سريعا على ظواهر اخرى كالمثل العليا للمراهقة واسباب نشاطاتها البناءة او الهدامة في هذه الاونة ، وكالالتجوء الى الدموع ، والمبالغة في الخجل والتستر ، والحب الانثوي المتبادل . وهذا ما نسجله عليه لاهميته وتعلقه العضوي بكامل الدراسة وبالفعل ذاته .

اما معالجته ـ للمراة الانثى ـ والايديولوجية المتطورة المحيكة حولها من انها « لغز » وان « الزواج هو المستقبل الاعظم للمراة » ، فانها موفقة حقا . اسمعه يقول « وليس الزواج بالنسبة الى الفتاة مجرد حياة آمنة تحلم فيها بالطمانينة في ظل الرجل ، وانما هو ايضا السبيل الوحيد الذي يمكن عن طريقه ان تصل الى تحقيق كرامتها الاجتماعية باعتبارها زوجا واما » (٧) . أليس في هذا القول اكبر القدر من الصحة والصواب ؟ وهل تغيرت مثل المراة الانثى لدينا او حادت عن هذا التحديد ذاته ؟

على انه يتقمص الحقيقة العلمية الموضوعية حين يقرر بعد مناقشة طويلة : « واذا كانت نقطة البدء بالنسبة الى الشاب ليست من الصعوبة بمكان ، فذلك لانه ليس ثمة تعارض بين رسالته باعتباره انسانا وبين واجبه باعتباره رجلا . واما بالنسبة الى الفتاة ، فان الامر على خلاف ذلك ، لان ثمة هوة عميقة غير معبورة بين موقفها باعتبارها كائنا بشريا ، وبين رسالتها باعتبارها « امراة » . وليس هذا التعارض وليد واقعة بيولوجية او تكوين طبيعي ، بل هو وليد تحكم صناعي اريد به للمراة ان تكونكائنا ثانويا لا يعترف له بالحريةاو الاستقلال او الفاعلية(٨) ويتابع فيقول ، والواقع ان المجتمع لا يفرض على الفتاة ان تتجمل ، وتتزين فحسب ، بل هو يضطرها ايضا الى ان تحد من تلقائيتها ، وان تستعيض عن ارجاعها الطبيعية برشاقة مصطنعة وجاذبية متكلفة، تلقنها للفتاة شرذمة من النساء اللاتي يقمن بتربيتها وتوجيهها (٩) الحق ان المؤلف هنا يتفق مع الحقيقة التي بدأنا بها دراستنا النقدية هذه ، ويؤكد ـ تأكيد العلم المتطور المتفاعل مع الحقائق الظاهرة والباطنة ـ ان المراةفي المجتمعالاستقلالي ـ لم تتحرر حقا ولم تتطور الا فيالدرجة (١٠)

---

٤) ص ٦٠ ٥) ص ٦٨ ٦) ص ٧١
٧) ص ٩٢ ٨) ص ٩٤ ٩) ص٩٤
١٠) في دراستنا المخطوطة : « المراة بين الانثوية والانسانية » تفصيل شاف لهذا الموضوع ..

الى هنا ونحن قد قدمنا للقراء خمسا وتسعين صفحة ـ هي ثلاثة فصول من كتابنا هذا ـ وما دام الكتاب سخيا بمعطيات دفاقة من الحقائق العلمية والتوجيهات الضرورية ، فاننا لا نستطيع الا ان نختتم تقديمنا ، هنا ، مع العهد اننا سنتابع الدراسة ، هذه ، في جزء « الاديب » القادم .

**بغداد** **جليل كمال الدين**

## نفوس جديدة

لشاكر السعيد ـ مجموعة قصص ـ ١٤٠ صفحة ـ مطبعة الشباب ببغداد

●

من الساعات التي لا انساها في حياتي يوم جاءني شاكر ـ ونحن بعد شبان صغار في الصف الثالث الثانوي ـ يسالني الراي في ان يقدم بعض انتاجه الى المطبعة . فقلت له ان يتريث فليس الامر بهذه السهولة . وقد يكون ما قلته في ذلك الحين ناشيء عن حسد وغيرةولكنه يمثل جزءا من الواقع ، والظاهر ان شاكر قد قبل النصيحة وانزوى في قوقعته الادبية حتى خرج علينا بعد سنوات ثلاث بانتاج قصصي متدفق

ثم جاء يوم اصبح شاكر فيه ـ بالاضافة الى دراسته الجامعية ـ محررا في جريدة الحرية ، وجاء يوم اخر فاذا به يجلس على منبر الوعظ ليعظني ويدلني على اخطائي في قصصي . ثم جاء يوم اخر فاذا به يسالني ان انقد كتابه الذي اخرجه حديثا .. « نفوس جديدة »

كتب المقدمة والد المؤلف الاستاذ محمد حسين السعيد وكان موفقا في تقديم نجله الى القراء يلوح عليه السرور بما انتجه ولده الاديب وان كان مصحوبا بالنصح والارشاد والاشفاق .

ويروعني في اهدائه ان اجده يقول « وفي كتابي هذا احاول ان احقق امرا ضروريا ، احاول ان ارضي جميع الميول ، وقد لا يغيب عن بالنا ان مجتمعنا غاص بالناس من جميع الطبقات وجميع الاشكال وكل فئة لها ذوقها الخاص » .

ما يعنيك من الناس يا اخي شاكر .. هل انت بائع بضاعة عادية جديرة بالتسجيل .. تراها انت اولا ثم يراها الناس بعد ذلك . تحاول ارضاء الجميع ؟ لا ينبغي ان تكتب الا اذا واتتك فكرة ما تراها

والقصة الاولى من المجموعة واسمها « التأمل الحزين » تشرح لنا باسهاب « الحب » ولكن من زاوية خاصة زاوية الشاب الفنان الذي احب فتاة صادفها طويلا على النهر وبادلته هي الوجد ايضا ولكن بيأس لاصابتها بالسل الملعون ... وقد احسن شاكر عندما اخفى الحقيقة عن القاريء الى اخر القصة عندما يعود البطل من الخارج بعد اكمالهدراسته فينتظرها على الشاطيء ويصادف اخاها الصغير الذي يعطيه رسالة منها كتبتها قبل ان تموت ولكنه يصدمنا بالحقيقة فجاة . الحقيقة التي يستقيها البطل « صلاح » من لسان احد النوتية في النهر .. لقد قال له هذا انها ماتت ... فمن اين علم بذلك .. لا ندري !!

اما قصة « فكرة » فيقول المؤلف انه قد صاغها بـ « تكنيك » جديد وقد تعب فيها كثيرا فاقول له ان كان يعني بالتكنيك انه قد اسهب طويلا وراح وجاء في فكرة مطروقة كثيرا . فكرة الصراف الذي يسرق اموال شركته لخسارته في لعب الميسر فقد اصاب في ذلك ... وعلى اية

حال فلا يسعني ان انكر بان المؤلف قد جعلنا نحبس انفاسنا عندما وجدنا الصراف يقع - في نهاية القصة - بيد حسن حارس الشركة بعد اتمامه جريمته وهو بهذا يحقق الايجابية في قصته فلا بد للمجرم من عقاب مهما كانت ظروف جريمته واسبابها ...

وفي قصة « مظاهر كذابة » نجد السلبية في اجلى مظاهرها.. حسون عامل مطرود من الشركة بسبب همسة قالها لاحد العمال بان عليهم ان يسعوا لرفع اجورهم .. لقد صور لنا الاخ شاكر عمالنا بحالة نفسية منحطة واستنتجنا بصورة غير مباشرة بان هذا العامل قد ذهب ليخبر مدير الشركة الاجنبي بان حسون مشاغب فكانت النتيجة الطرد والجوع ثم اخيرا السجن بعد ان لفق له المدير تهمة الاعتداء عليه ، على كل فقد تخلل القصة وصف صادق لحالة حسون من جوع وافلاس وما نتج عنهما من مشاكل مضافا اليها الشعور بالظلم .. لقد ابدع شاكر في قصته هذه .

اما « صوت من مراكش » فقد ادى فيها المؤلف ما يؤديه كل اديب حر يشعر بشعور اخوانه في العروبة ويحس بأحاسيسهم وكفاحهم لاجل حريتهم السليبة وكم يعجبني ان اردد مع بطل القصة وهو في ساحة الموت « كلما قتلتم وكلما ظلمتم فان الحق لا بد ان ينتصر وان الاستقلال لا بد وان يعلن في هذه البلاد » .. شيء واحد فقط اعيبه على شاكر في قصته هذه ... موقف ام البطل الثائر وهي تبكي عندما عذبوه ... لا ينبغي ان نصور امهات ابطالنا في المغرب العربي على هذا الشكل المزري الضعيف المتخاذل .

اما قصة « حلم قصير » فيبدو ان شاكر أراد ان يرضي بها طائفة المراهقين .. كتبها المؤلف في اربع عشرة صفحة واستطيع ان الخصها في أقل من اربع عشرة كلمة « يحبها وتحبه ويتعاهدان على الوفاء ثم تخون وتتزوج غيره » ولكنها قصة واقعية تحدث في كل مكان من مجتمعنا الشرقي فان الفتاة لا تستطيع الانتظار او ان اهلها لا يدعونها تنتظر او تختار بنفسها شريك حياتها والسبب هو جو الانفصال الفكري الذي يعيشه شبابنا عن والديهم وعدم وجود الحرية والجرأة الكافيتين فلو ان بطل القصة قد اخبر والده انه يحب ليلى ولو ان ليلى رفضت الزواج بمن زوجوها به .. واخيرا لو كان ليلى وفتاها يعلمان بان والديهما سيتسع صدراهما لما ترددا . ولكن كلمة « لو » هنا لا محل لها فلا بد ان يقع ما وقع ولا بد ان تنتهي القصة على هذه الصورة .

اما قصة « خزعل » فوصف جميل لاحاسيس حارس ليلى هرم وتحليل لمشاعره فهو صادق عندما يمر به الناس على اختلاف طبقاتهم واعمارهم . غير ان شاكر ينهيها نهاية مستغربة ، فبعد ان يقوم خزعل بمطاردة احد اللصوص ثم يقتله - ولا ارى هنا مبررا للقتل - يحس بان عمل الحراسة عمل قذر ... قد نعذر خزعل لحالته النفسانية المضطربة بعد قتله احد الناس ولكننا لا نعذر المؤلف لجريه على طريقة يوسف وهبي بقتله اللص ثم وضع تلك الجملة التمثيلية على لسان خزعل « الحراسة عمل قذر » .. ليست الحراسة عملا قذرا يا اخي شاكر فلولا الحارس الموجود قرب بيتكم ليلا لما نمت قرير العين ناعمها .

اما القصة الاخيرة « لقاء في لونابارك » فهي قصة شخص آمن بالحب في فترة من فترات حياته .. فترة المراهقة التي يصر المؤلف ان يكون فيها كل شيء ثم كفر بالحب عندما صدمته الحياة وام الحبيبة

لقد غابت عنه الفتاة خمسة اعوام .. هكذا فجاة .. ثم وجدها فجاة .. اعتقد بان شاكر قد كتب هذه القصة .. فجاة بعد ان ملاها بهذه المفاجئات .

واخيرا قد اكون قسوت على اخي وصديقي شاكر في نقدي لمجموعته ولكني اعتقد انه نقد في سبيل البناء لا الهدم . فانا اعتز بشاكر وانتظر منه اروع مما قدمه فان له القابلية على ذلك وله القدرة على التحليل والوصف .. ومرة اخرى .. سالتقي مع شاكر في مجموعته الجديدة التي ستصدر قريبا ان شاء الله وساجده قد قدم للمعجبين به - وانا منهم - شيئا اروع من « نفوسه الجديدة » التي قضيت معها سويعات لطيفة .. مع كيوبيد ومكائده .. مع العامل والثائر والفنان.. مع الانسان .

بغداد — باسم عبد الحميد حمودي

## يا ليل !

لخير الدين الاسدي - ١٤٠ صفحة - [ طبع ? ]

●

**نحن** الان امام كتاب جديد ، عنوانه « يا ليل ... »

ولا نظن ان بين الناطقين بالضاد ، حتى وبين غير الناطقين بالضاد من لم يسمع لفظة « يا ليل » ومرادفها « يا عين » فهي تكاد تكون من الغناء العربي بمثابة الروح من الجسد .

فما هو تاريخ هذه الكلمة ؟ وما هو مصدرها ؟ ثم ما هي التطورات التي طرات عليها ؟ واخيرا ما هي اجتهادات بعضهم وتعليقات بعضهم الاخر عليها ؟

فمن قائل انها من الليل ، ومن قائل اخر انها مناجاة لعالم الليل .

ومن قائل انها من « يا ليلى » وهو نداء اسم علم انثوي .

ومن قائل ان تاريخها يعود الى عصر الاندلس ، حيث يوجد « وادي الليل » وهو لكثافة اشجاره يكاد يتساوى فيه الليل والنهار . وبما انه كان مجمع السمار ، راح المغنون - بعد تقلص الحكم العربي في الاندلس - يرددون اسمه أي : « يا ليل » تخليدا لذكرى ايامه .

ومن قائل انها من « هللويه » العبرية ، وهي بمعنى « سبحوا الله »

ومن قائل انها من اصل تركي ، وان اول من رددها هو عبد القادر المراغي نديم السلطان في احدى موشحاته .

ومن قائل انها اسم لصنم عند العرب يرمز الى اله الحب والجمال ، جريا على عادة آلهة اليونان وغيرهم .

الى غير ذلك من المزاعم والاقاويل الكثيرة ، التي يزعمها ويؤولها الناس وفق اهوائهم ، وحسب ما توحيه اليهم مخيلاتهم وافكارهم ...

ولكن هل تظل محكمة التحقيق العلمي المجرد ، تتقاذفها امواج هذه المزاعم والاقاويل ؟ والى متى ؟...

لا بد لها من دحض كل ما لا يستند الى حقائق علمية صحيحة ، ولا بد لها من ان تظهر اصل عبارة « يا ليل » ومنشؤها وتاريخها وكل ما يتعلق بها .

وهنا يلج المعركة ابن هذا الميدان البار ، الاستاذ خير الدين الاسدي، الذي ما عرف التحقيق العلمي ، عندنا ، اطول منه نفسا ، ولا آداب سعيا، ولا اعمق تحقيقا ، وراح يشد الرحال الى مختلف انحاء ارض الله الواسعة، يسأل كل عالم ، ويحقق مع كل موسيقي ومطرب ، ويناقش كل مؤرخ وكاتب ، من كل طبقة ومن كل طائفة .

ولم يكتف بمئات الناس الذين اتصل بهم وسألهم عن « يا ليل » بل ظل مثابرا على البحث والتنقيب عنها في بطون الكتب والمخطوطات والمجلات العلمية والادبية واللغوية ، بما في ذلك العربية والاجنبية ، حتى بلغ عدد مصادر البحث عن « يا ليل » اكثر من ٩٠ مصدرا .

ولا اعتقد ان هناك من يقوم بما قام به محققنا الاستاذ الاسدي ، فقد ظل يحقق من اجل هذا البحث مدة عشرين عاما حتى ظفر بمبتغاه ،

وحقق لعاشق الليل مناه ، وقدم لقراء العربية عامة ، ولمن ما فتئوا ينادون الليل خاصة ، جهد تلك الاعوام الطوال ، وكفاهم مؤونة البحث والسؤال عن « يا ليل » وبذلك قضى على تكهنات المتكهنين ، ووضع رأيا جديدا سديدا امام جمهرة الباحثين والمدققين .

وهكذا يشعر القارىء ـ وهو يطالع الـ ١٤٠ صفحة من كتاب « يا ليل » بورقه الجيد الممتاز وبطباعته الانيقة النظيفة ـ انه امام بحث يجمع الى تحقيق العلم طرافة البحث ولذة الموضوع الذي ينقلك من مذهب الى مذهب ، ومن حكاية الى حكاية عن يا ليل ، فيطيب لك الاستمرار فتستمر وتستمر ، حتى تصل اخيرا الى مذهب محققنا الاستاذ الاسدي فتشعر انك امام محكمة عادلة اصدرت حكمها العادل على هذا « الليل » المسكين .

فقالت ـ نقلا عن أقدم واوثق وثيقة مكتوبة في مخطوط « تاريخ الموسيقى العربية » لهنري فارمر ـ : تحدثنا نقوش آشور بانيبال « في القرن السابع قبل الميلاد » ان اسرى العرب كانوا يمضون ساعاتهم في اغاني « اليلي Alili » ويتلهون بموسيقى نينجوتي ، فيدهش الاشوريون ويطلبون الزيادة منها .

اما معنى « أليلي » فيقول الاستاذ الاسدي انها لا تعدو احد أمرين :

ـ اما آشورية لانها جاءت في مصدر اشوري ـ وقائلوها وان كانوا عربا ـ جروا في اطلاقها على لغة اشور .

ـ واما عربية لان قائليها عرب .

ثم يناقش الاستاذ الاسدي كلمة « اليلي »وتأويلاتها في كلا الاشورية والعربية ، واخيرا يقول : انها سامية وهي تحريف كلمة « الي » اي « الهي » والال معناها : الله . وفي حديث ابي بكر الصديق ـ لما تلي عليه سجع مسيلمة : ان هذا لشيء ما جاء من ال ولابر .

وقال المعري : واعبد الك ودع ما سواه . أي : اعبد ربك .

وذكر ابن جني في المحتسب : الال بالنبطية اسم الله .

وعلى هذا ـ كما يقول محققنا ـ فالتغني بالله ، او قل رفع الصوت بنغم في مناداة القوة القاهرة في شتى ظروف الحياة امر طبيعي ومعهود .

ثم استفاضت كلمة « أليلي » وتقلبت وتبدلت وظلت تطوي الدهور والعصور حتى يومنا هذا ، بعد ان ابدلت قبعتها الاشورية بالعقال العربي، فكانت « يا ليلي » . وعلى هذا تكون « يا ليلي » سامية الاصل عربية المنبت يعود تاريخها الى ٢٧ قرنا خلت .

هذا غيض من فيض مما استطاع صديقنا العلامة المحقق الاستاذ الاسدي ان يصل اليه عن « يا ليل » فنحن نبثه جزيل الشكر والامتنان لما قدمه الى قراء العربية من حقائق مدعومة بامتن البراهين العلمية والتاريخية .

حلب — عبد القادر النجار

## اللحن الثائر

لجليلة رضا ـ شعر ـ ١٤٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة طلعت المصري ـ منشورات الشركة العربية بالقاهرة ـ طبع دارمصرللطباعة

●

يمثل ديوان جليلة رضا « اللحن الثائر » صورا فنية رفيعة ، نابضة بالحياة والقوة والجمال ويمثل مع ذلك جوانب من حياة الشاعرة المتعددة الالوان خير تمثيل . يمثل قصة حيرتها ، وقصة حياتها ، وعواطفها الوطنية ، وجانب الحرمان في حياتها ، ابلغ تصوير .

لقد عشت مع « اللحن الثائر » اوقاتا طويلة ، لكنها جميلة ، اوقاتا لم أشعر فيها بالسأم ، كنت اصاحب فيها الشاعرة ، استشف ما وراء شعرها العالم الجميل ، واستعيد صدى ذكرياتها الحلوة في نفسي ، هذا الصدى الذي هو ولا شك دوي حياة عاصفة حافلة بالالم والوحدة والحنين ، ومن منا يمل قراءة جليلة في قصائدها الموشاة بعاطفة حرة متقدة طليقة ، تكره القيود والسدود ، وتندفع كالنهر المنطلق ، وكاللحن الثائر ، وكالطير المحوم في السماء ، وكالروح الهائمة في الفضاء ؟

ومن منا لم يعش في العامين الماضيين مع الشاعرة في احلامها المتوهجة ، منذ ظهر ديوانها الاول « اللحن الباكي » ثم ديوانها الثاني « اللحن الثائر » لحظات تطول او تقصر ، يقرأ حيرة الشاعرة ، وقصتها الغامضة ، قصة اليأس الممض ، والقلب الدامي ، والاهات الدفينة ، ومجاعات الروح الحزينة ، التي تقصها الشاعرة في قصيدتها « مع الريح » ، قصة الشك والقلق والحيرة التي يعقبها التمرد والثورة ، مما تصوره الشاعرة في قصيدتها « اللحن الثائر » التي تقول في مطلعها :

يا رب اني سرت في امسي على درب عسير
وتلفتت عيناي بين الناس في قلق مثير
وعلى الطريق تسمرت قدماي من تعب المسير
فلقت ضللت ، ضللت واختلطت على عقلي الامور

وتما تصوره كذلك في قصيدتها « ثورة قلب » حين تقول في ساعة الهدوء الذي يسبق العاصفة :

علام الشك يا قلبي — علام الخوف والوجل
وهذي الزفرة الحرى — وهذا الضيق والملل
وتلك القصة الكبرى — واسطورة آلامك
الا تطوى ، الا تنسى — وتمحو طيف اوهامك

قصة الحرمان الذي ينطق به كثير من قصائد الديوان ، ويتمثل في العديد من الصور الوجدانية ، الفنية بالالوان والمشاعر الفنية الجميلة ، مما نراه في قصيدة « لذة الخطر » التي تقول الشاعرة في مطلعها :

اود ان اكون بحارا على سفينة

وتسترسل في تاملاتها واحلامها الى ان تقول :

لكنني في خلوتي بالموجة المرتعدة
سيعصف الجوع بروحي بعد هذا الشبع
ساحضن المجهول في رياحه المربدة
واعبر الاهوال في اقصى مداها والفزع

ومما نلمسه في قصيدتها « مع الريح » حين تقول في مناجاتها للريح :

سوف تلقينني وليلي وصمتي — ومجاعات روحي المحزونة

وشعر الحرمان يتلاقى مع الفن الغنائي الوجداني في الديوان ، هذا الذي تمثله قصيدة « ايام تمر » تمثيلا قويا واضحا .

وتنتهي الحيرة والقلق والثورة والحرمان بالشاعرة الى فلسفة الجمع بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الموت والحياة ، بين الحزن والامل مما تصوره الشاعرة في قصيدتها « هواجس » فتقول :

اني اريد ان اموت كي ارى وجه الفناء
لكي اغير الوجوه والدروب والضياء
لكي اضم في يدي سوى هذا الهواء
اريد ان اضحك حتى اذ بقلبي ينفجر

اريد ان ابكي فتستغني الربى عن المطر
ان اسأل الاله ما جدوى السماء للنظر
اريد ان احس ، ان اعيش ، ان اصير .. ان
اريد يوما واحدا يحوي الوجود والزمن

وهكذا تريد الموت ، لكنها تريد الحياة ، وهذه الفلسفة الحائرة المترددة هي نفسها التي تظهر لنا في قصيدة « الرحيل » التي تقول فيها الشاعرة :

عندما ارحل عن هذا الوجود فتعالوا
واملاوا قبري ضجيجا ورعودا لا تبالوا
وانفضوا اللهفة عنكم والهوان لفراقي
ربما اصحو اذا ذقت الحنان يا رفاقي
لا تقولوا انها كانت وكانت كالرواية
ها انا مت ، وها روحي استكانت في النهاية

فاذا تركنا هذه القصة اللذيذة الغامضة الحائرة التي تجمع بين فلسفة الضحك والدموع كما يصورها الديوان ، وجدنا حياة الشاعرة كذلك مصورة تصويرا رائعا جميلا فتانا في قصائد اخرى ، هي ذوب شاعريتها ، وحنين مهجتها ، وانسكاب دموعها ، وجدنا قصة حياتها الانسانية ، التي تبدأ من ميلادها الى الساعة التي هي فيها ، واضحة كل الوضوح في شعرها التاثري الجميل ، السابح مع الاحلام والرؤى والاطياف والاماني البعيدة .

ففي قصيدتها « أمي » تسجل الشاعرة حياتها البعيدة قبل انتولد، قبل ان ترى عينها الحياة ، وتقص القصة من بدئها لختامها فتقول :

لفظة ضاعت على ثغري ومن سمعي صداها
وخيالات نعيم أينَ من عيني رؤاها
كيف أنسى طيفها الحلو على مر السنين
كيف انسى وهي افراح حياتي وشجوني

وتروي ذكريات امها الجميلة ، ثم تمضي في حكايتها والهامها فتقول : آه أمي :

ها هو الموكب يمضي في صراع ونضال
غير اني لست انساك على مر الليالي
انت لي عهد تولى لم آكن احمل فخره
فاذا ما صرت اما رحت استوفيه قدره

وفي قصيدتها « ساعة مولدي » نجد صورا أنيقة ، تصف بها الشاعرة لحظات ميلادها وفرح امها بها ، وحزن والدها ، الذي وهبه القدر بنتا ، ولم يهبه ولدا :

بنت الهي وما ارجو سوى ولد
يا وصمة في دمي ، يا ذلة العار

وتقول الشاعرة في نهايتها :

في معصمي قيود البؤس خالدة
والطوق في عنقي أشدو باشعاري

وفي قصيدتها « امي حواء » نقرأ صورة للشاعرة في طفولتها تعبر اجمل تعبير عن جوانب من حياتها الاولى . وقصيدة « ذكريات الطفولة » تمثل الشاعرة في ذكرياتها ، وفي شاعريتها ، أبدع تمثيل ، وتحكي مرح طفولتها في « الفشن » ، في صور انيقة ساحرة ، وفي نهايتها تقول الشاعرة :

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سر ماضينا
هما عامان يا اختي سعدنا فيهما حينا
هما عمر لنا ولى به ولت امانينا

وهناك قصيدتان اخريان تكادان ان تكونا اهم حدث ادبي في حياة الشاعرة الفنية :

اولاها قصيدتها « معجزات القرآن » التي استمدتها من وحي ابنها المريض ، والتي تحكي لنا تجربة شعورية قاسية جياشة ، صورتها الشاعرة أرفع تصوير ، وتكاد القصيدة تكون من ابلغ ما نظمته الشاعرة ، وفي مطلعها تقول :

هي ليلة مرت علي كأنها عام وعام
الكون فيها كان أخلد للسكون وللظلام
والبرد ، البرد المفزع ، كان يمتص العظام
لكنما نام الجميع ، ولم ازل انا والغلام
يقظين لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام

واترك صور باقي هذه القصيدة ، ليقرأها من يحب ان يطلع على ملحمة فنية رفيعة ، تعد من ابلغ الصور في شعرنا المعاصر .

والقصيدة الاخرى ، « ثورة على الشعراء » التي تستهلها الشاعرة بقولها :

يا معشر الشعراء أثخنتم فؤادي بالجراح

ثم تقول :

فلسوف أمضي ، سوف اوغل ، سوف أعبر ذكرياتي
ولسوف أتركها لكم عبر السنين الاتيات
وهناك في كهف السنين ، وفي سراديب الحياة
سأضم أجنحتي التي سأرتوي من نبع ذاتي
هيهات ارجع من جديد للاماني الكاذبات

هاتان القصيدتان معرض فني كامل ، ولوحتان من خير ما رسمه مصور شاعر .

وبجانب هذه الالوان من شعر الشاعرة جليلة رضا ، نجد شعر الكفاح الوطني ، يصوره الديوان خير تصوير في قصائد متحررة طليقة قوية ثائرة ، من مثل : وطني ، وبورسعيد ، وشعب مصر ، وذكريات عيد الجلاء ، وعادت القناة ، و « من القلب » التي تتحدث فيها عن فلسطين الوطن العربي الجريح ، وهي مهداة من مصر الى شقيقتها فلسطين .

ويمثل هذا الجانب من شعر الديوان قصيدة « عادت القناة » التي تقول الشاعرة فيها في موسيقى رائعة :

أممناها أممناها رغم التهديدات المرة
بدمي ، بدماك حفرناها هي جزء من مصر الحرة
سندافع عنها لن نألو بالدم حتى اخر قطرة

هذا كله الى جانب قصيدتها : دعونا ، وافخري يا مصر ، اللتان تمثلان الفتاة المصرية والعربية وقد انطلقت متحررة ، الى الكفاح والسلاح.

والى جانب شعرها الوجداني الثري بالالوان والصور والتجارب الشعرية ، والتي تعبر عنه كما قلنا قصيدة « ايام تمر » تعبيرا قويا من الجانب الفني .

وفي ضجة الحياة والعواطف والصور والالوان تعود الشاعرة الى البحث عن نفسها في قصيدتها « أين هي ؟ » . والى البحث عن الطمأنينة في قصيدة لها بهذا الاسم وتقول منها :

واحيرتي بالشعور آونة وشقوتي بازدحام تفكيري

هذه هي الجوانب العديدة لشعر الشاعرة المصرية الموهوبة الاصيلة « جليلة رضا » في ديوانها « اللحن الثائر » هذا الديوان الجميل الذي يعد من اجمل الدواوين التي ظهرت في مصر ابان الاحداث الماضية.

واظهر خصائص شاعرية جليلة رضا في هذا الديوان : صدق العاطفة ، وقوة التجربة الشعرية ، ومصرية الروح ، وذاتية التعبير .

ويمتاز شعرها بهذه الرمزية الشفافة التي تلف صور الشاعرة في وشي مصنوع لا يعوزه في بعض الاحيان جمال الطبع وروحه . وجليلة من مدرسة الرومانسيين التي تختط في الشعر المصري صورا وأخيلة ومعاني وموسيقى ، فيها الوان من الطرافة احيانا ، واحيانا اخرى تخونهم قوة الروح وسمو الشاعرية ، وجمال التصوير التعبيري .

وقد تاثرت الشاعرة « بناجي » في صوره الشعرية الاصيلة ، كما تاثرت بعض التاثر « برامي » الذي ينتظم الديوان قصيدة نظمتها الشاعرة تمجيدا لفنه .

ويكاد شعر جليلة ان يكون مصريا خالص السمات في مصريته ، مستقل الشخصية ، ذاتي التعبير . تقول الشاعرة في اخر قصيدة من قصائد الديوان ، عنوانها « شعري » ، التي وصفت فيها ديوانها الجديد « اللحن الثائر » تقول :

انه شعري من عامين فوق الدرب يمضي
يعبر الظلمة والنور وآفاقي وارضي
جائعا يقتات من فكري ويروي من شعوري
حاملا معطف بردي ومظلات هجيري

ثم تقول مكملة لصورة رسمتها لشعرها ، هي صورة تلميذ يطوي الدرب حرا يوم عطلة ، تقول :

لا تلوموه اذا اخطأ في السير وضلا
فهو لم يمش على رجع صدى ، بل مستقلا

وبعد ، فنحن امام شاعرة مصرية موهوبة ، تخط في سفر جهاد المرأة العربية الثقافي والادبي والفني صفحات جليلة سوف تخلد بقيمتها الانسانية والفكرية ، وبجمالها التعبيري الفني ، وسوف ترويها الاجيال مع الصفحات التي خطتها عائشة التيمورية ، وملك حفني ناصف ومي ، والتي تخطها جميلة العلايلي ، وصفية ابو شادي ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وسواهن من شاعرات العالم العربي الموهوبات ، ومن اديباتنا المكافحات من امثال : بنت الشاطىء ، وسهير القلماوي وامينة السعيد ، وسلوى الحوماني ووداد سكاكيني ودعد الكيالي .

ان جليلة رضا رجع صدى مصر الشاعرة وهي لحن جديد جميل احب الناس سماعه من فوق منبر « رابطة الادب الحديث » وسيسمعونه دائما فياضا بالقوة والجمال والحنان وسمو التعبير ، لانه من صوت مصر في عهد تمردها وانطلاقتها وطموح شعبها الى المجد ، الى القوة ، الى الحرية والكفاح .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



## في كلمات...

● وضع مجلس الابحاث الطبية البريطاني تقريرا جاء فيه ان التدخين ـ وخصوصا تدخين السجاير ـ يبدو انه السبب الرئيسي في سرطان الرئة . ويشير التقرير الى الزيادة الكبيرة في معدل الوفاة من سرطان الرئة في بريطانيا والبلدان العالمية الاخرى في الاعوام الاخيرة . وذكر انه بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٥ قد تضاعف معدل الوفيات .

● قررت الحكومة البريطانية شن حملة دعاية في بريطانيا ، لتحذير الناس من اخطار السرطان بالتدخين . وهذه هي اول مرة تتبنى فيها حكومة محترمة مثل هذه الحملة ، على اساس علمي لذلك أحدث النبأ ضجة في العالم

وقد استندت الحكومة البريطانية في قرارها الى تقرير وضعته « مجلة الاستقصاء الطبي » بعد دراسات استغرقت عدة سنوات ، وفي ما يلي بعض الحقائق التي اذاعها المجلس :

ـ سرطان الرئة يضرب واحدا بين كل ثمانية مدخنين ، في حين لا يصيب الا واحدا من ٢٠٠ من غير المدخنين .

ـ سرطان الرئة مسؤول عن ٦ بالمئة من جميع الوفيات ، اي بمعدل ١ من ١٨ . ولكن بين الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و٦٤ سنة ، تتصاعد النسبة الى ١ من ٩

ـ في سنة ١٩٥٥ بلغ عدد الرجال الذين ماتوا بسرطان الرئة في انكلترا بين سن الـ٤٥ و٦٤سنة ٨٢٣٢ شخصا، وعدد النساء ١.٨٥

ـ في العام ١٩٥٦ بلغ العدد ذاته ١٥٦١٥ رجلا و٢٥٧٠ امرأة .

ـ اكثر الذين ماتوا بسرطان الرئة كانوا من المدخنين .

ـ ان المجلس يلاحظ هذا التزاوج بين التدخين وتضخم ارقام الوفيات ، ولا يستطيع الا ان يلفت الانظار اليه ، والبحث العلمي لم يكشف أي مبرر له حتى الان الا التدخين ذاته

وقد تولى وكيل وزارة الداخلية البريطانية المستر جون فوغان مورغان تلاوة التقرير امام ممثلي الصحافة واضاف اليه البيان التالي :

« ان الحكومة تشعر ان واجبها هو اطلاع الراي العام على اخر رأي مهني محترم في الموضوع ، لكي يعرف كل مواطن الاخطار التي يتعرض اليها عن طريق التدخين . وبعد ذلك فالمواطن حر في تقدير هذه الاخطار ، وتقرير مسلكه كما يراه مناسبا له » .

● صرح متحدث بلسان صناعة التبغ الاميركية بان التقرير الوارد من لندن والقائل ان التبغ ولا سيما اللفائف ، يسبب سرطان الرئة يحتاج الى دراسة مطولة . واضاف المتحدث بلسان لجنة الابحاث التابعة لصناعة التبغ يقول ان النتائج التي توصل اليها مجلس الابحاث الطبية البريطاني تمثل الاراء المتعلقة بنظرية السبب والنتيجة والتي لم تؤكدها التجارب العلمية والتي ما تزال لغزا علميا

● ظهرت الصحف اللندنية مليئة بالنصائح الموجهة الى البريطانيين بالكف عن التدخين . ومن وسائل العلاج التي عرضتها الصحف ، مضغ النبات المعروف بكبش القرنفل واكل الزنجبيل ، او مسح اللسان بقضيب يحتوي نترات الفضة بعد تناول الطعام .

وقد حدث هبوط في مبيعات التبغ اذ بادر الكثيرون الى شراء العلكة او الحلويات لصد اللهفة الى التدخين . وذكر الكيماويون ان تجارة المواد المضادة للتدخين قد نشطت ، بيد ان بائعي التبغ قالوا بعد حين ان مبيعاتهم عادت الى الارتفاع .

● يقول البروفسور ويندل ستانلي ، العالم الاميركي الفائز بجائزة نوبل ، ان هناك انواعا معينة من الجراثيم سيتم عزلها لاستخدامها في مكافحة مرض السرطان .

ويضيف البروفسور ستانلي قائلا ان انواعا معينة من الجراثيم تهاجم الخلايا السرطانية وتدمرها ، ولهذا فان الخطوة الحاسمة التالية هي عزل الجرثومة التي تقضي على الخلايا الخبيثة دون ان تؤثر على الخلايا السليمة .

وقد كشف البروفسور ويندل امر هذا الاكتشاف العظيم في اجتماع عقد في لينداو بالمانيا الغربية وحضره عدد من الفائزين بجائزة نوبل

● ذكرت الصحف البريطانية والفرنسية ووكالات الانباء العالمية ان رجلا يدعى جون داي وله من العمر ٤٨ عاما كان قد حكم عليه الاطباء بالموت في خلال عام واحد لاصابته بالسرطان الخبيث في معدته . وقبل ان تنتهي المدة المحددة لموته ذهب الى مدينة لورد الفرنسية حيث دعا مريم العذراء لتخليصه من دائه الوبيل القاتل . وحدثت الاعجوبة وشفي الرجل من السرطان وعاد الى لندن اخيرا ليستأنف عمله كالمعتاد . ولم يستطع الاطباء البريطانيون اعطاء أي تفسير علمي لهذا الشفاء العجيب ..

● نجحت لاول مرة في مصر تجربة علاج

---

عدد من السفن العاملة بمحركات ذرية .

ولاميركا اليوم ثلاث غواصات تسير بمفعول الذرة وتوضع التصاميم الان لبناء ١٢ غواصة ذرية اخرى كما انتهى من اعداد التصاميم الهندسية لبناء حاملة طائرات ضخمة حمولتها ٨٥ الف طن، وبذلك تكون اكبر واضخم سفينة من نوعها في العالم مزودة بثمانية محركات ذرية.

ويرى الخبراء المعنيون بامور الملاحة ان الاسطول التجاري الذري المقبل سيشتمل ايضا على سفن لصيد الاسماك تكون في نفس الوقت مصانع عائمة لتوضيب السمك وتعليبه بعد صيده في الحال وشحنه الى الاسواق التجارية راسا من سفينة الصيد . كذلك من المتوقع ايضا ان يشتمل اسطول الغد على سفن خاصة للتنقيب عن البترول في اعماق البحار وعلى سفن ذرية للغطس عندما تسوء الاحوال الجوية . وهنالك اسباب عديدة تدعو شركات صنع السفن الى الاهتمام جديدا باعتماد المحركات الذرية في البواخر الجديدة التي تصنعها اليوم . منها توليد طاقة محركة جبارة من كمية صغيرة الحجم من الوقود الذري كاورانيوم عيار ٢٣٥ ، اذ من الثابت ان رطلا واحدا من هذا النوع من الاورانيوم ( ٤٥٣ غراما ) فيه من الحرارة ما يوازي حرارة ٧٠٠ طن من وقود الزيت .

ثم ان السفن ذات المحركات الذرية تستطيع ان تنقل كميات اكبر من تلك التي تنقلها السفن العادية اليوم وستوفر لها المزيد من السرعة والوقت بالاضافة الى الاقتصاد في النفقات اذ سيكون في مقدورها قطع مسافات طويلة دون حاجة للتوقف في المحطات للتزود وقد راجت دار صناعة السفن في نيويورك وغيرها من الدور الصناعية الاخرى الخاصة بهندسة السفن وصناعتها تشدد على الخصائص التي تميز السفن التي تعمل بمفعول الطاقة الذرية فاوجزتها كما يلي :

ـ ان صغر حجم الوقود الذري المستخدم في السفن يوفر لها فراغا اكبر وحجما يمكن استخدامهما في استيعاب المزيد من الشحونات

ـ ان صغر حجم الوقود الذري يجعله ارخص بالنسبة للوحدة الحرارية من وقود الزيت .

ـ ان صغر حجم المواد الذرية المحركة يمكن السفن الناقلة للركاب من زيادة منافس الهواء. وبالتالي نقل المزيد من الركاب . والمعروف ان عملية تحطيم الذرة ليست عملية احتراق فهي لا تحتاج بالتالي الى الخزين من الهواء ولا الى جهاز العادم .

والفارق العظيم بين سفينة تعمل بالذرة وسفينة عادية اخرى هو ان الاولى تعمل بواسطة فرن ذري بدلا من الزيت والفحم . فالحرارة التي يولدها الفرن المذكور هي التي تستعمل في تأمين البخار الذي يعمل بدوره على تحريك طوربينات السفينة .

الالتهاب السحائي بالاكرومايسين فقد جاء في تقرير مستشفى الحميات بالعباسية في القاهرة عن اعمال المستشفى خلال العام الماضي انه لاول مرة في العالم تمكن المستشفى من علاج حالات الالتهاب السحائي بالاكرومايسين ونجح العلاج كما ان علاج الحمى المالطية اصبح مقطوعا بفضل استعمال الاستربتومايسين مع الاكرومايسين والترامايسين لمدة ٢١ يوما .

● نشرت صحيفتان تصدران في نيويورك نبأ مفاده ان « اقراصا لتحديد النسل » ستباع في جميع انحاء الولايات المتحدة بعد اشهر قليلة بناء على وصفة الاطباء . وقالت الصحيفتان ان هذه الاقراص تباع فعلا في كاليفورنيا بموافقة ادارة الطعام والصحة الاميركية ولكن لاغراض اراحة النساء من الامراض النسائية الاخرى فقط .

● اكدت شركة سيناميد الاميركية : الانباء القائلة ان ست شركات اميركية للعقاقير الطبية قد انتجت لقاحا جديدا بسيط التكاليف لمكافحة وباء الانفلونزا الذي تفشى في اسيا . وقد ذكر ان المصل سيكون متوفرا للاستعمال العام هذه السنة .

● ينعقد في نيوكاسل الاجتماع السنوي لرابطة الطب البريطانية وستبحث فيه طريقة معالجة الحروق التي بدىء بتطبيقها مؤخرا في بغداد اذ كان الدكتور واردیل استاذ الجراحة في كلية بغداد الملكية والدكتور خالد ناجي مساعده والاطباء الاخرون يستخدمون هذه الطريقة التي تتلخص بتعريض الاجزاء المحروقة الى الهواء وهو جاف وحار بصورة خاصة في بغداد وهذا مما يؤدي الى الشفاء السريع دون الم كبير بالاضافة الى انه لا يسبب الالتهاب والتعفن ولا يبقي اي اثر لهذه الحروق . ولقد وجهت دعوة الى الدكتور خالد ناجي الذي هو عضو في فرع رابطة الطب البريطانية في الشرق الاوسط لكي يلقي محاضرة في الاجتماع المذكور . ويعقب المحاضرة نقاش يرجو الدكتور ناجي ان يؤدي الى اعتراف دولي رسمي بهذه الطريقة العلاجية المتبعة في بغداد .

● لن يطول الوقت قبل ان يتمكن الذين يضطرون الى خلع اسنانهم الطبيعية من ان يستعيضوا عنها باسنان اصطناعية (وجبات) من نوع جديد تدوم طيلة العمر وذلك بعد اجراء عمليتين جراحيتين في افواههم . ففي العملية الاولى ياخذ الجراح طبعة ( قالب ) لعظمي الفكين وفي العملية الثانية التي تجري بعد مضي اسبوعين يوضع على كل من المظمين قطعة من معدن خاص يغرس تحت اللثة . وعلى هاتين القطعتين المعدنيتين مسامير مخروطية الشكل تثبت عليها الاسنان الاصطناعية وقد قام مؤخرا رئيس الجمعية البريطانية للاسنان المغروسة بعرض شريط سينمائي على عدد من اطباء الاسنان بين فيه تفاصيل هذه الطريقة الحديثة والعمليتين المشار اليهما .

● اعلنت مختبرات ارمر في شيكاغو انها اكتشفت عقارا من شأنه ان يخفض كميات الكوليستيرول او الزيت القريب الموجود في الدم . ويدعى العقار الجديد اروفاك وهو يستخرج من نبات العصفوران الذي ينمو في افريقيا الشمالية والهند والشرق الاوسط . وتقول مختبرات ارمر ان الاشخاص الذين يعانون من امراض القلب والسكري وغيرها لديهم كميات من الكوليستيرول اكثر من تلك التي تحتوي عليها دماء الاشخاص الذين يتمتعون بصحة جيدة .

● توصلت وزارة الصحة الاميركية الى ابتكار طبي جديد قد يكون فيه القضاء التام على الملاريا في جميع انحاء العالم . وهذا الابتكار عبارة عن ملح طعام عادي ممزوج بعقارين من اشد العقاقير المجربة فتكا في مكافحة الملاريا. وقد ثبت فعالية هذا الملح الطبي الجديد بعد تجارب اجرتها الوزارة على نطاق واسع .

والعقاران المضافان الى الملح العادي هما « دار ابريم » وال « كلورو كوين » ، وقد اثبتت التجارب فعاليتهما في مكافحة الملاريا والقضاء عليها مائة بالمائة . وتناول هذين العقارين بصورة مستديمة يقي عادة من الاصابة بهذا المرض .

اما كمية الملح الطبي التي يحتاجها الانسان لوقايته من الملاريا فلا تزيد عن كمية الملح التي يستعملها عادة في اعداد طعامه اليومي . ولذا يمكن لسكان المناطق الموبوءة بالملاريا احلاله محل الملح العادي دون حاجة لزيادة المقدار او تناول جرعات خاصة منه . وقد اثبتت التجارب ان تناول الملح الطبي بهذه الصورة يقي من الاصابة بالملاريا مهما كان عدد المرات التي اصيب بها الشخص في السابق ، او مهما تعرض للسع بعوض الملاريا بعد ذلك !

● توضع الخطط الان لنقل احد الاطباء على ارتفاع ١٠٥ الاف قدم فوق سطح الارض هذا الصيف في عملية دراسية يقوم بها سلاح الطيران الاميركي لاختبار تأثير رحلة الفضاء على المخلوقات البشرية . وسينقل الطبيب في احد البالونات ويظل محلقا في الجو مدة ٢٤ ساعة وهي اطول مدة ظل فيها الانسان محلقا على هذا الارتفاع .

● اعلنت وكالة تاس ان السيدة ليقوف بوجاك المولودة عام ١٨٠٣ احتفلت بعيد مولدها الـ ١٥٤ وقد صرحت للصحفيين بانها تجهل اسباب طول عمرها . ولكنها اوضحت انها لم تأكل اللحم في حياتها وانها تنام عند منتصف الليل وتستيقظ الساعة السادسة صباحا . وان عمرها لا يحول دون انصرافها الى مشاغلها العديدة وانجاز اعمالها بنفسها وهي تتمتع بذاكرة مدهشة ولا يزال الشاعر بوشكين والكتاب تولستري وتشيخوف ونكراسوف ماثلين في ذهنها . ولها شقيقان الاول عمره ١٢٨ سنة والثاني ١٢٢ سنة وشقيقة عمرها ١١٢ سنة .

● ادت الجهود المشتركة التي يقوم بها علماء من المملكة المتحدة واسوج والولايات المتحدة الى اكتشاف عنصر جديد يلاحظ لاول مرة وهو العنصر ١٠٢ وليس لم من اسم لحد الان . وقد اعلن عن هذا الاكتشاف في لندن بواسطة لجنة الطاقة الذرية . اما العلماء البريطانيون الذين ساهموا في هذا الاكتشاف فهم جون ميلستد الكيمائي والن بيدل الاختصاصي في علم الكيمياء ايضا . وقال ناطق بلسان لجنة الطاقة الذرية ان الاكتشاف الجديد يشكل قسما اساسيا لمعرفة تركيب الذرة كما انه يثبت العديد من النظريات حول هذا الموضوع .

● يستخدم علماء الولايات المتحدة الكوبالت المشع في ابحاثهم التي يجرونها على القطن . ففي السنوات القلائل الاخيرة تمكن الباحثون الزراعيون من زيادة استعمالات القطن والحاجة اليه بتعديل تركيب مادته السليولوزية كيماويا وطبيعيا . ويعتقد العلماء الان ان الكوبالت المشع المعروف بالكوبالت ٦٠ سيمكنهم من معرفة ماهية تاثير هذه التعديلات على الخواص الطبيعية للقطن .

● صرح الدكتور وارن ، المندوب الاميركي

في اللجنة العلمية لدراسة أثر الاشعاعات الذرية التابعة للامم المتحدة ، امام لجنةمشتركة في مجلس الشيوخ الاميركي تبحث في اثر الغبار الذري المتساقط ، ان استمرار هذه الابحاث سيؤدي خلال بضع سنوات الى « معلومات قاطعة » حول اثر هذه الاشعاعات.

وقد اوصى وارن الولايات المتحدة بانتستمر في تجاربها للاسلحة الذرية على « نطاق معقول » ريثما تنجلي الدراسات العلمية لاثر الاشعاعات عن نتيجة حاسمة . وقال ان الولايات المتحدة لا عذر لها في تعريضسلامتها وسلامة العالم الحر للخطر بتوقفها عن تجربة اسلحتها النووية .

● ابلغ علماء الذرة الاميركيون الرئيس ايزنهاور ان في استطاعة الولايات المتحدة انتاج « اسلحة ذرية نظيفة » تكاد تكون خالية من الغبار الذري .

واكد العلماء ان اخطار الغبار الذري الناجم عن تجارب الاسلحة النووية الاميركية اصبحت الان بسيطة « لا تكاد تذكر » . وقد رافق العلماء الذين اجتمعوا بالرئيس ايزنهاور الاميرال لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية الذي صرح في مؤتمر صحفي عقب الاجتماع انه امكن احراز تقدم كبير منذ الخامس من يونيو عندما اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة خفضت كمية الغبار الذري الناجم عن تجارب القنابل الذرية الى حوالي تسعة اعشار المقدار الذي كانت عليه فيتجارب الاسلحة النووية السابقة وان تخفيض كميات الغبار الذري تجاوز الان تلك النسبة .

وقال العلماء انهم اطلعوا الرئيس ايزنهاور على التقدم الذي احرزوه في اعمالهم وعن خططهم فيما يتعلق بالاعمال المقبلة .

● انفجر في ٥ يوليو الماضي اقوى سلاح ذري فجرته الولايات المتحدة وكانت كتيبة من رجال البحرية الامريكية مختبئين في مراكزهم على مسافة ٥٧٠٠ ياردة من مكان الانفجار .

وكانت قوة السلاح الذري قد قدرتبصورة غير رسمية بانها تتراوح بين ثلاثة اضعاف واربعة اضعاف قوة القنبلتين الذريتين اللتين دمرتا هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين في الحرب العالمية الثانية .

وحالما وقع الانفجار هبت موجة من الهواء الساخن جدا شعر بها على بعد ١٣ ميلا . وقد تلت ذلك سلسلة من الاهتزازات والدوي المفزع الذي تردد صداه عبر صحارى نيفادا الجنوبية .

وكان الانفجار اعنف ما اجرته الولايات المتحدة في تاريخ انفجاراتها التجريبية الاحدى والخمسين . وكانت الكرة النارية التي انبعثت من الانفجار ذات لون اخضر يميل الى الحمرة عندما انطلقت من خلال الغيوم السوداءالداكنة التي تصاعدت الى الاجواء بسرعة متزايدة .

وقد وقعت بعض الانهيارات في خنادق الدخان حول جذع الفطر وبلغ من امتداد الانفجار ان التهمت النار الاعشاب الكائنة على بعد بضعة اميال . وقد تصاعد في الجو بعد الانفجار عامود ضخم من الدخان علىشكل الفطر وكان اسود اللون عند قاعدته ومائلا الى اللونين الرمادي والبني عند الراس . وقد ظل عامود الدخان قائما في الفضاء لعدة دقائق ثم اخذ يتلاشى تدريجيا عندما راحت اضواء الفجر تبدد ظلمة السماء .

وقد وقعت بعض الانهيارات في خنادق الجنود من شدة الاهتزاز المتولد عن الانفجار الا انه لم يكن خطيرا . وقد كان من جرائه ان دفن احد الجنود بين الاتربة واستغرق انتشاله مدة ١٥ دقيقة ولم يكن مصابا باذى. وقالت لجنة الطاقة الذرية الاميركية انالغبار الذري المتولد عن الانفجار سيكون ضئيلا .

● أعلن الاتحاد السوفياتي ان لديه المعرفة والمقدرة الفنيتين على انتاج كهرباء ذرية بالنفقات ذاتها لانتاج الكهرباء من المصانع العاملة بالفحم . وقد ذكر ذلك في صحيفة « مساء موسكو » التي قالت انه يجري بناء عدد من محطات الكهرباء الذرية في روسيا ، في مناطق ستراتيجية لا يمكن الحصول فيها على الوقود العاديالا بصعوبة او تكاليفباهظة

ولم يذكر المقال عدد المحطات التي تبنى لانتاج الكهرباء الذرية ولكنه تباهى بان العلماء السوفياتيين صمموا اجهزة تستطيع ان تعطي روسيا كهرباء ذرية بتكاليف توازي تكاليف المصانع ، العاملة بالفحم . وكان واحد من كبار العلماء الذريين السوفياتيين السيد كورشاتوف ، قد تنبأ في العام الماضي بأن اول محطة كهرباء ذرية كبيرة في روسيا ستبدأ العمل في اواخر سنة ١٩٥٨ .

● انتهت في روما اعمال المؤتمر العالمي الرابع للفيزياء النووية والالكترون واغلق المعرض العالمي للمنجزات في ميداناستخدام الطاقة الذرية لاغراض سلمية . وتشهدالصحف الايطالية بالنجاح الكبير الذي احرزه المؤتمر الذي اشترك فيه علماء من مختلف بلدان العالم وقد نوه السناتور البروفسور فركاسيو رئيس اللجنة الوطنية للابحاث النووية ، نوه على وجه الخصوص باسهام العلماءالسوفياتيين في اعمال المؤتمر . وقد اعلن ان اشتراك الاتحاد السوفياتي في المؤتمر والمعرض كان له اهمية خاصة .

● تناول العالم الاميركي وليم شيروود الاخصائي في ابحاث السرطان ، كمية كبيرة من السم انتحر بها تجنبا للمثول امام لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاط المعادي لاميركا .

وكان العالم وليم شيروود في الواحدةوالاربعين من العمر وهو اب لاربعة اولاد ، وملحقابجامعة ستنفورد حيث كان يقوم بابحاث بفضل معونة خاصة من جمعية مكافحة السرطان الاميركية .

وكان زملاؤه يعتبرونه بحاثة لامعا وكان يعتقد انه اكتشف علاقة بين مرض السرطان وبعض امراض القلب .

وقد أثار حادث انتحار الدكتور شيروود استياء الرأي العام الامريكي واستنكاره . وقال زملاء العالم ان العالم حرم من ثمار الاكتشاف العظيم في مكافحة السرطان .

● توفي في اكسفورد اللورد تشيرويل عالم الذرةالاول في بريطانيا عن واحد وسبعينعاما. وقد تولى اللورد تشيرويل في الحرب العالمية الثانية منصب المساعد الشخصي للسير ونستون تشرشل وكان يسدي النصائح حول الكثير من المسائل العلمية . وقد داهمه عارض في غرفته بكلية كرايست تشيرش وتوفى بعد ذلك بوقت قصير .

● حدث في اول شهر يوليو وهو موعد بداية السنة الجغرافية الطبيعية انفجار في الشمس وكان من مظاهره بزوغ فجر قطبي هائل واضطرابات جوية شديدة شوشت على الاتصالات اللاسلكية في جميع انحاء العالم .

فقد انطلقت من صفحة قرص الشمس كتلة ضخمة من اللهب مكونة من ذرات شمسية مشعة فاذا بالمراصد التي كانت على اهبة الاستعداد لافتتاح السنة الجغرافية الطبيعية تدير كل ما لديها من اجهزة للتحقق منكتلة اللهب الشمسية هذه التي سببتالاضطرابات الجوية .

وكان اول من شاهد كتلة اللهب الشمسية العلماء السوفيات . ومن موسكو نقل نبأ كتلة اللهب بسرعة البرق الى ٢٠٠٠ محطة من المحطات المشتركة في السنة الجغرافية الطبيعية من القطب الشمالي حتى القطب الجنوبي .

● بدأ اسطول الولايات المتحدة اطلاق اول سلسلة له من الصواريخ في الفضاء الخارجي قصد دراسة الانفجارات الهيدروجينية في الشمس ، كان ذلك ايذانا ببدء السنة الجغرافية الطبيعية الدولية ، التي ستدوم ١٨ شهرا ويشترك فيها علماء ٦٢ دولة للكشف عن اسرار الارض والجو والبحار . وهذه الصواريخ المجهزة بكاشفات ذات اشعة ما فوق البنفسجية واشعة سينية ، ستقيسكثافة الاشعاعات الصادرة عن اللهب الشمسية وانفجارات الطاقة الشمسية الهائلة التي

تشوش على الموجات القصيرة ومحطات الراديو كما انها تنقل التسجيلات البعيدة المدى الى الارض

● شوهد انفجار هائل اخر وقع في الشمس الاربعاء ٣ يوليو . وقد وصف العلماء هذا الانفجار بانه « من اعنف الانفجارات التي شوهدت حتى الان .» وقد لاحظ وقوع الانفجار احد المراصد السويدية في جزيرة كابري ، فسارع بنقل الخبر الى المركز الاوروبي للسنة الجغرافية الطبيعية الدولية في هولندا . وذكر الموظفون هناك ان اشعاعات الشمس تلهب الارض بعواصف مغناطيسية وكهربائية محدثة فيها تشويشا كبيرا على الاتصالات اللاسلكية .

وقد نقل نبأ الانفجار عبر المحيط الاطلسي الى مقر رئاسة السنة الجغرافية الطبيعية الدولية في الولايات المتحدة على مقربة من واشنطن .

● اعلن مرصد اثينا انه سجل انفجارا ثالثا هائلا على الطرف الجنوبي الغربي من سطح الشمس عند الساعة الثامنة صباح يوم الجمعة ٥ يوليو .

● ارتفع صاروخ علمي جبار الى علوقياسي بلغ ١٦٠ ميلا — ٢٥٦ كيلو مترا عندما باشرت الولايات المتحدة تجاربها في مانيتوبا في كندا المتعلقة بالسنة الجغرافية الطبيعية الدولية . ويبلغ طول الصاروخ سبعة امتار وهو يحمل الات صنعت من اجل احصاء التبدلات في الجو وتنقل المعلومات الى الارض بصورة الية بواسطة اللاسلكي .

● تحطم الصاروخ الثاني من سلسلة الصواريخ التي تطلقها الولايات المتحدة كجزء من برنامج السنة الجغرافية الطبيعية . فقد اطلق الصاروخ من برج مغلق بمعدن الالومنيوم يبلغ ارتفاعه ١٢٥ قدما في قاعدة فورت تشرشل العسكرية الواقعة على شواطئ خليج هدسن . وصرح الكولونيل سمت الضابط المسؤول عن اطلاق الصاروخ بقوله : « لم يكن طيران الصاروخ ناجحا » . وقد بدا واضحا ان النار شبت في الصاروخ بعد اطلاقه بحوالي ٢٥ ثانية فقط وقال سمث ان التحقيق يجري الان لمعرفة سبب الحادث .

● صرح الدكتور جورج هاغن ، مدير مشروع الكوكب الصناعي الاميركي ، بان الكوكب الصناعي الاول الذي ستطلقه الولايات المتحدة خلال السنة الجيوفيزية الدولية ، ربما ظل محلقا في الفضاء اسبوعين . واوضح الدكتور هاغن ان الكوكب الصناعي ، وهو كرة مصنوعة من المعدن الرقيق ولا يزيد قطرها عن ٢٠ بوصة ويبلغ وزنها عشرة كيلوغرامات تقريبا سيكون من الصغر بحيث يتطلب الامر استعمال المنظار وقال الدكتور هاغن انه لن يكون بالامكان المكبر لرؤية جزء بسيط فقط منه .

رؤية الجسم الصغير الطائر بسهولة الا عند الغسق او قبل الفجر بوقت قصير . ومضى يقول ان الكرة الطائرة ستجتاز اثناء تحليقها في الفضاء باتجاه فلكها الواقع على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠ و١٥٠٠ ميل ، اجواء تنخفض فيها درجة الحرارة الى ٨٤ سنتغراد تحت الصفر ، ثم ترتفع الى ما فوق حرارة الغرفة وتنخفض ثانية الى ما تحت الصفر واخيرا تحلق الى حوالي ١٤٣٧١ درجة سنتغراد . واضاف قائلا ان الاجزاء الثلاثة من الصاروخ الذي سيدفع بالكوكب الصناعي الى الفضاء هي الان على وشك الاكتمال .

● لعل الشاب لاثروب دنسلو هو اول طالب بنجاح في نيل شهادة الهندسة الميكانيكية بخبزه بسكوتا . ودنسلو طالب بمعهد بروكلن بوليتكنيك في نيويورك . وقد خبز البسكوت على فرن شمسي من اختراعه وصنعه ليثبت عملية اختراعه ومطابقته للنظريات العلمية .

ومما يذكر ان معهد بروكلن يشترط على طلبته تقديم مشروعات تطبق ما تعلموه نظريا بدلا من الامتحانات النهائية المعتادة .

● جاء من ميونيخ في المانيا الغربية ان مهندسا المانيا يسعى الان لاختراع نظارات تلفيزيونية مثلثة الاتجاهات . وقال مسؤول في الشركة ان هذه النظارات يمكن بيعها بسعر يتراوح بين ٢٥ و٤٠ ماركا اي بما يعادل ٣ جنيهات ونصف . وستمكن هذه النظارات حاملها من مشاهدة صور التلفيزيون طولا وعرضا وعمقا .

● يسر السيدات اللواتي يتقن حياكة الكنزات الصوفية سماع خبر اكتشاف نوع جديد من الغزل بطيء التلف ، ناعم اللمس ، سهل الغسل ولا يتغير شكل ما يحاك منه وحجمه بعد الغسل . والسر في ذلك ان الصوف المستعمل مخلوط بخيطان من مادة الترلين بنسبة الثلث . والجدير بالذكر ان وجود الترلين لا يؤثر في ميزة الصوف من حيث الدفء بل يساعد على ابعاد العث عنه .

● اضيئت اخيرا في مختبر شركة جنرال الكتريك للابحاث في شنكتادي بولاية نيويورك لمبة كهربائية اختبارية يتوقع ان تعمر مائة سنة على الاقل قبل ان تحترق وهذه اللمبة — باستثناء انواع المواد الجديدة المصنوعة منها — هي صورة طبق الاصل من اول لمبة ظلت تضيء مدة ٤٠ ساعة في عام ١٨٧٩ عملية لتوماس اديسون في عهد الكهرباء الحديث وهناك مصدر خاص للطاقة الكهربائية في المختبر يؤمن دوام اضاءة هذه اللمبة طيلة المدة المتوقعة لها وهي مائة سنة ، على ان الخبراء لا ينصحون بعرضها في الاسواق للاستعمال العام لانها تحتاج الى كمية كبيرة من الطاقة الكهربائية لتصبح من النوع التجاري

● ان من احدث الاجهزة الالكترونية المستعملة في المكاتب آلة من صنع بريطانيا تستطيع ان « تقرأ » في الثانية الواحدة ما يزيد على ٥٠٠ حرف او رقم مطبوع ومن ثم تنقل المعلومات التي تقرأها الى جهاز ثان يقوم بتنسيقها وتسجيلها حسب مواضيع معينة وتجمع الارقام الواردة تحت كل موضوع كل ذلك بمدة ثوان قليلة .

● اعلن السلاح الجوي الاميركي عن تقدم علماء السلاح في ابتكار طائرة للابحاث تسير بقوة الصواريخ وتستطيع الطيران بسرعة اكبر وعلى ارتفاع اعلى مما تستطيعه اية طائرة اخرى يقودها انسان . وقد شرع في بناء الطائرة المسماة « اكس ١٥ » في مصنع شركة نورث اميركان للطيران بلوس انجلس . وتقول مصادر غير رسمية ان سرعة الطائرة الجديدة قد تصل الى ٤٠٠٠ ميل في الساعة على ارتفاع ٣٨ ميلا .

● اوصت شركة تجارية المانية مؤخرا احد معامل بريطانيا على ١٧٠٠٠ آلة من نوع جديد لغسل الصحون تستطيع غسل جميع الاواني المستعملة لتحضير وجبة طعام لعائلة كبيرة وتنشيفها خلال اربع دقائق أي بمعدل ٦٠٠ صحن في الساعة الواحدة .

● عرض ديزني لاند في كاليفورنيا منزلا مصنوعا كله من البلاستيك وكلف مليون دولار من حيث التجارب والبناء . وربما اصبح هذا المنزل بيت المستقبل فقد اثار اعجاب واهتمام الشباب وصناعة البناء .

وقد وضعت هندسة البيت شركة مونسانتو الكيماوية كجزء من عملية تحسينية تهدف الى اظهار الاشياء التي يمكن عملها بواسطة البلاستيك . والبيت مصنوع من اجزاء مصهورة من البلاستيك المعزز بالالياف الزجاجية وتقدر شركة مونسانتو ان هذا البيت يمكن صنعه بكميات كبيرة باثمان تتراوح بين ١٥ الف و٣٠ الف دولار .

● اعلنت الحكومة البريطانية انها تعيد النظر في بناء موانئها حتى تتسع لاسطول ناقلات البترول الضخمة الذي يقترح انشاؤه لنقل البترول من الشرق الاوسط دون استخدام قناة السويس . وتستطيع الناقلات الضخمة ، التي تتسع لمائة الف طن القيام بالرحلة حول رأس الرجاء الصالح بتكاليف لا تزيد عن تكاليف الناقلات العادية التي تعبر قناة السويس .

● لا شك في ان طهي الطعام بالطرق المعتادة يفقده الكثير من الفيتامينات والمواد المغذية الاخرى لذلك اخترعت شركة بريطانية نوعا جديدا من المواقد والافران تستخدم الاشعة دون الحمراء بدلا من الغاز او البترول او « الدفايات » الكهربائية . وبما ان الاشعة هذه لا تنتج الحرارة الا اذا اخترقت جسما ما فعليه يتم طبخ الطعام من الداخل الى الخارج على عكس ما يجري عادة حيث تتمركز الحرارة على السطح الخارجي فقط . وعلاوة على المحافظة على المواد المغذية في الطعام فان هذه المواقد والافران تختصر الوقت المطلوب للطهي بحيث يستغرق طبخ اللحم مثلا دقيقة واحدة او دقيقتين فقط ولا يستوجب استعمال الدهن .

● تمكنت مختبرات الاسطول الاميركي من استحداث بطارية صغيرة الحجم يمكن تعبئتها بحيث تستطيع العمل لعدة سنوات . ويمكن تعبئة هذه البطارية مرات غير معدودة .ومن مزاياها الاخرى انه يمكن خزنها لفترة طويلة وهي غير مشحونة . وسيستفاد من هذه البطارية في اجهزة تحسين السمع وفي الراديوات واجهزة الاتصال اللاسلكية في المنزل او المكتب .

● لعل القليلين من سكان الاقطار العربية يعلمون ان تونس هي ثاني بلد في العالم في انتاج الفوسفات ، وان في تونس ٣٠ مليون شجرة زيتون ، وان انتاجها من القمح يربو عن خمسة ملايين هكتار ، وانها ثالث قطر في العالم في زراعة النخيل أي بعد العراق والجزائر ، وانها خامس بلد في العالم في انتاج الاسماك المحفوظة ، وثامن بلد في العالم في انتاج العنب ومشتقاته .

● حلت هولندة مشكلة النقليات في مدينة امستردام باستعمال سيارات ركاب كبيرة جديدة من صنع بريطانيا تتسع ل ١٥٠ راكبا. وتتألف كل من هذه السيارات من عربتين متصلتين احداهما بالاخرى بممر كما تتصل عربات القطار حيث يتمكن الراكب من الصعود الى العربة الاولى والنزول من الثانية مارا من نقطة الاتصال . وبهذا تمكنت بلدية امستردام من الاستعاضة عن كل سيارتين عاديتين بسيارة واحدة مما أدى الى التوفير من عدد السواقين ونفقات الوقود .

● لا يختلف اثنان على ان الكهرباء هي أهم اكتشاف اتى به الانسان واكثرها فائدة للجنس البشري . ولولا الكهرباء لما تم هذا التقدم الهائل في جميع ميادين العلم والصناعة ولحرمنا من معظم الادوات المستعملة في بيوتنا اليوم كالبرادات والمراوح والراديو الخ . ولا ينحصر استعمال الكهرباء في الصناعة فقط بل نرى العلماء دوما يكتشفون فوائد جديدة لها لم تكن بالبال . ومن احدث هذه الاكتشافات طريقة ابتكرها عالم انكليزي تساعد علماء الاثار على التأكد مما اذا كانت هنالك آثار تاريخية تحت الارض في محل ما دون اللجوء الى اجراء الحفريات . فبقياس مقاومة التربة لتيار كهربائي يتمكن العلماء الان ليس فقط من التأكد من وجود الاثار بل من معرفة عمقها تحت سطح الارض ايضا .

● انتخب اخيرا دكتور د.ن واديا العالم الجيولوجي الهندي الكبير الذي كانت حكومة الهند قد اعارته للحكومة المصرية ، انتخب زميلا بالجمعية الملكية وهي اكبر هيئة علمية بريطانية .

وقد اشترك اخيرا دكتور واديا ، الذي يبلغ من العمر ٧٣ عاما ، في الكشف عن المعادن المشعة في الهند التي يعتقد انها اكبر كميات من نوعها في العالم . وهو مؤلف لعدة كتب في الجيولوجيا ـ علم طبقات الارض ـ واجرى ابحاثا قيمة عن تكوين جبال الهيمالايا .

● اذاعت وكالة « تاس » السوفياتية ان سلطات الاثار اكتشفت مقبرة « اللافادين » التي انشئت في عهد المغول . وقد اكتشفت بها كتابات عربية وفارسية ترجع الى القرن الرابع عشر ووجد في جامع جوما ٢٠٠ عمود صنعها فنانون مهرة ويرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر .

● جرى في مؤتمر فريد عقد في اريزونا تبادل في الاراء بين العلماء البيولوجيين والعلماء الفلكيين حول امكانية توفر الاسباب المقومة للحياة في الكواكب كما هو الحال على الارض . وقد عرض العلماء الفلكيون امثال الدكتور ادوان بولفوس من مرصد ميدون الواقع على مقربة من باريس صورا فوتوغرافية لكوكب المريخ تظهر ان الكوكب يمر كالارض في دوره من الربيع والصيف والخريف والشتاء كل عام . ويحاول العلماء اكتشاف طبيعة المناطق المظلمة التي تظهر في الربيع والصيف. وقد روى كثير من العلماء استنتاجاتهم حول احتمال وجود المخلوقات الصغيرة في المريخ .

● اكتشف هرم جديد في دهشور بمصر يبلغ طول ضلع قاعدته الباقية ٥٠ مترا وفي داخله سرداب منحدر عمقه ١٥ مترا يؤدي الى ٣ حجرات لم تعرف بعد محتوياتها وحجرة كبيرة للدفن بها تابوت ضخم وهو منحوت في الصخر وطوله ثلاثة امتار ولم يرفع غطاؤه عنه ولكن به ثقبا جانبيا قديما امكن بواسطته معرفة ما فيه وهو بعض الاواني المخصصة لحفظ الاحشاء . وقد وجد منقوشا اسم باني الهرم اميني عامو ملك الوجه القبلي وهو من ملوك الهكسوس في الاسرة الثالثة عشرة .

● يحرك اليعسوب جناحيه ١٦٠٠ مرة في الدقيقة اثناء طيرانه . اما الدبور فيحرك جناحيه اكثر من ٦ الاف مرة في الدقيقة . بينما تربو حركة جناحي ذبابة المنزل على ٢٠ الف مرة في الدقيقة . وقد حسب العلماء هذه الارقام بمقارنة درجة طنين الحشرة بواسطة « الشوكات الرنانة » ذات الاهتزازات المعلومة .




## اسكندر شلفون كما عرفته

●

عالم من اعلامنا الخالدين ، فمهما كتبنا عنه او تحدثنا ، لصعب علينا ان نفيهحقه ونظهر مقامه الادبي والثقافي والموسيقي. على انني سأتحدث عما اعرفه عنه وما قرأته ، وما حدثني به هو شخصيا ، كل ما ركن الى جانبي للراحة من اعماله ، وهي احب الساعات اليه ، كما أكد لي ذلك واقسم ، بل ان الكثيرين من اصدقائنا كانوا يعرفون هذه الحقيقة ، لانه احبني ...

احبني كاي رجل له قلب يشعر بانه في حاجة الى انسان يريد ان يركن او يتحدث اليه او يحبه ، احبني كما احب موسيقاه ، واشعاره ، وسعادته ، وكتبه، والليل والنهار والشمس والاقمار ، احبني حب فنان لفنانة ، حب الاديب لكتابه ، والشاعر لاشعاره ولذا فما اكتبه عنه هو الصدق الكامل والحقيقة الصرف .

ولد اسكندر شلفون سنة ١٨٨٦ م وقد كان والده بطرس الشلفون من كبار رجال الموسيقى ، وكان اسكندر في الخامسة من عمره عندما آنس والده فيه المواهب الموسيقية، فعلمه اصولها وقواعدها ، فنشأ موسيقيا بالفطرة والتربية ، وكان تلميذا ناجحا في كلية الفرير( بالخرنفش بمصر ) ومن سن التاسعة بدأ يربح الجوائز الموسيقيةعلى عزفه الممتاز على الكمان ، وقد اهداه فريد باشا بابازغلى كمانجه ثمينة دليلا على تفوقهوتقديرا لهذا الفنان الصغير .

وكان الكاتب الكبير الاستاذ جورج طنوس صاحب « المنبر » سابقا قد انشأ في سنة ١٩٠١ جمعية للتمثيل باسم ( مجتمع التمثيل العصري ) فارتبط واسكندر وهو في السابعة عشرة من عمره ، واخذه ملحنا للرواياتفيها وسعلما لتلاميذها ، وفيذاك الوقت فبدأ يدون الحان الشيخ سلامه حجازي ، بالعلامات الموسيقية ( النوته ) وعندئذ تدرج شيئا في العلوم الموسيقية وفهم قواعدها واسرارها ، ففتح لنفسه مدرسة اسماها ( روضة البلابل ) فخلقت له طائفة من الحساد تحاربه حربا لا هوادة فيها ، وهو صامد لا يلين . وقد قدم بواسطة روضة البلابل لمصر وللعالم العربي خدمة كبرىفي قواعد الموسيقى وانظمتها ، وله فيها مباحث علمية فنية هامة ، ولا تزالمجلته تشهد على صحة قولنا وعلى جهاده في سبيل الفن الذي حمل لواء مشعله يستضيء به كل فنان موسيقي ، وعلى تلك الاراء والابحاث التي تحدونا الى الاقرار لهبسعة الاطلاع والمعرفة، وتبين كيف خدم الفنبكل ما اوتي من علم واخلاص وتضحية .

فقد كان اديبا كبيرا وشاعرا مجيدا ، لهفي الادب والشعر مؤلفات كثيرة ، منها الرواية التمثيلية الكبرى ( السبايا ) التي الفها شعرا ولحنها ورتب فصولها ومشاهدها بمهارة ودقة وجمال ، وقد نقل الى العربية الكثير من القصص الاجنبية المفيدة .

اما منظوماته الشعرية وتلاحينه الموسيقية فاكثر من ان تحصى . وقد نشرالكثير منها في مجلته ( روضة البلابل ) التي عاشت ما يزيد على الثماني سنوات ، ادخر فيها من العلوم الموسيقية والقواعد والانظمة الفنية ما عبر عن شعوره الاكيد الاخلاص لفنه ،وترجم حياة كبار الموسيقيين في ابحاث تاريخية موسيقية لم يسبق لاحد ان نشرها او بحثها سواه ، فان دلت تآليفه الموسيقية والادبية على شيء،فعلى انهحجة تفهم الاصول والقواعد، ومرجع لمعرفة اسرارها وحل رموزها . فستظل تعاليمه ينبوعا يغرف منها الموسيقيون فيستقون من موردها الصافي ، ويختلس السارقون فيأخذون منها المعلومات ويدعونها من ابتكارهم وتآليفهم كما حدث في مجلة ( المعهد الملكي في مصر ) اذ بعث حضرة خليل افندي رئيس جمعية انصار الموسيقى العربية بالاسكندرية بمقال لتلك المجلة عنوانه ( السلم الموسيقي العربي ) وهو بحث قيم لعلامتنا اسكندر شلفون . مع ذلك فقد وقعه خليل افندي المصري بامضائه دون حياء او خوف ، فلم تلبث المجلة بعد ١٧ يوما ان اكتشفت ان هذا المقال منقول بنصه عن عدد من مجلة مصر الحديثة المصورة الصادر في ١٨ابريل سنة ١٩٢١ بعنوان ( عظمة الموسيقى العربية باسرارها الجميلة ) فردت عليه المجلة بعد ان تبين لها ذلك بكلمة انحت فيها باللائمة على السارق وامتدحت صاحب المقال الاصيل .

ومما قالته في ردها : لقد ابتليت الموسيقى باحد هؤلاء الادعياء المتفقهينان سطا على مقال قيم للموسيقار الكبير المرحوماسكندر شلفون ، منشور بالعدد العاشر من السنة الثانية من مجلة مصر الحديثة ...

الى ان قالت : ومن عجيب امر هذا المغير على تراث الموتى من علماء الفن واساطينهم ان يمهر ذلك المقال المسروق بهذاالتوقيع ( خليل المصري رئيس جمعية انصار الموسيقى العربية)

ومن مآثر المرحوم اسكندر شلفون انهابتكر طريقة جديدة لتدوين العلامات الموسيقية في الاحرف الابجدية العربية لم يسبقه اليها أحد ، ونشرها في مجلته وهي طريقة ممتازة في البساطة والسهولة ، وصالحة للاستعمال، والتعميم في اقطار العالم العربي .

وكان مديرا فنيا لشركة كولومبيا ، فسجل اسطوانات كثيرة باسم اسكندر الكمنجاتي ، ولحن مقطوعات كثيرة باسماء مستعارة منها ( صاحب الروضتين ) و ( كردانس )، وغيرها .

وكان عازفا ماهرا على العود ، والقانون ، والكمانجه ، والبيانو ، وقد ترجم دائرةالمعارف الموسيقية الافرنسية للاستاذ ( جول دورانيت ) الى العربية وعلق عليها الحواشي والهوامش، واصلح ونقحما زاد ومانقص ، وبعثبتصحيحها الى المعهد الافرنسي ، فوافق عليها الاستاذ ( البير لافينيال ) عضو المجلس العالي للتعليم في المعهد الموسيقي الافرنسي .

وكان رحمه الله كثير البحث والمطالعة ، فتوصل الى ما لم يصل اليه احد من الموسيقيين العرب . فدرس جميع ما قيل ونشر في الموسيقى قديما وحديثا . وطالع الكثير من كتبها وتواريخها . وجمع كل ما كتبه المستشرقون الباحثون في الموسيقى العربية او الشرقية بوجه عام امثال فيتيس وجيفارت ودانيالودي كورداري وكيزويتر وكوزجارتن وسواهم من العلماء المستشرقينومن تونس البارون ديرلانجيه ، فقد ساعده في ترجمة كتاب الفارابي القسم المختص منه بالموسيقى ، ومن العرب ابن سينا والاغاني وغيرهم ، ووضع سنة ١٩٢٢ تقريرا في الموسيقى المصرية ورفعه الى معالي وزير المعارف مصطفى ماهر لادماجه في نظامالتعليم في المدارس فوافق الوزير عليه وبعث اليه بكلمة يشكر له فيها هديته النفيسة .

ونظم ولحن اناشيد كثيرة ، منها نشيد للمقتطف مطلعه : ( في الكون شمس واريه والعلم شمس ثانيه ) وانشده في حفلة العيد الخمسيني للمقتطف في دار الاوبرا الملكية في ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٦ واللجنة المختصة بالدعوة ، دعت جميع ادباء مصر وعلمائها ولم تدع غيره من الموسيقيين على

كثرة عددهم .

وفاز بكل مباراة موسيقية كانت تقام في مصر ، منها النشيد الملكي : يا مصر ، وعاش الملك ، وتوشيح : ايها الساقي اليك المشتكى ، وطلع البدر علينا ، اناشيد لا يعرفها حقا ويقدر على انشادها حاليا الا تلميذته كاتبة هذه السطور ، التي فضلها على جميع من علم ووجه .

هذا ، وان النادي الموسيقي في مصر ( المعهد الملكي ) انتخبه عضوا في اللجنة الفنية سنة ١٩١٤ لعظم ثقته بعلمه ومقدرته الفنية . ثم اختاره مدرسا اول ثم عضوا في مجلس الادارة ثم عاد فجدد انتخابه في ٢٧ اذار سنة ١٩١٥ الى ان اسس مجلته روضة البلابل في اول تشرين الاول سنة ١٩٢١ وقدم للعالم العربي مرجعا موسيقيا . وظل هكذا سنة ١٩٣١ وفيها تعرف الى تلميذته المطربة سوسن مفرج وكانت قد تعاقدت وشركة الاسطوانات ( هيز ماستر فويس ) . فوجد فيها الكفاية والمقدرة ، لان تحقق املا عاش يحلم به حلم كل فنان عبقري فاصطفاها ، وعلمها ووجهها التوجيه الصحيح لما تمتاز به من علم وثقافة ادبية وفنية معا . ووجد فيها ما يرجو من اماني فتعلق بها ونفخ من روحه لحنا شجيا سمعه العالم فطرب له ، احبها واخلص لها فاحبته واخلصت في حبها. وركن اليها ركون الطفل الى الصدر الحنون ، فاغنته حنانا ، لحن فغنت واطربت . وشاركته في النظم فشجعها ولحن مما نظمته . وقال فيها الكثير من اشعاره التي عرفها ، مثل طلع النهار ، وانا صاحي ، والورد يعطف عالياسمين والفل بيحب السوسن ، واداوي فؤادي ويفضل جريح ، ويللي رميتني بنظره واحده . غنت له السيدة سكينه حسن الكثير من المواويل والقصائد : ( عندموتي ) مسجلة في شركة كولوليا . وعلم المرحومة اسمهان ( اين الليالي) وغنت وسجلت له عزيزة حلمي وغيرهن من المطربات اللواتي تتلمذن عليه .

اخيرا جاء لبنان برفقة المطربة سوسن مفرج وزارا دمشق بدعوة من نادي الفنون الجميلة . فلقيا كل حفاوة وترحيب .

وما غنته من الحانه سوسن ، سجلته شركة سودوا الوطنية في حلب . منه دور ( لما سقيت قلبي نواك ) وقصيدة ( لا تصدق ماذا تقول الغواني ) ، ورثاء الملك فيصل الاول ملك العراق ، ثم ( الورد يعطف عالياسمين ) و ( خليك بقى عاللي انت عليه ) وغيرها من مقطوعات راقصة صاخبة .

وبعد ان اقاما الحفلات الناجحة في النوادي والملاهي السورية الكبيرة ، عادا الى لبنان حيث توفي في حادث كوكب الشرق في بيروت تحت الردم ، فانهار ركن من اركان الموسيقى الشرقية ونكس علم من اعلامها سنة ١٩٣٤ .

فبكى الجميع النابغة الكبير ، ورثاه الادب والشعر ، والكل ردد بصوت مخنوق : مات اسكندر شلفون .

[ السنابل : لبنان ] سوسن مفرج

## قضية الشعر

●

قرأت اخيرا مساجلة بين الدكتور طه حسين وبعض ادباء تونس في ندوة ادبية عقدها الادباء التونسيون لضيفهم الكبير، وكانت قضية الشعر بعامة والشعر العربي بخاصة محور هذه المساجلة .

والقضية ، كما أثارها اخواننا التونسيون ، تضرب بجذورها الى الراي القائل بان الشعر - بوجه عام - يميل في عصر الحضارة العقلية الحاضرة الى الخمود ، ان لم يكن يميل الى الانقراض .. وحجة هذا الرأي ، كما يصورها الدكتور طه حسين من جديد ، هي ان هذا العصر قد غلب فيه العلم والانتاج العقلي كل شيء ، وغلبت فيه الحياة الواقعية العلمية التي تشغل الناس ، بما تثير في نفوسهم من الامور والافكار والخواطر والاراء وليس غريبا ان تكون هذه الحياة مناقضة لطبيعة الشعر..

ويتساءل الاديب التونسي محمود السعدي، في حيرة هل يمكن للشعر ان يحيا ويخصب في عالمنا الحاضر هذا ؟.. أليست الثقافة العصرية قد طغت فيها عناصر الفكر الى حد ان الشعر ، بمعناه المحدود ، أصبح غير كاف ان يكون تعبيرا عن الحياة الفكرية الشاملة ؟

لقد برزت قضية الشعر على هذه الصورة منذ ما بعد الحرب العالمية الاولى ، بل على التحديد : منذ اخذت الكشوف العلمية الطبيعية والاجتماعية تؤثر أثرها الحسي في تطوير العلاقات الانسانية ولا سيما علاقات الانتاج الصناعي بالنسبة لتطور الادوات الانتاجية والقوى البشرية المنتجة معا ، ثم منذ ظهرت آثار هذا التطور كله في نشوء الحركات الوطنية الاستقلالية في العديد من البلدان والشعوب ثم نشوء دول جديدة مستقلة ، وممارسة شعوب هذه الدول انواع النشاط العقلي العالمي ، ومشاركتها في الحياة الدولية على صعيد السياسة والاقتصاد والعلم والتنظيم الاجتماعي .

في خلال هذه التطورات الكبرى في حياة الانسان ، في حياة الشعوب كافة ، على اختلاف درجات التطور بين شعب وشعب ، وفي خلال الانتقالات السريعة باوضاع الجماعات وعلاقات بعضها ببعض ، نشأت للحياة الانسانية وللعلاقات والاوضاع الاجتماعية اشكال جديدة تختلف اختلافا كبيرا جدا عن تلك الاشكال القديمة التي تركتها قافلة التطور .

ومفهوم ان كل تغيير في شكل الحياة يستدعي تغييرا في شكل العبارة عنه ، اي في شكل التعبير الفكري والادبي والفني واللغوي جميعا . ولكن تغيير الادوات التعبيرية هذا لا يأتي بسهولة وسرعة ، ولا يحدث بطريقة عفوية ، « اوتوماتيكية » تلقائية ، بل لا بد من عامل الزمن اولا ، ولا بد ان يلقى التغيير المطلوب مقاومة من الاشكال القديمة المستقرة ومن العقليات المحافظة التي تستفيد فائدة ما من الاشكال القديمة او التي اقامت امتيازاتها على امجاد تلك الاشكال .

وحقيقة اخرى نعود الى التذكير بها ، وهي ان الانقلابات الحادثة كانت من التلاحق السريع بحيث لا يمكن ان تلحق بها وسائل التعبير الادبي والفني الا بعد زمن تتم فيه اسباب التجاوب وتتغلب فيه عناصر التجديد على عناصر المحافظة .

من هنا تبرز قضية الشعر على واقعها الانساني التاريخي .

* * *

صحيح ان الشعر تعبير من أسمى وسائل التعبير الفني الجمالي عن الانفعالات الوجدانية العاطفية ، بل عن اعمق هذه الانفعالات واعنفها، وليس هو تعبيرا مباشرا عن قضايا العقل ، او شؤون الحياة العقلية والعلمية ، ولكن .. ما حقيقة الوجدان والعاطفة في الانسان ، من اين ينبع الوجدان وتنبع العاطفة ، وما ذاك الذي يحرك وجدان الانسان وعاطفته ، ومن أين ينفعلان .. من أين تصدر تلك الانفعالات الوجدانية والعاطفية ؟

ليس في كيان الانسان شيء منفصل عن شيء . أي ليس الوجدان والعاطفة في الانسان منقطع الصلة عن العقل ، عن شؤون الحياة العقلية ، عن ينابيع المعرفة التي يستمدها العقل من الحياة ومن التجربة والخبرة ومن الكشف العلمي المستمر ، ومن نتائج الحركة الدائمة في قوانين التطور الاجتماعي .

بمقدار ما يغتني العقل بالخبرة والمعرفة ، يغتني الوجدان وتغتني العاطفة بالانفعالات الرفيعة . وكلما اكتسب العقل جديدا من الافكار والمفاهيم والقيم الكونية والانسانية ، اكتسب الوجدان والعاطفة رصيدا من الاحاسيس ارقى واعمق وانبل . وبهذا تكون الاحاسيس الساذجة عند ذوي العقول الساذجة ، وتكون الانفعالات السطحية والالهامات العادية عند ذوي المدارك البسيطة او ذوي الجهل والغباء .

ذلك يعني ان العصر الذي يغلب فيه العلم وتغلب فيه الحياة الواقعية العلمية ، ليس

من شانه ان يخمد جذوة الوجدان والعاطفة، وليس من شانه ان يشغل العقل وحده ويعطل عمل الوجدان والعاطفة ، بل الامر على العكس، أي ان العصر الذي ترقى به معارف الانسان ويغلب فيه شان العلم ، هو عصر يرقى فيه الوجدان الانساني وتسمو العاطفة وتعمق الانفعالات الوجدانية وتصبح اعظم واروع منها في عصر يكون العلم فيه أقل شانا واثرا في حياة الناس .

ومتى كان الامر كذلك ، فان الوجدان والعاطفة يحتاجان دائما الى تعبير فني جمالي عن انفعالاتهما العظيمة ، فهما ـ اذن ـ يحتاجان الى الشعر دائما ، في كل عصر ، بل هما في عصر العلم اكثر حاجة اليه منهما في عصر اخر ، ما دام الشعر ـ كما قلنا ـ من اسمى وسائل التعبير الفني الجمالي عن وجدان الانسان واحاسيسه وما دامت الحاجة الى هذه الوسائل التعبيرية حاجة انسانية خالدة .

ولكن الشعر ، وهو بهذه المنزلة من حاجة الانسان اليه ، ومن صلته الوثيقة بخبرات العقل وثرائه بالمعرفة ، لا يستجيب الى التعبير الكامل عن وجدان العصر واحاسيسه الا بعد ان يستكمل الوجدان نفسه كل عناصر التجاوب بينه وبين احداث العصر العلمية وتطوراته العقلية ، ولا سيما ان هذه الاحداث في عصرنا تجيء ـ كما قلنا ـ متلاحقة سريعة مفاجئة .

ومن اجل هذا الواقع الانساني التاريخي نرى الشعر في عصرنا ، والشعر العربي بخاصة كانما هو في ازمة ، وهذه حقيقة الازمة ، ولا شيء غيرها .. وليست هي ـ واقعا ـ غير ازمة عارضة يستعد الشعر في خلالها لان يبدل باشكاله القديمة اشكالا جديدة تلائم اشكال الحياة التي خلقتها هذه التطورات والانقلابات الاجتماعية الكبرى .

وشعرنا العربي بالاخص يعاني الان تجربة تاريخية وانسانية ضخمة ، هي تجربة الانتقال الى اشكاله الجديدة التي تفرضها طبيعة العصر بل طبيعة هذه المرحلة العربية الكبرى بالذات.

هذه خلاصة القضية اوجزتها بقدر ما تسمح هذه الزاوية .

* * *

قلت ، اخيرا ، ان الشعر العربي يعاني الان تجربة الانتقال الى اشكاله الجديدة التي تقتضيها طبيعة هذا التطور السريع الضخم فى حياتنا العربية الحاضرة . وينبغي ان نسال بعد هذا : اين وصل الشعر العربي في شوطه من التجربة ؟

وقبل ان نجيب عن السؤال ، نحاول ان نشير باجمال الى الخاصة المميزة لما نسميه ب « الشعر الجديد » .

تقوم الاشكال التقليدية القديمة للشعر العربي على خاصتين رئيسيتين : اولا ، انه يقيم القصيدة على نظام الابيات المستقلة مع وحدة الروي والقافية والوزن بتفاعيله الكاملة المقررة . ثانيا ، انه على رغم التزامه هذه الوحدة في الروي والوزن والقافية ، لا يلتزم وحدة القصيدة من حيث البناء الشعري بتفاصيل اجزائه وعناصره الشعورية والفكرية والبنائية . بل لقد تشتمل القصيدة الواحدة في شعرنا التقليدي على تجربات شعرية وجدانية متعددة ، وقد تنعدم الصلة تماما بين تجربة واخرى ، وقد يتفق ان يكون كل بيت تجربة منفردة عن اخواتها في سائر الابيات ، مع كونها جميعا ضمن اطار لغوي موسيقي مشترك .

ومن هنا تنهض الخاصة الشكلية والبنائية في « الشعر الجديد » . فهو ياخذ بالاوزان العربية التقليدية الموروثة ذاتها ، ولا يبتكر اوزانا جديدة ، ولا يخرج على موسيقى الوزن التراثي ، ولكنه لا ياخذ بتفاعيل الوزن الواحد بكاملها ، بحيث يجعلها اساسا للتقسيم « البيتي » في القصيدة ، اي انه لا يجعل هذه التفاعيل هي الاساس في تقسيم القصيدة ابياتا ، كل بيت له تفاعيله الكاملة ، وله كيانه الشعري المستقل ، وله تجربته الوجدانية المنفردة بذاتها ، بل هو ـ اي الشعر الجديد يوزع هذه التفاعيل على اجزاء القصيدة وفق تصميمها البنائي الذي تقتضيه وحدة التجربة ، ووحدة الانفعال الوجداني ، ووحدة البناء التعبيري عن هذه التجربة وهذا الانفعال .

القصيدة ، في « الشعر الجديد » ، هي التماسك الوجداني والموسيقى واللغوي معا في بناء واحد ياخذ كل جزء منه مكانه الذي لا يمكن ان يكون له في القصيدة مكان غيره ، فاذا انتزعته من هذا المكان اختل نظام القصيدة ، وانهار بناؤها ، ثم كان هذا الجزء الذي انتزعته وحده غير ذي دلالة على شيء ،لان دلالته الفنية قائمة في وجوده بهذا المكان الخاص من القصيدة .

ونعتقد ان ظاهرة الانقلاب هذه في شعرنا العربي ، وفي اتجاهه الى هذا النحو من الوحدة البنائية الفنية ، ترجع باسبابها الى تطور حياتنا العقلية واندماج هذه الحياة بتطور الاشكال الاساسية من حياتنا الاجتماعية والقومية ، فان ذلك قد خلق في شعرائنا ينابيع جديدة للالهام الشعري ، وخلق فيهم ـ مع ذلك ـ ارتباطا وجدانيا بوحدة هذه الاشكال الجديدة التي ولدتها ظروف قومية وانسانية لها طابعها الموضوعي ، لا العفوي .

ويجب ان نرجع الان الى السؤال : اين وصل « الشعر الجديد » في شوطه من التجربة ؟ ـ يمكن القول ان هذا الشعر قد جاوز حتى الان مرحلة التجربة الاولية ، وثبت لاول امتحان ، ولكن الصراع بينه وبين الشعر التقليدي باشكاله البنائية القديمة ، ما يزال محتدما ، وان كان قد ظهر ان «الشعر الجديد» ليس ظاهرة عفوية طارئة تعبر عن انحرافات فردية ، بل ثبت انه نتاج حاجة تطورية انبثقت من واقع حياتنا القومية والانسانية في هذه المرحلة بعينها . يدل على ذلك ان هذا الشعر لم يتقهقر ، ولم ينكمش بعد ظهوره ، بل هو ينمو الان نموا مطردا ، وتمتد جذوره في تربة الشعر العربي المعاصر امتدادا سريعا ، ويتطور الى النضج والتكامل في اقطار عربية عدة ، حتى الاقطار الاقل من اشقائها تطورا اجتماعيا، ونتاج هذا الشعر يبدو انه يزداد كثرة وخصبا كما انه يزداد عناية بتدارك الكثير من نواقصه التي ياخذها عليه اصحاب المدرسة الشعرية التقليدية وانصارها . وهذا يكفي دلالة على حيوية « الشعر الجديد » .

[ الحياة ] حسين مروة

## من وصية ومذكرات اغا خان

●

توفي في الشهر الماضي الزعيم الديني الاسماعيلي اغاخان ، وقد ذكرت الاخبار العالمية نص الوصية التي سمي فيها الاغاخان حفيده ، الامير عبد الكريم ابن الامير علي ، خلفا له في زعامة الطائفة الاسماعيلية ، ومما استرعى الانتباه الاسباب التي اوردها مستندا اليها ، في تعيين خليفته فانها تدل على عقل متاثر بمعطيات العلم . وبالرجوع الى مذكرات الاغاخان التي اصدرها في العام ١٩٥٤ ، تبرز هذه الناحية العقلية واضحة في مقدمة المذكرات ، وفي هذا الجزء منها بالذات ، الذي ننقله عن جريدة «الحياة» لفائدة القراء ، وقد وصف فيه الاغاخان وضعه الخاص حيال التطورات العالمية . كما ننشر نص الوصية التي اشرنا اليها :

جاء في الوصية ما يلي :

« نظرا للتحسن الاساسي في اوضاع العالم في السنوات الماضية بسبب التغييرات الكبرى بما فيها اكتشاف العلم الذري. أرى نفسي مقتنعا بان خير الطائفة الاسماعيلية الشيعية في ان اسمي خلفا لي شابا ترعرع في العصر الحديث سيكون لديه نظرة جديدة الى مركزه كامام . »

★ ★ ★

وجاء في مقدمات المذكرات :

خير وابقى من الخرافة او الاسطورة او الزمن هي الحقيقة مهما كانت عن رجل او قطر او مؤسسة .

ولعله من حقي ان اردد مثل هذا القول . فقد نسجت حولي شبكة من الاساطير طوال حياتي بشكل يذهب بعيدا في جموح الخيال وشططه وهي بحاجة الى تصحيح ، خاصة تلك التي تدور حول ثروتي وثروة عائلتي . فلقد تناهت الي تقديرات عن دخلي ورأسمالي ليست فاحشة المبالغة فحسب ، بل انما هي ايضا بحاجة الى تعديل او تقويم يمحو عقدين من ارقامها على الاقل :

لقد كانت حياتي في كثير من السبل جسرا عبر عصور وسيعة التباين واذ اتطلع اليها اللحظة من وجهة النظر الغربية اجد نفسي قد اخذت قسطا تاما من الحياة في العهد الفيكتوري كما اعايش اليوم قسطا تاما من الحياة في العهد الاليزابيثي الحالي .

في شبابي كان المحرك لا يزال في مرحلته التجريبية وكانت اولى السيارات موضع الهزء والسخرية . اما اليوم فنحن نتحدث جميعا عن الطائرات التي تخترق بسرعتها جدار الصوت ، كما لو كانت امرا مفروغا منه ، كما اننا نبحث احتمال السفر بين الكواكب السيارة بجد اكبر من ذاك الذي كنا نتحدث عنه !

ولم اكن في حياتي مجرد متفرج على احداث الحياة ، انما شاركت في بعضها مشاركة فعالة . واذا كان الوقت لم يحن بعد لقياس مدى الثورة التي عايشتها وشهدتها فاننا نستطيع ان نرى الكثير في اوجهها ومظاهرها متبلورة في عدة افاق من حياة التجربة الانسانية !

لقد تعرض منهاج الحياة في العالم الغربي بمجموعه الى تغييرات اساسية بعيدة المدى لعل اعظمها ازدياد الاعمار زهاء عشرين عاما فالشيخوخة تبدأ الان عند الرجال والنساء في الغرب متأخرة عشر او عشرين سنة عن السنين التي كانت تبدأ فيها عندما كنت في ريعان شبابي.

وزالت القيم الاخلاقية والاجتماعية فبينما كان الناس ينظرون الى شذوذ الحب بين افراد الجنس الواحد نظرتهم الى الجذام ، فاننا نجد في اكثر اقطار اوروبا اشفاقا واسعا على المصابين بذلك الشذوذ ، يستقي مبرراته من نظريات « فرويد » في السلوك الجنسي وعوامل انحرافه النفسية او اننا نجد المعاذير لذلك الشذوذ بل قد نجد تبريرا مكشوفا له ان لم يكن تمجيدا يعقده ويسوقه رجال من ائمة الفكر والادب كاندريه جيد !

لقد رأيت ثورة اسيا المديدة ضد الحكم الاوروبي وكانت هذه الثورة في القرن الماضي غيمة لم تكن اكبر حجما من قبضة اليد !

اجل كانت ثورة لا تتعدى املا صغيرا في الوصول الى بعض المناصب القليلة ، وفي قلة من القاب الشرف . اما اليوم فان الثورة في اسيا اصبحت حقيقة واسعة وضعت في كل مكان ، واقعيا واسميا ، حدا للحكم الاوروبي في الشرقين الادنى والاوسط .

ولقد عشت ما يكفي لرؤية الحدث ذاته يبدأ اليوم في افريقيا ، ولكن لحسن الحظ تعلمت الطبقات الغربية الحاكمة درسا من اسيا فحفظت عبرته .

وكذلك كان لي نصيب في هذه التبديلات ويهمني ان اذكر بانه مهما يكن الدور الذي لعبته في الشؤون العامة وفي التطورات السياسية في الهند ، فانه لم يكن من ضمن واجبي ومهمتي ان اقوم به .

فمنذ طفولتي ونعومة اظفاري كان همي الرئيسي ومسؤوليتي الاساسية تحمل العبء الاثقل الذي ورثته كامام للطائفة الاسماعيلية في المذهب الشيعي الاسلامي . واستطيع ان اذكر هنا ان اعباء الامامة هذه كانت دائما شغلي الشاغل الاول في جميع الاوجه خاصة في ميدان الحفاظ على ما لا يحصى من الروابط الشخصية وروابط الولاء الديني التي احتلت مقاما كبيرا في حياتي كل يوم ، وهكذا كان كل شيء اخر فعلته او جهدت لفعله او تمتعت به او تألمت منه كان ثانويا في اهميته !

لقد حاولت في جميع السنوات التي امضيتها في الحياة العامة ان افعل خير ما في وسعي .

وليس بامكاني ان احكم بنجاح او اخفاق ما حاولت ان افعله فالحكم النهائي على ذلك ليس في يدي .

ولكن قد شهدت حركة التطور الجماعي في جميع اوجه الحياة كالثورة الفنية الالية في عصرنا الراهن ، وكسيادة الانسان المتزايدة على قوى الطبيعة ، وكالاقرار باهمية العقل الباطني ، وكالزيادة الكبرى في مستويات وقيم الاخلاقية مشفوعة بتغييرات عميقة في الاجتهادات والمفاهيم الانسانية منسجمة مع تلك القيم والمستويات واخيرا كالتطورات السياسية الكبرى التي كانت مستعصية حتى على الخيال في شبابي !

## قالوا في « الاديب »

●

**نواصل** فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرين عطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديب دائما عند حسن ظنهم بها .

* * *

قالت مجلة المنهل الغراء التي تصدر في مكة المكرمة :

**أصدرت** مجلة « الاديب » اللبنانية الزاهرة عددا ممتازا ضخما حافلا بمناسبة دخولها سنتها الجديدة من عمرها المديد ..

ومجلة الاديب الغراء غنية عن التعريف ، لانها مجلة العرب التي تحمل الى قرائهم في شتى اقطار العروبة كل ما لذ وطاب ، من اداب قيمة ، وتفكير رائع ، واحياء منشود ، وانماء لموارد ومصادر العقلية العربية المتفتحة الوعي والادراك .

والحق يقال ان استمرار الاديب في الصدور والذيوع لقد برهن لنا على ان الادب العربي ما يزال بخير ، وان الاختلال والاعتلال ان صحا فانما هما في القادة والرادة .. فاذا كان القادة والرادة من نوع الاستاذ البير اديب منشىء مجلة الاديب فان شجرة الاديب لتبدو ناضرة باسقة تزداد كل يوم نموا الى نمو ونضرة الى نضرة ..

حيا الله الاديب وامد في عمرها دهورا طوالا مملوءة بالتجديد والاشراق .

●

وقالت مجلة « المواهب » الغراء التي تصدر في بونس ايرس بالارجنتين :

**اصدرت** مجلة « الاديب » البيروتية الغراء لصاحبها الاديب الفاضل والمجاهد العربي الحر ، الاستاذ البير اديب ، عددا ممتازا بمناسبة ولوج صحيفته المزدهرة عامها الجديد ، وهي ما تزال ، بحمد الله ، موفورة النشاط كبيرة الجهاد كثيرة النفع ، فاتى هذا العدد الممتاز كما اراد له حضرة الزميل الكريم من براعة وجمال ، غزير المادة ، طافحا بالمباحث القيمة والادب العالي والفن المستحدث الطريف ، وليس هذا بمستغرب في مجلة « الاديب » وهي التي تسير على هذا النهج منذ ان صدر عددها الاول ولا تزال حتى اصبحت بعد جهاد خمسة عشر عاما دعامة قوية في بناء الادب العربي يشار اليها بالبنان ومسرحا لاقلام اعلام الادب الحرة ، كما انها تعد في الطليعة من المجلات العربية الراقية .

فللزميل المجاهد الكريم الاستاذ البير اديب خالص التهنئة وخالص الاعجاب والتقدير ، ومد الله بعمر « الاديب » ونفع الامة بجهودها المثمرة والوطن العربي بدفائها المجيد .




٥ يونيو ١٩٥٧ – وجهت الحكومة السعودية الى الامم المتحدة ومجلس الامن شكوى تتهم فيها البوارج الاسرائيلية بضرب خليج العقبة

٦ – توفي السيد صالح جبر رئيس وزراء العراق سابقا واحد رجال الدولة البارزين

– وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى القاهرة في زيارة مفاجئة .

٧ – وصل الملك سعود الى عمان في زيارة رسمية للاردن .

– وقعت الولايات المتحدة وبولونيا اتفاقا اقتصاديا تعهدت فيه امريكا بتقديم مساعدات مالية لبولونيا قدرها ٩٥ مليون دولار .

٨ – قدم السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية استقالة حكومته .

– وصل فرانشيسكو كرافيرو لوبيز رئيس الجمهورية البرتغالية الى ريو دي جانيرو في زيارة رسمية للبرازيل .

– على اثر زيارة المارشال بولغانين والسيد خروتشيف لهلسنكي صدر بلاغ سوفياتي فنلندي مشترك جاء فيه ان الاتحاد السوفياتي يعترف بان فنلندا تبذل جهدها للبقاء خارج النزاعات الناشبة بين الدول الكبرى . وان المحادثات عقدت في جو من الصراحة والمودة.

٩ – وصل حسين سهروردي الى كابول لاجراء محادثات مع المسؤولين الافغانيين .

١٠ – قدم السنيور ادوني زولي رئيس الوزارة الايطالية استقالته ولم يمض على تشكيل حكومة زولي اكثر من ٢٣ يوما .

– اعلنت الحكومة الاردنية انها بعد ان اخرجت الملحق العسكري المصري في عمان من اراضيها قد اخرجت ايضا قنصل مصر في القدس وذلك لاسباب تتعلق بالامن .

– طلبت الحكومة المصرية من الحكومة الاردنية سحب سفيرها من مصر خلال ٢٤ ساعة . اما السفير المصري في عمان فموجود في القاهرة منذ مدة .

١١ – سحبت مصر ممثلها لدى القيادة المشتركة في عمان .

– بعد أزمة وزارية طويلة الف موريس بورجيس مونوري الوزارة الفرنسية الجديدة .

١٣ – صدر بلاغ سعودي اردني مشترك على اثر انتهاء زيارة الملك سعود الرسمية للاردن يعلن الاتفاق التام بين وجهات نظر الملكين والتعاون العسكري والتمسك بجميع المواثيق

١٤ – زار البنديت نهرو دمشق زيارة رسمية وهو في طريق سفره الى لندن لحضور مؤتمر الكومنولث .

– سمحت الحكومة الفرنسية للسفن الفرنسية بعبور قناة السويس .

– قدمت تونس مذكرة جديدة لفرنسا تحتج فيها على الحوادث الخطيرة والاعتداءات التي يقوم فيها الجيش الفرنسي في جنوب تونس

١٦ – سافر رئيس وزراء اليابان نيوسوكي كيشي قاصدا الولايات المتحدة وقد صرح بانه سيبلغ الرئيس ايزنهاور حقيقة ما يريده الشعب الياباني وهو يأمل قيام عهد جديد من العلاقات بين الدولتين .

١٧ – اغلقت الحكومة الاردنية سفارتها في القاهرة .

١٨ – الف السيد علي جودت الايوبي الوزارة العراقية الجديدة .

– كلف السنيور امنتوري فانفاني السكرتير العام للحزب الديمقراطي المسيحي بتاليف الوزارة الايطالية الجديدة .



١٩ – اعلن ان ثلاث غواصات سوفياتية اشترتها الحكومة المصرية قد انضمت الى الاسطول المصري .

٢٠ – صرح الرئيس حبيب بو رقيبة ان توتر العلاقات بين فرنسا وتونس اخذ يخف بسبب تبديل الجيش الفرنسي تصرفاته .

– وصل السيد حسين شهيد سهراوردي رئيس الحكومة الباكستانية الى بيروت في زيارة رسمية .

٢٢ – وصل الملك حسين يرافقه وفد اردني الى بغداد في زيارة رسمية للعراق .

٢٣ – صدر بلاغ مشترك بالمحادثات اليابانية الامريكية التي اجراها السيد كيشي رئيس الوزارة اليابانية مع الرئيس ايزنهاور وتحدث البلاغ عن اتفاق وجهات النظر والعمل المشترك في مختلف الامور .

٢٤ – صدر بيان اردني عراقي عن نتيجة محادثات الملك حسين والملك فيصل في بغداد يعلن السعي لضم الصفوف العربية والتعاون لمقاومة المبادىء الهدامة وعدم تدخل أية دولة عربية في شؤون دولة اخرى مع التمسك بميثاق الجامعة العربية .

– قدمت الحكومة اللبنانية مذكرة الى الحكومة السوفياتية ترد فيها على مذكرة سوفياتية قدمت اخيرا وقد استنكرت الحكومة اللبنانية تدخل موسكو في شؤون لبنان الخاصة .

– توقفت العلاقات بين سوريا والسعودية وغادر السفير السعودي دمشق حتى اشعار اخر احتجاجا على تصريحات السيد خالد العظم وزير الدفاع السوري والحملة الصحافية على السعودية .

٢٦ – توترت الحالة على الحدود السورية الاسرائيلية واذاعت الانباء عن وصول امدادات عسكرية سورية واسرائيلية الى الحدود وجرى تبادل اطلاق النار مدة نصف ساعة .

– صرح الرئيس ايزنهاور ان احدا لن يخرج منتصرا من حرب عالمية جديدة وانه من قبيل التشاؤم الظن بان الحرب لا مفر منها .

٢٧ – اكتشف في نانكنغ منظمة هدفها قلب الحكومة الصينية الشعبية والقضاء على الحزب الشيوعي .

– انذر الاتحاد السوفياتي المانيا الغربية بانها اذا تعاونت مع الغرب في التسلح النووي فيمكنها ان تطلق كل امل باعادة توحيد المانيا.

٢٨ – دعا الوزير الفرنسي المقيم في الجزائر روبير لاكوست الى ايجاد ضمان محدود للحكم الذاتي في الجزائر تشرف عليه فرنسا اشرافا شاملا .

٢٩ – رفضت الولايات المتحدة طلبا تقدمت به ١١ حكومة عربية بان تتوقف امريكا عن ارسال المساعدات العسكرية الى فرنسا ونصحت العرب بالتفاوض لحل مشكلة الجزائر

اول يوليو ١٩٥٧ – صرح الرئيس جمال عبد الناصر بان السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ستجعل من القوميين العرب شيوعيين

– وصل الامير فيصل آل سعود ولي عهد المملكة السعودية الى نيويورك للمعالجة الطبية

٢ – اذاعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا بيانا مشتركا رحبت فيه بقبول الاتحاد السوفياتي لمتطلبات مراكز المراقبة الذرية بالطرق العلمية وان قبول السوفيات قد اخرج الى حيز الوجود امكان تعليق التجارب الذرية .

٣ – انتخبت مصر مجلسها النيابي الاول منذ الثورة وقد ساهمت المراة لاول مرة بحقها كناخبة ومنتخبة .

– صدر بلاغ عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي يعلن اخراج جورجي مالنكوف ولازار كاغانوفيتش وف. مولوتوف من مجلس رئاسة الحزب « البريزيديوم »

وطردهم من الحزب واقالة شبيلوف من منصبه في امانة الحزب مع ابقائه عضوا في هيئة الرئاسة .

٤ ـ اعلن الحزب الشيوعي الروماني الذي يتولى زمام الحكم انه طرد من مكتبه السياسي جوزف شيزيفشي الذي طرد ايضا من منصبه كسكرتير للجنة الحزب المركزية وميرون كوستانتينسكو .

ـ اعفي الزعماء السوفيات مالنكوف وكاغانوفيتش ومولوتوف من مناصبهم الحكومية

ـ وصل اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة الى الرياض لمقابلة الملك سعود .

٥ ـ اختتم رؤساء وزراء دول الكومنولث مؤتمرهم في لندن واصدروا بلاغا دعوا فيه لحل النزاع العربي الاسرائيلي وتحسين اوضاع اللاجئين العرب وتسوية جميع المشاكل المعلقة المتصلة بالنزاع حول قناة السويس .

٦ ـ اذاع راديو موسكو بيانا اكد فيه ان سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية القائمة على حب السلام والاستقرار لن تتغير وكذلك مبدأ التعايش السلمي مع جميع الدول وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة باعتبار ان السلم العالمي مرهون بذلك وقال البيان ان الثلاثة المعزولين كانوا يعملون ضد هذا السلم .

٧ ـ عين السيد احمد الشقيري الامين العام المساعد للجامعة العربية وزير دولة سعوديا لشؤون الامم المتحدة وقد صرح بانه سيمثل المملكة العربية السعودية في دورة الامم المتحدة .

٩ ـ صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على مشروع يمنح الجزر الفرنسية في جنوب المحيط الهادىء وهي كاليدونيا الجديدة الغربية وجزيرة تاهيتي الاستقلال الذاتي وكذلك ايضا الصومال الفرنسي على الساحل الشرقي لافريقيا .

ـ وقع اعتداء اسرائيلي نظامي على احد المخافر السورية ادى الى اصابة اربعة من العرب وتدخلت هيئة الرقابة الدولية لوقف اطلاق النار .

ـ وصل الى براغ الرفيقان نيكيتاخروشوف ونيقولاي بولغانين في زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكيا وقد جرت لهما استقبالات حافلة .

١٠ ـ الف نوبوسوكي كيشي رئيس الحكومة اليابانية وزارته الجديدة بعد ان طلب من وزرائه السابقين الاستقالة .

ـ وصل السيد حسين سهروردي رئيس الوزارة الباكستانية الى وشنطن لزيارة الرئيس ايزنهاور واجراء محادثات هامة .

ـ وصل الى القاهرة شري جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند قادما من انجلترا وسيجري مباحثات هامة مع الرئيس جمال عبد الناصر

١١ ـ اذاع راديو موسكو ان الرفاق مالنكوف ومولوتوف وكاغانوفتش قد عينوا في مناصب جديدة . واعلن ان جورجي مالنكوف عين مديرا لمركز توليد الطاقة الهيدرو ـ كهربائية في شرقي كازختان في اسيا الوسطى .

ـ توفي في جنيف آغا خان زعيم الطائفة الاسماعيلية .

١٢ ـ فتحت وصية اغا خان واتضح انه قد سمى حفيده الامير عبد الكريم ابن الامير علي خان خلفا له في زعامة الطائفة .

ـ سافر شري جواهر لال نهرو الى الخرطوم في زيارة ودية رسمية للسودان .

ـ اجريت في نيويورك عملية جراحية للامير فيصل آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية .

١٣ ـ اجري تعديل على الحكومة الاردنية شمال ادخال خمسة وزراء جدد في وزارة السيد ابراهيم هاشم .

ـ وصل بول ملك اليونان والملكة فريدركا الى بلغراد في زيارة للماريشال تيتو .

ـ تم في جنيف تنصيب الامير عبد الكريم خان زعيما للطائفة الاسماعيلية ويبلغ عدد الطائفة ٢٠ مليونا .

١٥ ـ كان حسين شهيد سهروردي رئيس حكومة باكستان صرح في وشنطن بانه راغب في التوسط بين العرب واسرائيل لعقد صلح بينهم وايجاد تسوية لمشكلة فلسطين وقد صرح صبري العسلي رئيس الوزارة السورية بان الدول العربية لن تعترف بوجود اسرائيل والعرب مصممون على عدم التساهل بحقوقهم في فلسطين وسنستعيد هذه الحقوق مهما كان الثمن . واعلنت اسرائيل عدم قبول الوساطة لاعتقادها بان المفاوضات المباشرة وحدها لها حظ النجاح في النزاع العربي الاسرائيلي .

١٦ ـ اقتدت اليابان ببريطانيا والمانيا الغربية وغيرهما من الدول الاوربية التي الغت قيود عديدة كانت مفروضة على التجارة مع الصين الشعبية .

١٧ ـ وصل الى القاهرة كريشنا مينون وزير الدفاع الهندي وسيبحث مع الرئيس عبد الناصر طائفة من المسائل الهامة مكملا بذلك المباحثات التي بدأ بها جواهر لال نهرو حول استئناف العلاقات بين مصر وبريطانيا .

ـ وصل الى موسكو محمد ظاهر شاه ملك افغانستان لاجراء محادثات مع الزعماء السوفيات

ـ استقبل خروتشوف مع بولغانين استقبالا حافلا في موسكو بعد عودتهما من براغ واعتبر هذا الاستقبال بمثابة استفتاء شعبي للتدابير التي اتخذت ضد الزعماء السوفيات المفصولين .

ـ كذبت الحكومة الباكستانية خبر عرض وساطة حسين سهروردي لعقد صلح بين العرب واسرائيل .

١٨ ـ اذاع راديو صوفيا نبا طرد ثلاثة من كبار زعماء الحزب الشيوعي في المجر . وهي ثالث دولة بعد رومانيا والصين الشعبية التي تقوم بحركة تطهير في الحزب .

ـ وصل هو تشي منه رئيس جمهورية فيتنام الشمالية الى براغ في زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكية .

ـ قدمت ٢١ دولة افريقية اسيوية طلبا رسميا لمناقشة القضية الجزائرية في الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة .

١٩ ـ وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى زوريخ للمعالجة والاستشفاء .

ـ اقر مجلس العموم البريطاني نهائيا مشروع قانون بمنح اتحاد الملايو الاستقلال ضمن نطاق الكومنولث في الشهر القادم .

ـ اعلن ناطق رسمي بريطاني في البحرين ان ثورة قبلية في مسقط وعمان قد احرزت بعض النجاح وان سلطان مسقط اخذ يستخدم جيشه الذي يضم ضباطا بريطانيين للقضاء على الثورة .

ـ اعلن البيت الابيض ان الرئيس ايزنهاور والملك سعود قد تبادلا الرسائل حول موضوع استخدام السفن الاسرائيلية لخليج العقبة .

ـ وصل الملك سعود الى اثيوبيا في زيارة للامبراطور هيلاسلاسي .

ـ اعلن في مصر اكتشاف مؤامرة في شهر ابريل الماضي لاغتيال الرئيس عبد الناصر وجميع الوزراء ويبلغ عدد المتهمين الموقوفين ١٤ منهم ٩ ضباط وبين المدنيين الدكتور محمد صلاح الدين الوزير السابق والمرشح لرئاسة الوزارة في حالة نجاح المؤامرة وعرفت الحركة باسم « حركة انصار الحق » .

٢٠ ـ صرح رئيس الحكومة البريطانية هارولد ماكميلان ان التضخم المالي هو مشكلة الساعة في بريطانيا ولا يوجد حل لهذه المشكلة سوى زيادة الانتاج .

مطبعة « الشراع »
بيروت ـ الحازمية